الجزء الثاني

آثار الإمام
عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين





صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة
الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007
يُهدى ويُوضع في المكتبات ولا يباع

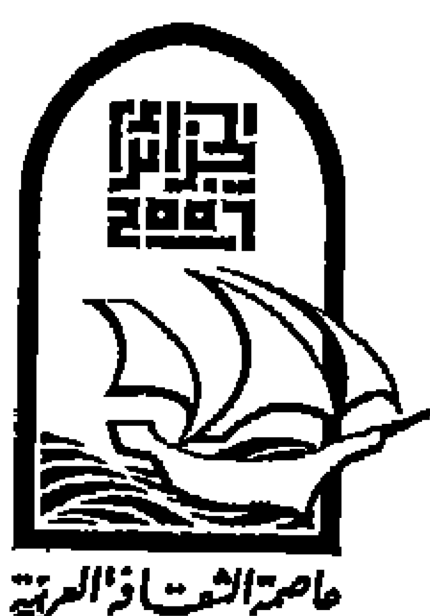
آثار الإمام

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

مجالس التذكير
من حديث البشير النذير

الجزء الثاني





الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس

سَيَنْحَلُّ جُثْمَانِي إِلَى التُّرْبِ أَصْلِهِ ، وَتَلْتَحِقُ الْوَرْقَا بِعَالَمِهَا الْأَسْمَى!
وَذِي صُورَتِي تَبْقَى دَلِيلاً عَلَيْهِمَا؛ فَإِنْ شِئْتَ فَهْمَ الْكُنْهِ فَاسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا،
وَعَنْ صِنْوِ إِحْسَاسٍ تَأَمَّلْ؛ فَإِنَّ فِي مَلاَمِحِ وَجْهِ الْمَرْءِ مَا يُكْسِبُ الْعِلْمَا.
وَسَامِحْ أَخَاكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِنَقْصِهِ ، وَسَلْ رَحْمَةً تُرْحَمْ ، وَلاَ تَكْتَسِبْ إِثْمَا

بسم الله الرحمن الرحيم

السنّة

كان صلى الله عليه وسلم يذكر بقوله وعمله وهديه وسمته، وكان ذلك كله منه على وفق هداية القرآن وحكمه.

عبد الحميد بن باديس

الشهاب، الجزء 1 المجلد 5

رمضان 1347 هـ فيفري 1929 م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم السيد :
عبد الرحمن شيبان
وزير الشؤون الدينية

الحمد لله رب العالمين ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على كل دين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ابن عبد الله ، خاتم الانبياء والمرسلين،وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع سنته الى يوم الدين .

من فضل الله على الجزائر ، أن قيض لها ابنها البار ، عبد الحميد بن باديس الذى دعاها لما يحييها ، بما تستجيب له فطرتها ، وهو دينها القويم وهدي سلفها الصالح .

فقد تصدى لتدريس العلوم العربية والاسلامية المختلفة ، بالجامع الاخضر فى قسنطينة ، عاصمة الشرق الجزائرى ، منذ عودته من الحجاز ، سنة 1913 م ، بعد أدائه فريضة الحج ؛ فختم تفسير القرآن الكريم ، تدريسا ، فى خمسة وعشرين عاما ، وذلك سنة 1357 هـ (1938 م) .

وقد أقيم ، بتلك المناسبة ، بقسنطينة ، احتفال وطني عظيم حضرته وفود عن أنحاء القطر الجزائرى .

وفى السنة الموالية ، أقيم احتفال ثان ، بالمدينة ذاتها ، بمناسبه ختمه كتاب « الموطأ » للامام مالك فى الحديث النبوى الشريف .

وقد كان احتفال الامة بهذين الحدثين المشهودين ، اللذين اهتزت لهما الجزائر كلها ، « عهدا » منها لإمامها ، على مواصلة السير ، معه وبعده ، نحو الحياة الحرة الكريمة ، على هدي كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم .

وفسر الامـام ابن باديس ، الى جانب ذلك ، بقلمه مجموعة مـن الآيات القرآنية الكريمة ، والاحاديث النبوية الشريفة . ونشرها افتتاحيات فى مجلتـه « الشهـاب » ، تحت عنـوان : **« مجالس التذكير ، من كلام الحكيم الخبـير ، وحديث البشـير النـذير »** .

وقد كان لهذه الدروس،الشفوية والكتابية،أثـــر بالغ فى نفوس المستضيئين بها ، فى تلك الحقبة المظلمة ، سواء من كان يحضر دروسه التعليمية ، من طلبته النظاميين ، وطلاب المعرفة الاسلامية أو من كان يتابعها في افتتاحيات مجلة « الشهـاب » الشهرية ؛ فكانت ، بحق ، الشرارة الاولى التى فجرت النهضة الاصلاحية الحديثة فى الجزائر .

وتعميما لفائدة هذا الاثـر العلمى النفيس ، وحرصا على تعريف اجيال الاستقلال بآثـار سلفها الصالح ، مـن العلماء العاملين ، أصدرنا القسم الاول الخـاص بالآيات القـرآنية المفسرة ، المنشورة فى مجلـة « الشهاب » فى كتاب « **مجـالس التذكير مـن كلام الحكيم الخبـير** » بمناسبة الذكرى العشرين للاستقلال الوطنى .

وها نحن ، بعون الله وتوفيقه ، نصدر القســم الثانى ، الخاص بالاحاديث النبوية المشروحة وغيرها من الآثار المتعلقة

بالسنة وصاحبها ، صلى الله عليه وسلم ، التى نشرت فى مجلة « الشهاب » ، وفي غيرها من جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فى كتاب « **مجالس التذكير من حديث البشير النذير** » ، بمناسبة الذكرى الثالثة والاربعين لوفاة ابن باديس رحمه الله تعالى .

وباصدارنا لهذا الجزء الثانى من كتاب « **مجالس التذكير** » نكون قد قدمنا **لتلاميذ** الامام ابن باديس ، والى **قراء** مجلته « الشهاب » – الذين كانوا يتلقون عنه **دروسا حية** فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فى نطاق **محدود** فى الزمان **والمكان** – **فرصة** جديدة مديدة للاستفادة من **عطاء** أستاذهم الحكيم **متى** أرادوا **وحيثما** وجدوا ؛ كما نقدم فى الوقت ذاته ، الى الوعاظ والمربين ، والى الاجيال الحاضرة والقادمة بصفة عامة – **منارة** تهدى ، وثمرة تغذى ، **واسوة** تحقق لطلابها ما ينشدون من صلاح وفلاح بعون الله تعالى وتوفيقه .

وانه لمن دواعي الارتياح ، أن يظهر هذا الاثر العلمى ، فى هذه الحقبة من حياتنا الوطنية ، التى تسعى فيها الثورة الجزائرية الى تعميق أسس شخصيتنا العربية الاسلامية ، والى توطيد أركان الاستقرار النفسى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، وتهيئة المناخ الصحي الذى يمكّن أجيالنا القادمة من العمل الجاد المنتج ، الذى يضمن للفرد وللمجتمع، الطمأنينة والرخاء والاستقرار .

فإلى جانب العمل من أجل النهوض بالصناعة والزراعة والصحة والسكن والتربية والتعليم -: جُدِّد المجلس الاسلامى الاعلى ، ليواصل نشاطه ، فى مختلف مجالاته واختصاصاته ،

للنهوض بحياتنا الروحية ؛ وظهرت الصحيفة الاسلامية الجامعة « العصر » الاسبوعية ، تعزز نشر الوعي الاسلامي الصحيح ، في مختلف أنحاء الوطن ؛ وصُودِق على ملفات الثقافة، والإعلام، والشباب ؛ ونُصِّب المجلس الاعلى للغة الوطنية ، والمجلس الاعلى للشباب ؛ واتخذت قرارات بشأن اجبارية المواد الدينية في الامتحانات ؛ وافتتح ، بجامعة الجزائر ، معهد العلوم الاسلامية، النواة الاولى « للجامعة الاسلامية الجزائرية » ، كما درس ملف قانون الاسرة وفق مبادىء الشريعة الاسلامية .

ان سير الجزائر ، نحو التقدم والازدهار ، على هدى كتاب الله ، وسنة رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، هو الذي يضمن النجاح لما تنجز من أعمال ، وتخطط من مشاريع ؛ قال الله تعالى : « **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** »(*).

وقال عليه الصلاة والسلام : « **تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي** » (**) .

نعم ! ان الذي يحقق لنا القوة والمناعة والازدهار ، ويضمن النجاح لما نسعى الى تحقيقه من مشاريع وأهداف ، في مختلف مجالات الحياة المادية والروحية ، هو انطلاقنا من قاعدة صلبة، وعقيدة أصيلة واضحة ، تتخذ « القرآن الكريم مصدرا للفكر ، والسنة النبوية الشريفة دليلا للعمل » ، كما أكد ذلك السيد الرئيس الشاذلي بن جديد ، رئيس الجمهورية ، الامين العام لحزب جبهة التحرير الوطني .

(*) سورة الاسراء 9 .

(**) رواه الحاكم عن أبي هريرة في (فيض القدير) .

فالاسلام هو الذى حفظ لشعبنا شخصيته، بالرغم مما تعرض له ، طوال عهود الانحطاط والاحتلال ، من عوامل الفنـــــاء والاضمحلال؛والاسلام ، هو الذى جعله يعي ذاته ؛ ويناضــل من أجل حياة حرة كريمة ، عند ما وجد من يريه أن التمسك باسلامه عن وعي وبصيرة ، هو الكفيل بأن يغير أوضاعه من حال الضعف الى القوة ، ومن اليأس الى الرجاء ، ومن الركود الى العمل ، ومن الاضطهاد والهوان ، الى الحرية والكرامة؛فاليك ـ أيها القارىء الكريم ـ تصوير الإمام ابن باديس لما كان لثورة الاصلاح الدينى من أثر بالغ فى النفوس والعقول ، أخـــرج الجزائر من سباتها الطويل ، وما صاحَبه من شلل عام للطاقات، الى نور الصحوة الدافعة الى الانطلاق والحياة ، اذ يقول ، مخاطبا الشعب الجزائرى في المؤتمر السنوى لجمعية العلماء، سنة 1937م :

« ... حوربَت فيكم العروبةُ حتى ظُن أن قد مَات منكُم عِرقُها، ومسخ فيكُم نطقُها ؛ فجئتم ، بعدَ قرن ، تصدحُ بلابلُكم باشعارِها فتُثير الشعورَ والمشاعرَ ، وتهدرُ خطباؤُكم بشقَاشقها ، فتدك الحصونَ والمعاقلَ، ويهز كتَّابكم أقلامَها، فتصيبُ الكلىَ والمفاصلَ.

« وحورب فيكم الاسلامُ حتى ظُن أن قد طُمستْ أمامكـــم معالمُهُ وانتزِعت منكم عقائدُه ومكارمُه ؛ فجئتم بعــد قرن ، ترفعون علمَ التوحيد ، وتَنشرون من الإصلاح لواءَ التجديد ، وتدعُون الى الاسلام ، كما جاء به محمدٌ ، صلى الله عليه وسلم ، لا كماَ حرَّفَه الجاهلوُن وشوَّهَه الدَّجَّالون ورضيَهُ أعداؤُه .

« وحورب فيكم العِلمُ حتى ظُن أن قد رضيتم بالجَهالَـــة، وأخْلدتم للنذَالةِ ، ونسيتُم كلَّ علم الا ما يرشحُ به لكــم ، أو ما يمزجُ بما هو أضرُّ من الجهل عليكم ؛ فجئتم بعــد قـــرن ،

ترفعون للعلم بناءً شامخاً ، وتشيدون له صرحاً سامقاً ، فأسستم على قواعد الاسلام والعروبة والعلم والفضيلة ، جمعيتكم هذه، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

« وحوربت فيكم الفضيلةُ ، فسمتم الخسف ، وديثتم بالصَّغار حتى ظن أن قد زالت منكم المروءةُ والنجدةُ ، وفارقتكم العزةُ والكرامةَ ، فرئمتم الضيم ، ورضيتم الحيف ، وأعطيتم بالمقادة؟ فجئتم بعد قرن ، تنفضون غبارَ الذل ، وتهزهزون أسسَ التظلم وتهمهمون همهمةَ الكريم المحنق ، وتزمجرون زمجرةَ العزيز المهان ، وتطالبون مطالبةَ من يعرفُ له حقاً لابدَّ أن يُعطـــاهُ أو يأخذهُ » (2) .

حقا ! لقد كانت الجزائر في وضع يهدد كيانها بالذوبـــان والفناء ، ذلك أن الاستعمار الفرنسى ، كما يقول الامام محمد البشير الابراهيمى : « ... صليبي النزعة ، فهو منذ احتـــل الجزائر عامل على محو الاسلام ، لإنه الدين السماوي الذى فيه من القوة ما يستطيع به أن يسُودَ العالَمَ ، وعلى محو العربيـــة لأنها لسانُ الاسلام ، وعلى محو العروبة لأنها دعامةُ الاسلام . وقد استعمل جميعَ الوسائل المؤدية إلى ذلك ، ظاهرةً وخفيةً ، سريعةً ومتأنيةً ، وأوشك أن يبلغَ غايتَه بعد قرن من الزمـــن متصل الايام والليالى ، فى أعمال المحو ، لولا أن عاجَلَتْه جمعيةُ العلماء المسلمين الجزائريين ، على رأس القـــرن ، بالمقاومـــة لأعماله ، والعمل على تخييب آماله » (3) .

لقد كانت نظرة ابن باديس الناقدة النافذة ، تكشف له عما يكمن فى الامة الجزائرية من عناصر القوة والكمال ، مما يؤهلها

---

(2) البصائر • السنة الثانية ــ العدد 83 ــ رجب 1356 هـ (سبتمبر 1937م)

(3) مشكلة العروبة فى الجزائر • محاضرة القاها فى ندوة الاصفياء ، ص 207 دار مصر للطباعة • عام 1955 •

للحياة العزيزة الكريمة ، فوضع منهاجه الاصلاحي العام القائم على الكتاب والسنة، فكان شعاره في دعوته الى الحياة : « **لَا يصْلُحُ آخرُ هذه الأمةِ الاَّ بما صلُحَ بهِ أولُهَا**[*] » ، فالتغيير عنده ، انما هو استجابة طبيعية من الامة ، للحياة متى أحيينا فيها قيم الاسلام ومبادئه السامية ؟ فتغير ما بنفسها ، ليغير الله ما بها ؛ فالدين هو الأساس الأول لكل إصلاح وتغيير ، وقد قال ، موضحا ذلك، ومعللا اختياره الدين ، على السياسة ، للنهوض بالامة :

« وبعد ، فاننا اخترْنَا الخطةَ الدينيةَ على غيرها ، عن علمٍ وبصيرةٍ وتمسكاً بما هو مناسبٌ لفطرتِنا وتربيتِنا من النصحِ والإرشادِ، وبثّ الخيرِ والثباتِ على وجه واحدٍ والسيرِ في خطٍّ مستقيم . وما كنا لنجد هذا كلَّه إلا فيما تفرَّغنا له ، من خدمة العِلم والدين ، وفي خدمتِهما أعظمُ خدمة وأنفعُها للانسانيةِ عامةً .

«ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهرا ، ولضربنا فيه المثل بما عرف عنا ، من ثباتنا وتضحيتنا ، ولقدْنا الأُمـةَ كلَّها للمطالبةِ بحقوقها ، ولكانَ أسهل شيءٍ علينا أن نسيرَ بها على ما نرسمُه لها ، وأن نبلغَ من نفوسها الى أقصى غاياتِ التأثير عليها ؛ فان مما نعلمُه ، ولا يخفَى على غيرنا أن القائدَ الذي يقول للأمة : « إنَّكِ مظلومةٌ في حقوقكِ ، وانَّنِي أريد إيصالَكِ اليها » يجد منها ما لا يجده من يقول لها : « إنكِ ضالةٌ عن أصولِ دينِكِ ، وانَّنِي أريد هدايتَكِ »؛فذلك تُلبِّيهِ كلها ، وهذا يقاومه معظمها أو شطرها وهذا كله نعلَمُه ، ولكننا اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبيّنّا ، وانا ــ فيما اخترناه ــ باذن الله ، لَمَاضُون ، وعليه متوكِّلُون » (4) .

(*) قولة للامام مالك رضي الله عنه .

(4) الصراط السوي . السنة الأولى ــ العدد 15 ــ قسنطينة . رمضان 1352هـ (ديسمبر 1933 م) .

على أن اعتماد ابن باديس ، الدين ، أساسا للنهوض بالامة ، لم يكن منه ، تزهيدا في السياسة؛ بل انه يرى أن النضال من أجل الحرية والسيادة واحد ، وان تعددت مجالاته ، وتنوعت أساليبه ؛ فالدين والسياسة ، عنده ، متكاملان متلازمان ، وقد كانت كل أعماله تؤكد ما قاله ، في محاضرة بعنوان : « **العلم والسياسة** » ، ألقاها بتونس ، على جمعية الطلبة الجزئريين بالزيتونة ـ الذين يعدون واخوانهم بالجامع الاخضر، والقرويين والازهر ، من طلائع النهضة العلمية والوطنية بالجزائر ـ فقد قال :

« ... وكلامُنا اليومَ عن العِلمِ والسياسةِ معا . وقد يَرى بعضُهم أن هذا البابَ صعبُ الدُّخول ، لأنهم تعوّدوا من العلماء الاقتصارَ على العِلمِ والابتعاد عن مَسالِكِ السّياسةِ ، مع أنه لابدَّ من الجمع بين العِلم والسياسةِ ، ولا ينهضُ العلمُ والدينُ ، كل النهوض ، إلا اذا نهضتِ السياسةُ بجدٍ ! ! » (5) .

وقد أكد عمق هذه النظرة الى الاصلاح ، وشموليتها في الوقت نفسه ، محمد البشير الأبراهيمي ، الذى قال ، في خطبة بعنوان « **الاصلاحُ الديني لا يتمُّ الا بالاصلاح الاجتماعي** » ، منددا بالذين يريدون أن يقتصر نشاط الجمعية على الدين وحده بمفهومه الضيق : « **... ويا ويحَ الجاهلينَ أيُريدُون من كلمة الاصلاح أن نقول للمسلم قل :**

لاَ إِلَهَ الاَّ اللهُ مذعناَ طائعاَ ، وصلِّ لربّك أوّاها خاشعاً ، وصُمْ له مبتهلاَ ضارعاَ ، وحُجَّ بيتَ الله أوّابا راجعاَ ، ثم كن ما شئت

---

(5) البصائر - السنة الثانية ـ العدد 71 ـ يونيو 1937 م .

نُهبةً للناهب،وغنيمةً للغاصب ومطيةً ذلولاً للراكب . ان كان هذا ما يريدون فلاَ ولاَ قرة عين ؛ وانما نقول للمسلم اذا فصلنا : كن رجلاً عزيزاً قوياً عالِماً هادياً محسناً كسوباً معطياً من نفسك، آخذاً لها ، عارفاً للحياة ، سَبَّاقاً في ميادينها ، صادقاً صابراً ، هيّنا اذا أُريد منك الخيرُ ، صلباً اذا أردت على الشر.ونقول له ، اذا أجْملْنا : كن مسلماً كما يريدُ منكَ القرآنُ ، وَكَفَى » (6) .

ولكن ، أى اسلام هذا الذى يُحيِي الأمم بعد موتها ، عند ابن باديس ؟ انه الاسلام بمفهومه الصحيح ، عقيدةً ، وعبادةً ، ومنهاجاً كاملاً شاملاً للحياة ، يغنى عن كل المناهج ، ولا يغني عنه أي منهج !

« ان الاسلامَ عقدٌ اجتماعى عامٌّ ، فيه جميعُ ما يحتاجُ اليه الانسانُ ، في جميع نواحِي الحياة ، لسعادتِه ، ورقيّه ، وقد دلّت تجاربُ الحياة كثيراً من علماء الأمم المتمدنة ، على أن لا نَجاةَ للعالَم مما هو فيه ، الا بإصلاحٍ عامٍ، على مبادىء الاسلام؛ فالمسلمُ الفقيهُ فى الإسلام ، غنيٌّ به عن كل مذهبٍ من مذاهبِ الحيــاةِ » (7) .

وهذا الفهم العميق ، الشامل للاسلام ، جعله يصبح فى الناس أن هناك فرقا جوهريا بين اسلامين : اسلام وراثي واسلام ذاتى : « ... **فالاسلام الوراثي حفظَ على الأمم الضعيفة المتمسكةِ به،وخصوصا العربية منها ، شخصيتَها ولغَتَها ، وشيئاً**

(6) آثار الشيخ البشير الابراهيمى ـ الجزء الاول . الطبعة الاول ـ ص 216 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر .

(7) الشهاب : ج 3 ، م 12 .

كثيراً من الأَخلاقِ ترجح به ؛ لكن هذا الاسلام الوراثي لا يمكن أن ينهَض بالأُمم ، لأَنَ الاممَ لا تنهضُ الا بعدَ تنبهِ أفكارِهـــا وتفتُّحِ أنظارِها ، والاسلامُ الوراثي مبني على الجمود والتقليد ، فلا فكرَ ولا نظَرَ ! » (8) .

«...والاسلام الذاتى، هو اسلامُ من يفهم قواعدَ الاسلام، ويدركُ محاسنَ الاسلام ، فى عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله ، ويتفَقَّه ، حسب طاقته ، فى الآيات القرآنيـــة ، والأَحاديث النبوية ، ويَبنى ذلك كلَّه ، على الفكرِ والنظرِ ، فيفرِّق بـين ما هو من الإِسلام ، بحسْنِهِ وبُرهانِه ، وما ليس منه ، بقبْحِـه وبُطلانِه ، فيَحياَ حياةَ فكرٍ وإِيمانٍ وعملٍ» (9) .

وكان من مقتضيات الدعوة التى قام بها الامام ابن باديس للنهوض بالامة ، ان يعمل فى جبهات كثيرة ، ومجالات مختلفة؛ فاتصل بالزوايا ، معاقل المحافظة على القرآن الكريم والثقافة الاسلامية ، وأثر فيها : فجددت من أساليبها وحسنتها ، وبعثت بأبنائها ليدرسوا عنه بقسنطينة ، واصبحوا دعاة للاصلاح ، كما حارب بعض المنتمين الى الدين من الجامدين المتعاملين مع الاستعمار، الذى أدرك خطورة هذه الحركة الاصلاحية على وجـــوده فى الجزائر ؛ فعمل على ايقاف زحفها بكـــل أساليب الترغيـب والترهيب ؛ فاذا ارتفعت أصوات الشعب عاليا ، تطالب بحقها فى الحياة ، سارع الى توزيع المواد الغذائية لاسكاتها ، زاعما ان الدافع لارتفاع تلك الاصوات هو البطون الجائعة ، فيفصح ابن باديس ذلك الزعم بكلمة عنوانها : **«ليس الخبز كل ما نريد»**

(8) الشهاب : ج 3 ، المجلد 14 ، ص 105 .

(9) الشهاب : ج 3 ، المجلد 14 ، ص 105

جـاء فيها : « ... جهلَ قـومٌ من ذوى السلطةِ فَحسبوا ـ وهم جد عالمين بما فيه الأمة من جوع وفاقة ـ أَنّنا قومٌ لا نريــد الا الخبزَ ، وان الخبزَ عندنا هو كـــلُّ شَيء ، واننا اذا مُلِئتْ بطونُنا مهَّدنا ظهورَنا ، وانهم اذا أَعطونا الخبزَ فقد أعطونا كلَّ ما نطلب ؛ اذ الخبز ـ فى زعمهم ـ هو كلُّ ما نريد ، فاذا حادثناهم فى حالنا سَكتوُا عن كلِّ شيء إلا عن الجوعِ والخبزِ ...

« ... لا يا قومُ اننا أَحياء ، واننا نريد الحياةَ وللحياة خُلقْنا، وان الحياة لا تكونُ بالخبزِ وحدَه ، فهنالك ما علِمتم من مَطالِبِنَا العِلميــة والاجتماعية والاقتصاديـــة والسياسية ، وكلُّهـــا ضروريات في الحياة ، ونحن نفهَم جيّدا ضروريتَها للحيَاة . وقد بذلنا فيها لكم ما كان ـ يوما ـ سبباً قويًّا فى حَياتِكـم ، فلا تبخَلوا علينا اليومَ بما فيه حياتُنا ، ان كنتـــم مُنصِفِينَ ، وللأيام والأمم مقدِّرين :

وإلاَّ فاللَّهُ يحكمُ بينَنَا وبينَكُم ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » (15).

واذا لم يفلح المستعمر فى كبت أصوات الحق بملء البطون عمد الى ملء السجون ، برجال السياسة والعلماء الاحـــرار ، ليثنى الامة عن عزيمتها ، لكن ابن باديس يحول تلك الويلات الى مصدر تفاؤل ، يقوى الارادات ، ويبشر بالنصر القريب ؛ فيعلن أن الحياة لا تكون شيئا الا اذا ازدانت بالخطوب ، وحفت بالمكاره ، ويقرر أن السعادة انما هى فى التضحيــة والآلام ، لا فى السلامة والنعيم ؛ فانظر اليه كيف يهنىء أمته المجاهدة بعيد الفطر المبارك ، اذ يقول :

(15) الشهاب : ج 9 ، المجلد 12 ـ رمضان 1355 هـ/ديسمبر 1936 م .

« كنا قبلَ اليوم ، نهنِّيءُ الامةَ الجزائرية ، بمثل هذا العيد وليس لها من مظاهرِ السعادةِ إلا ما نرجُوه لها ونأملُ ؛ أما اليوم، وهي في طور جديد من أطوار حياتها ، هو أساس سعادتها ، طورٌ سامت به شقيقاتِها ، هنا وهنالك ؛ فنهنئُها ، ومن أبنائها من هو سجِين في سبيل العِلْم والهِدَاية ، ومن هو سِجين في سبيل السياسةِ والحقوقِ المغصوبةِ؛وأمة أَخذتْ تقدمُ الضَّحايا في سبيل سعادتِها ، حقيقةٌ بأن تنالَ السعادةَ وتهنأَ بها ... » (12) .

* * *

وقد صدقت الايام رأي إمامنا الحكيم ؛ فان الجزائر لم تنتزع استقلالها وحريتها ، ولم تحقق سيادتها الكاملة الا بتضحيات جسام ، تتمثل في مليون ونصف مليون من الشهداء الابرار ، فليس غريبا أن تكرمه الثورة الجزائرية الوفية لمبادئها ؛ فتربط ، في عهد الاستقلال،ذكرى وفاته (16 افريل) بيوم « العلم » ، معبرة بذلك على أكثر من مغزى :

فاحتفال الجزائر بيوم العلم ، في ذكرى وفاته ، انما هو احتفاء بالمعاني التي يمثلها ابن باديس : احتفاء بالعلم الذى لا يتم شيء صالح للانسان ، في حياته المادية والروحية ، بدونه ؛ واحتفاء بقيم الشعب التي مثلها ، ايمانا وسلوكا ؛ واحتفاء بالتفاني في الجهاد من أجل الشعب والوطن .

فأبن باديس خير أنموذج يحتذيه شباب الجزائر ، في الحاضر والمستقبل ، كما عبر عن ذلك ، شاعر النهضة الجزائرية الحديثة ، محمد العيد خليفة ــ رحمه الله ــ في مناجاته لروح الامام الرائد اذ يقول :

عبدَ الحميد لعلَّ ذكرَكَ خالـدٌ ولعـلَ نُزْلَكَ جنـَّةٌ وحـريرُ
ولعلَّ غرسَكَ فى القرائحِ مثمِرٌ ولعلَ وَرْيَك للعقـولِ منـيرُ
نَمْ هَادئاً؛ فالشَّعبُ بعدَك راشدٌ يختَطُ نهجَك فى الهدَى ويسيرُ
لا تخْـشَ ضَيْعـةَ مـاَ تَـركْتَ لنـا سُـدى
فـالـوارِثـونَ لمـاَ تَـركْتَ كَثـيرُ (13)

لقد كان الامام عبد الحميد بن باديس يؤمن ، ايمانا قويا ، بان نهضة الجزائر ، من كبوتها ، لن تكون الا على سواعد شبابها؛ فعمل على اعداده ــ تعليما وتهذيبا ــ بواسطة مساجد الوعظ والارشاد ، ومدارس التربية والتعليم ، ونـوادى التثقيف والتوجيه ، وجمعيات التكوين والتنظيم، والصحف والمجلات ، لتحرير الوطن من أغلال الاحتلال والاضطهاد ، مزودا بالاسلحة الضرورية لتحقيق النصر !

يـاَ نـشءُ أنـتَ رجـاؤُنـا وبـكَ الصَّباحُ قـدِ اقتـربْ
خُـذْ للحيـاةِ سِلاحَهـاَ وَخُضِ الخُطـوبَ ولا تَهَـبْ

وقد طبق رجال ثورة نوفمبر الظافرة خطته المحكمة هذه ــ بعد أربعة عشر عاما من وفاته ــ وهى تتمثل فى :

أ ــ سحق الظالمين المحتلين :

وأذِقْ نفـوسَ الظـالِميـنَ السُّمَّ يُمـزَجُ بالرهـبْ

ب ــ استئصال جذور الخائنين الذين أعمتهم أنانيتهم عن واجبهم الوطنى المقدس :

واقلَـعْ جُـذورَ الخـائِنيـنَ فمِنهـمُ كـلُّ العَطَـبْ

---

(13) من مقطوعة ارتجلها الشاعر عندما وقف ، لاول مرة ، على قبر الامام . وقد نقشت على رخامة ضريحه .

جـ ـ تعبئة الجامدين حتى يكونوا للوطن لا مع أعدائه :

واهــزُزْ نفوسَ الجامِديـــــنَ فرُبَّما حَيِـيَ الخَشَـبْ

د ـ أن يكون الاستقلال وسيلة الى بناء مجتمع الكفايــــة والعـــدل :

وارْفَـــع منارَ العدلِ والْـــإحْسانِ وَاصدُمْ مَن غَصَبْ

* * *

مادة الكتاب ، ومنهاج الامام فى شرح الحديث :

هذا ؛ وقد اعتمدنا ، فى اعداد هذا الكتاب :

1 ـ الاحاديث النبوية التى شرحها الامام ابن باديس فى مجلته « الشهاب » ، تحت عنوان : « **مجالس التذكير من كـلام الحكيم الخبير وحديث البشير النذير** » .

2 ـ كل ما عثرنا عليه من آثاره المكتوبة، حول السنة النبوية وصاحبها ، صلى الله عليه وسلم ، المنثورة منها والمنظومـــة ؛ مما نشر فى مجلته « الشهاب » ، وفى جرائد جمعية العلماء ، المتعاقبة فى الصدور ، كالسنة والبصائر وغيرهما .

* * *

أما منهجه فى شرح الحديث ، فيتمثل فى الخطوات التالية :

أ ـ تمهيد : يهيىء القارىء لادراك الموضوع الذى يعالجه الحديث النبوى .

ب ـ السند : يذكر فيه الرجال الذين رووا الحديـــث ، ومصادره ورتبته العلمية والعملية .

جـ ـ المتن : يتعرض فيه الى ألفاظ الحديث وعباراته ، والى مختلف الروايات التى ترد بها بعض الاحاديث .

د ــ الالفاظ والتراكيب : يشرح ألفاظ الحديث شرحا لغويا يبرز معانيها ، فى عبارات واضحة ، تساعد على فهم الحديث ، متعرضا ــ فى بعض الاحيان ــ الى ما يتصل ببعض التراكيب من قواعد اللغة وبلاغتها، لمزيد من الايضاح والبيان.

هـ ــ المعنى : يعمد فيه الى ايضاح المعنى العام للحديث ، يستوعب عناصره الاساسية ، ويتعرض لمختلف الاوجه التى ترد بها بعض الاحاديث ، فى تركيز واعتدال .

و ــ استنباطات : يستنبط ما يرشد اليه الحديث النبوى من حقائق وأحكام وقيم مختلفة ، نفسية وأخلاقية واجتماعية وتاريخية وتشريعية وكونية ؛ مطبقا ذلك كله على البيئة الجزائرية والامة الاسلامية ، والمجموعة الانسانية ، على غرار منهاجه فى تفسير القرآن الكريم .

وهذه الخطوات ، كما نرى ، منهجية تربوية شاملة ، تربط الماضى بالحاضر ، وتطبق الاحكام المستنبطة على الواقع العملى ؛ وتوجه الى مواطن القدوة والاسوة ، ببيان ما قامت عليه الاحكام الشرعية ، والآداب الاسلامية ، من علل وأسباب ، وما ترمي اليه من حكم ومقاصد ؛ كل ذلك بأسلوب عربى مبين ، تتقبله القلوب والعقول بالرضا والانشراح ، والاقتناع بأن مبادىء الاسلام ، هى الكفيلة باسعاد المؤمنين العاملين بهديها ، من الافراد والجماعات ، فى كل زمان ومكان .

* * *

ومن المفيد أن نسجل لناشئتنا ، الحريصة على معرفة تاريخ الدعوة الاسلامية ورجالها ، أن المنهاج الذى اعتمده ابن باديس وصحبه ، من علماء الاصلاح بالمغرب الاسلامى ، انما هو امتداد مبارك للثورة الاسلامية التى فجرتها روح الافغانى ،

وأرست دعائمها عبقرية الامام عبده والشيخ رشيد رضا ، بالمشرق الاسلامي ...

وقد سجل هذه الحقيقة الشيخ المرحوم محمد العيد ، اذ يقول مخاطبا ابن باديس ، في الحفل الذي أقيم له بمناسبة ختمه تفسير القرآن الكريم :

حكيتَ جمَالَ الدِّينِ في نَظَرَاتـه
كأنَّ جمالَ الدين فِيكَ مصوَّرُ (14)

وأَشْبهْتَ في فقه الشريعةِ عبدَه
فهلْ كُنتَه؟ أَمْ عبْدُه فيكَ يُنشَرُ ؟

ومما يجب أن تعرفه ناشئتنا ، أيضا ، أن امامنا ابن باديس لم يحقق للجزائر نهضتها المباركة ، على أساس متين من كتاب الله وهدي رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، الا بالتعاون المتين مع اخوانه العلماء العاملين : فقد قال ، رحمه الله ، في معرض الحديث عمن كان لهم الفضل في تكوينه ونجاحه في أعماله ، بعد والديه ومشائخه ، ومشيدا بالروح الجماعية العالية التي تربط بين العلماء الجزائريين في عهده :

« ... ثم (الفضل) لاخواني العلماء الافاضل الذين وازروني في العمل ، منذ فجر النهضة الى الآن : فمن حسن حظ الجزائر السعيد ، ومن مفاخرها التي تتيه بها على الاقطار ، أنه لم يجتمع ، في بلد من بلدان الاسلام ــ فيما رأينا وسمعنا وقرأنا ــ مجموعة من العلماء ، وافرة الحظ من العلم ، مؤتلفة القصد والاتجاه ، مخلصة النية ، متينة العزائم ، متحابة في الحق ، مجتمعة القلوب على الاسلام والعربية ... قد ألف بينها العلم والعمل مثلما اجتمع للجزائر في علمائها الابرار ؛

(14) ديوان محمد العيد ، مطبعة البعث ، قسنطينة 1967 ــ ص 156 .

فهؤلاء هم الذين ورى بهم زنادي ، وتأثل بطارفهم تلادي . أطال الله أعمارهم ورفع أقدارهم » (15) .

رحم الله ابن باديس ؛ فقد قضى كل حياته المباركة ، من أجل الاسلام والجزائر ، في جهاد مستمر كالزمان ، وثبات لا يتزحزح كالجبل ، وايمان لا يتغير كالحق ، ما أحجم عن غايته يوما ، ولا عاقه عن أداء واجبه وعد أو وعيد ، ولا نال من نفسه الابية ترغيب أو ترهيب ؛ بل ظل يواصل ثورته الاصلاحية الشاملة ، حتى النفس الاخير من عمره ، الطافح بجلائل الاعمال ، وحميد الخصال ؛ مما يجعل ذكراه حية في النفوس ، وذكره أنشودة ترددها الالسنة والاقلام ، بحب واعتزاز ، قال الله تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** » (16) .

وقال عليه الصلاة والسلام، فيما رواه مسلم عن أبي هريرة : **« ان الله تعالى اذا أحبَّ عبْداً ، دعاَ جبريلَ عليه السلامُ ، فقال : إني أُحبُّ فلاناً فأَحبَّه ، فيحبُّه جبريلُ ؛ ثم يُنادى في السّماء ، فيقول : إن اللهَ يُحبُّ فلاناً ، فأَحِبُّوهُ ؛ فيحبُّه أهلُ السماء ، قال : ثم يُوضعُ له القَبُولُ في الأرض » .**

* * *

ذلكم ، أيها القراء الكرام ، الامام عبد الحميد بن باديس ، يقدم اليكم نفسه بنفسه ، بما يساعدكم على فهم كتابه : « **مجالس التذكير من حديث البشير النذير** » وغيره من آثاره .

والله نسأل أن يجعلنا خير خلف لخير سلف ، عقيدة وجهادا من أجل الخير والحق والعدل ؛ وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين .

عبد الرحمن شيبان

(15) ش : ج 4 ، م 14 ـ جمادى الاولى 1357 هـ ـ جوان 1938 م .
(16) سورة مريم ـ الآية 96 ـ تفسير القرطبي .

أقســـام الكتـــاب

القسم الاول : مجالس التذكير من حديث البشير النذير .

يتضمن الاحاديث التى شرحها الامام ابن باديس فى مجلة « الشهاب » تحت هذا العنوان .

القسم الثانى : أحاديث فى أغراض مختلفة .

يتضمن موضوعات تدور حول أحاديث نبوية شريفة نشرت فى « الشهاب » وغيرها .

القسم الثالث : موضوعات متصلة بالسنة .

جمعت من مختلف صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

القسم الرابع : موضوعات متصلة بصاحب السنة صلى الله عليه وآله وسلم .

يتضمن مقالات وقطعا شعرية كتبها الامـــام ابن باديس بمناسبة ذكريات المولد النبـــوى الشريف ، ونشرت فى مختلف صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

القسم الخامس : الملحقات .

درس ختم الموطأ ــ الاحتفال بختم الموطأ ــ المصلحون والسنة

مجالس التذكير

ننشر فى هذا الباب من (مجلة الشهاب) ما فيه تبصرة للعقول ، أو تهذيب للنفوس من تفسير آية كريمة ، أو حديث شريف ، أو توضيح لمسألة فى أصول العقائد أو أصول الاعمال معتضدين بأنظار أئمة السلف الذين لا يرتاب فى رسوخ علمهم، وكمال ايمانهم، وأئمة الخلف الذين درجوا على هديهم فى نمط وسط بين الاستقصاء والتقصير .

عبد الحميد بن باديس

الشهاب ج 1 ، م 5

رمضان 1347 هـ، فيفرى 1929 م

خطبة الافتتاح

« نورد فيما يلي الخطبة التي يفتتح بها الشيخ ابن باديس درسه في التفسير والحديث »

* * *

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ...

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله ..

أما بعد فان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ...

مجالس التذكير

من حديث البشير النذير

18* مجالس التذكير

الآيـة الخـالـدة
لنبوة خاتم الانبياء والمرسلين
ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أبو هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ : (مَا مِن الأَنبياءِ نبيٌّ إلا أُعطِيَ من الآيَات مَا مِثلُهُ آمَنَ عَليهِ البشَرُ ، وانَّما كان الذِى أُوتِيتُهُ وحياً أوحَاهُ اللّـه اليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابِعاً يومَ القيَامَةِ) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

* * *

لما كان المقصود من الرسالة هو هداية الخلق ، واقامة الحجة عليهم ، كان الرسل (ص) أكمل الناس فى أخلاقهـم ، وانزههم فى سيرتهم ، معروفين بذلك بين أقوامهم قبل نبوتهم ، ثم اذا بعثهم الله تعالى آتاهم من العلم وقوة الادراك ووضوح البيان ما تنهض به حجتهم ، وتتضح به دعوتهم ، ويقطع بكل من يعارضهم بشبهة ، ويموه بباطل . واذا قرأت ما قصه علينا القرآن العظيم من مواقف الانبياء فى دعوتهم لاقوامهم ـ رأيت كيف أنهم كانوا يدعون الناس بالحجج والبراهين ، والادلـة العقلية الجلية ، وأنهم كانوا اذا سئلوا الآيات المعجزات الخارقة للعادة ردوا الامر الى الله ، ونفوا أن تكون لهم قدرة على الاتيان

بها الا باذن الله كما قال تعالى : « **وَمَا كَانَ لَنَآ أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ** » . فيظهر الله على ايديهم الآيات تأييدا لهم وتخويفا لأقوامهم ، وقطعا لمشاغبتهم ، فيخضع لها بعضهم ، ويستمر الاكثرون على العناد، فما من نبي من الانبياء الا وقد أعطاه الله من الآيات والمعجزات ما مثله في وضوحه وظهوره ، والعجز عن معارضته ما يؤمن عليه العباد ، ويتفقون عليه لولا ما يصدهم عنه من العناد،وهو معنى قوله (ص) : (ما من الانبياء نبي الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) .

والنبي ـ ص ـ قد أوتى مثل هذه الآيات ، وقد نقل الكثير منها كثير من أصحابه ـ ض ـ واشتهرت عند أئمة الحديث والنقل ، غير أن آيته الخالدة العامة الدائمة كعموم رسالته ودوامها هى : القرآن العظيم ، وهو الوحي الذى أوحاه الله اليه،فهى المعول عليها فى دوام الحجة على تعاقب العصور والاجيال،اذ لا يقوم غيرها مقامها فى بقائها مشاهدة لجميع الناس،ولذا حصر آيته فيها فقال : (وانما كان الذى أوتيته وحياً أَوْحَاه الله اليّ) .

« تفرقة وترجيح » :

آيات الرسل (ص) كانت معجزات كونية لا يشهدها الا من حضرها ثم تبقى أخبارا يمكن للجاحد انكارها ، ويتأتى للمشاغب أن يصنع من الخزعبلات والمخارق ما يموه به على ضعفة العقول ويدعى مُمَاثلتها . وآية النبى ـ ص ـ وهى القرآن العظيم ـ معجزة علمية عقلية يخضع لسلطانها كل من يسمعها ويفهمها ولا يستطيع معارضتها ، لا فى لفظها وأسلوبها وبيانها الذى عجزت عن معارضة أقصر سورة العرب على ما كان من حميتها وأنفتها وشدة رغبتها فى ابطالها لو وجدت سبيلا

اليها فقط ـ بل لا تستطاع معارضتها فيما اشتملت عليه من أصـــول العلوم التى يحتاج اليها البشر فى كمالهم وسعادتهم أفرادا وجماعات وأمما ، وما اشتملت عليه من الادلة القاطعة والحكم الباهرة ، فى كل ما دعت اليه الى ما اشتملت عليه من حقائق كونية كانت مجهولة عند البشر حتى كشفها العلم فى هذا العصر مثل انبياء الخلق كله على أساس الزوجية فى أشياء كثيرة . مصداق قوله تعالى : « **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ** » .

فبهذا كانت آية النبى ـ ص ـ أعظم الآيـات وأبقاها ، وكانت مغنية عن غيرها كافية عما عداها . كما قال الله تعالى : « **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ** » .

« تفـــريـــع » :

لما بقيت هذه الآيـــة الكبرى على العصور ـ وانبنت عـــلى الاحتجاج بالعلم والعقل كان لها فى كل عصر أتباعها الكثيرون عن اقتناع واطمئنان ، ويزداد ويكثر عددهم بتوالى الازمان ، ويكثر الداخلون فيهم بقدر ما يزداد تقدم البشر فى العلـم والعرفان ، وقد شوهد هذا اليوم وقبل اليوم ، ونحن نرى فى هذا العصر كيف ينتشر الاسلام تباعا لهذه الآية بين الامم وفى علمائها دون نشر للدعوة من المسلمين تبينها ، ولا قوة لهـم تؤيدها، وانما بما فيه من علم وحجة وأدبوحكمة تخضع العقول وتجذب القلوب ، ولهذا فرع النبى ـ ص ـ على كون آيته وحيا رجاء أن يكون أكثر الانبياء ـ ص ـ اتباعا يوم القيامة الذى تظهر فيه التابعية الصادقة فقال : (فأرجو أن أكون أكثرهـم تابعا يوم القيامة) .

« انفراده ـ ص ـ بالاتباع من يوم بعثته » :

ليس المنتمون لموسى (ص) ولعيسى (ص) باتباع لهم، لأن دعوة الانبياء ـ ص ـ واحدة ، ودينهم ـ وهو الاسلام ـ واحد ، وان اختلفت بعض الفروع العملية فى شرائعهم ، فمن لم يؤمن بواحد منهم كمن لم يؤمن بهم كلهم، وما كان محمد (ص) بِدعاً من الرسل ، وما جاء الا بمثل ما جاؤوا به ، وما جاء الا مصدقا لهم ، فالذين لم يتبعوه من المنتمين اليهما ـ عليهما السلام ـ غير متبعين لهما ، فانقطعت تابعيتهما ببعثة محمد ـ ص ـ . فمن آمن به كان من أتباعه والا كان من الهالكين(1). وقد قال صلى الله عليه وسلم : (والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار) رواه مسلم .

« ائتســـاء » :

كل داع له من الاجر مثل أجور من اتبعه على دعوته لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، فرجا النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كثرة أتباعهم ، اذ فى ذلك انتشار الهداية ، وكان (ص) أحرص الناس على هداية الناس وفى ذلك مضاعفة أجره وجزائه عند الله ، فلنا فيه الاسوة الحسنة بالحرص على نشر هدايته ، وتبليغ دعوته ، ورجاء كثرة الاجر والثواب بكثرة ما توفر من اتباعه ، فليعمل العاملون لهذا وليجتهدوا فيه .

وقد رجا النبى ـ ص ـ كثرة اتباعه لدوام وظهور آيته الخالدة وهى القرآن العظيم ، فعلى الناشرين لهدايته ، والمبلغين لدعوته . أن يجعلوا القرآن امامهم وحجتهم ومرجعهم ، فانه

---

(1) فى الاصل : من المهالكين .

هو كتاب الدعوة ، ومنشور الهداية ، ومظهر الحجة ، وأتباع النبى ــ ص ــ هم أتباع القرآن وخلفاؤه فى التبليغ ، وورثته فى العلم هم الذين يبلغون القرآن ويتلون القرآن ، وينذرون بالقرآن كما كان هو ــ ص ــ كذلك وكما قال الله فيه : « **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** » ، « **لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** » « **إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ** » .

جعلنا الله ممن اتبعوا سنته ، ونشروا هدايته ، وبلغوا حجته غير مبدلين ولا مغيرين (1) .

---

(1) ش : ج 3 ، م 11 ــ غرة ربيع الاول 1354 هـ ــ 3 جوان 1935 م .

التوجه الى اللـه ، برسول اللـه

صلى الله عليه وآله وسلم

قال أبو عيسى الترمذى : (حدّثنا محمود بن غيلان نا عثمان ابن عمر نا شعبة عن أبى جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم فقال أدعُ اللـه ان يعافينى . قـال ان شئتَ دعوتُ وان شئت صبرتَ فهـو خـير لك . قال : فـادْعُه . قال : فأمره ان يتوضأ فيُحْسِن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : أللهمَّ انى أسألك وأتوجّه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة انى توجّهتُ بك الى ربّي في حاجتي هذه لِتُقْضَى لي، اللهم فشفِّعه في . هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا مـن هذا الوجه مـن حديث أبى جعفر وهو غير الخطمى) .

* * *

السند : محمود بن غيلان ثقة من رجال البخارى ومسلم . عثمان ابن عمر هو ابن فارس العبدى المتوفى سنة 209 ثقـة روى عنه الستة،وهو الراوى عن شعبة ولهـم عثمان بن عمر ابن موسى التيمى متقدم غير هذا،أبو جعفر . هكذا عند الترمذى غير منسوب وقال فيه هو غير الخطمى يعنى أبا جعفر يزيد بن عمير الانصارى الخطمى، لكن ابن ماجه قال:حدثنا أحمد بن منصور

ابن يسار ثنا عثمان بن عمر ثنا شعبة عن أبي جعفر المدني الى آخر السند والمتن . فصرح بأنَّ أبا جعفر هو المدني . وهذا هو أبو جعفر القارى يزيد بن القعقاع.قال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث وكان امام أهل المدينة في القراءة فسمي القارىء لذلك . عمارة بن خزيمة بن ثابت الانصارى روى له أصحاب السنن الاربعة،وثقه النسائي وابن حبان وابن سعد . عثمان ابن حنيف هو الانصارى الاوسى الصحابي المشهور .

مخرجو الحديث : رواه ابن ماجه في باب ما جاء في صلاة الحاجة من سننه والنسائي والحاكم والبهيقي وابن خزيمة والطبراني .

رتبة الحديث العلمية والعملية. قال فيه الترمذى كما تقدم : حسن صحيح غريب . فالصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله الى آخر سنده سالما من العلة والشذوذ . فاذا خف الضبط في بعض رواته فهو الحسن .

وما يقول فيه أبو عيسى الترمذى حسن صحيح أقوى مما يقول فيه حسن فقط لان وصفه بالصحة مع وصفه بالحسن يفيدان خفة الضبط في بعض رجاله تكاد لا تؤثر عليه حتى كانها لم تحطه عن رتبة الصحيح التام . واما الغريب فهو ما انفرد بروايته راوٍ فقط . واذا كان ذلك المنفرد ثقة فذلك الانفراد لا يضر . فالغرابة لا تنافي الصحة والحسن،وغرابته جاءته من انفراد ابى جعفر به كما تقدم . وصححه أيضا ابن ماجه والحاكم والبيهقي والطبراني . فبعدما عرفنا من حال سنده وتصحيح هؤلاء الائمة له حصل لنا العلم الكافي – وهو الظن الغالب – بثبوته . وحيث كان بهذه المنزلة من الثبوت فانه صالح لاستنباط الاحكام الشرعية العملية منه .

ألفاظ المتن : زاد ابن ماجه بعد قـوله (فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه) قوله (ويصلي ركعتين) ولذلك اخرجه في باب ما جاء في صلاة الحاجة . وهذه زيادة عـدل فهي مقبولة والامر بالوضوء مما يؤيدها ، وزاد النسائي بعد قوله اللهم شفعه في : وشفعني في نفسي،فرجع وقد كشف الله عن بصره .

المفردات : (التوجه) الى الشيء هو القصد اليه فاتوجه اليك أي أقصد اليك و (الباء) في بنبيك وفي اني توجهت بك هي باء الاستعانة والمستعان به هو السبب المحصل للمستعان عليه ولذلك جعل بعضهم باء الاستعانة من باء السببية فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مستعان به على السؤال أي على نجح السؤال بحصول الشيء المسؤول من الله تعالى ومستعان به على التوجه بمعنى القصد،أي على نجح ذلك القصد بحصول المطلوب منـه تعالى فهو متوصل بـه الى نجح السؤال ونجح القصد،وكل مـا يتوصل به الى شيء يقال فيه وسيلة اليه،فالسؤال به توسل بـه، فيمكن ان تسمى هذه الباء باء التوسل وهي الداخلة على ما هو وسيلة في حصول شيء . و « الهاء » في قوله فادعه هاء السكت أو ضمير عائد على الله تعالى « الشفاعة » سؤال الخير لغير السائل، فقوله شفعه في أي اقبله في أي اقبل دعاءه وسؤاله لي .

التراكيب : قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك ، وقوله اني أتوجه بـك،يحتمل ان يكون عـلى ظاهره ، فالسؤال والتوجه والتوسل بذات النبي صلى اللـه عليه وآله وسلم نظرا لمقامه عند الله تعالى ، ويكون هذا نظير قول القائل اسألك بالله من قوله تعـالى : « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ »

وفي سنن أبي داوود والنسائي مرفوعا « ومن سألكم بالله فاعطوه » وقوله اسألك بالرحم من قوله تعالى : « وَالْأَرْحَامِ » بالجر في قراءة الشاميين،وقول عائشة لفاطمة رضي الله تعالى

عنهما «عزمت عليك بما لى عليك من الحق لما حدثتنى ما قال لك رسول الله صلى اللـه عليه وآله وسلم» ويحتمل ان يكون على تقدير مضاف هكذا بدعاء نبيك فى العبارة الاولى وبدعائك فى العبارة الثانية لانـه انما سألـه ان يدعو له ، فيكون التوسل بدعائه ، ولقوله فشفعه فى،أى اقبل دعاءه لى . وجملة فشفعه معطوفة على جملة اسألك . وجملة انى توجهت بـك معترضة بين المتعاطفين .

المعنى : هذا رجل أعمى جاء الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يسأله ان يدعو الله تعالى له ان يشفيه من العمى ، فخير بين ان يدعو له وان يصبر على بلواه،واخبره ان الصبر خير له من جهة الاجر والمثوبة ، فاختار الرجل ان يدعو له فأمره ان يتوضأ وضوءا حسنا مستكملا لفرائضه وفضائله فى ظاهره وباطنه وان يصلى ركعتين ويدعو بالدعاء المذكور . والظاهر انه بعد الفراغ من الركعتين مثل ما جاء فى دعاء الاستخارة بعد ركعتيها . وكان الدعاء سؤالا من الله تعالى وتوجهـا اليه وتوسلا بنبيه أو بدعائه وثناء على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بما بعثه الله به من الرحمة المناسب ذكرها غاية المناسبة فى مقام الدعاء والتوسل ، وخطابا له عليه السلام بانه توجه به الى ربه لتقضى حاجته ثم رجوعا الى سؤال الله تعالى ان يقبل فيه شفاعة النبى صلى الله عليه وآلـهوسلم .

سؤال : الرجل قد اختار ان يدعو له فأمره ان يتوضأ ويصلى ويدعو بذلك الدعاء ولم يدع هو له مع انه قد قال له فى التخيير ان شئت دعوت وان شئت صبرت .

جوابه : الظاهر انه دعا لـه وان لم يصرح بذلك فى متـن الحديث لقول الاعمى اللهم شفعه في،أى اقبل دعاءه وسؤاله لى .

الأحكام : لم يدع الأعمى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولـم يسأله ان يشفيه هـو لأن الدعاء لقضاء الحوائج وكشف البلايا ونحو ذلك هو العبادة ، وفى حديث النعمان بن بشـير المرفوع:(الدعاء هـو العبادة) رواه أحمد وأصحاب السنن . والعبادة لا تكون الا لله لم يدعه لا وحده ولا مع الله لان الدعاء لا يكون الا للـه . وهذا بخلاف ما يفعله الجهال والضلال مـن طلبهم من المخلوقين من الاحياء والاموات ان يعطوهم مطالبهم ويكشفوا عنهم بلاياهم،وانما سأله ان يدعو له الله تعالى ان يعافيه وهذا جائز أن يسأل المؤمن من أخيه فى حال حياته ان يدعو الله تعالى له ، ومن هذا حديث البخارى فى سؤال أم أنس ابن مالك من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان يدعو لأنس خادمه فدعا لـه ، ومن هذا ما رواه الترمذى وأبو داوود عن عمر بن الخطاب قال استأذنت النبى (ص) فى العمرة فاذن لى وقـال: اشركنا يـا أخى فى دعائك ولا تنسنا، زاد فى روايـة الترمذى فقال كلمة مـا يسرنى ان لى بها الدنيا . يعنى قـوله اشركنا الخ ، ثم انه توسل بذاته بحسب مقامه عند ربه، وهذا على الوجه الاول مـن الوجهين المتقدمين فى فصل التراكيب، أو توسل بدعائه وهذا على الوجه الثانى منهما. فمن أخذ بالوجه الاول قال يجـوز التوسل بذاته، ومن أخـذ بالوجه الثانى قال انما يتوسل بدعائه ، ثم ان من أخذ بالوجه الاول فهذا الدعاء حكمه باق بعد وفاته كما كان فى حياته ، ومن أخـذ بالوجه الثانى لا يكون بعد وفاته لان دعاءه انما كان فى حياتـه لمـن دعا له . فالوجهان المتقدمان كما ترى ـ هما مثـار الخلاف فى جواز التوسل بذاته وعدم جوازه ، فمـن أخـذ بالوجه الاول جوز، ومن أخذ بالثانى منع .

سؤال : فأن قلت قد عرفنا القولين وعرفنا مدركهما فما هو الراجح عندك منهما .

جوابه : الراجح هو الوجه الاول الذى يجيز السؤال بذات النبى صلى الله عليه وآله وسلم نظرا لمقامه العظيم عند ربه لوجهين،الاول : ان ذلك هو ظاهر اللفظ ولا موجب للتقدير ولا منافاة بين ان يكون فى قوله اسألك واتوجه اليك بنبيك وقوله انى توجهت بك قد سأل بذاته ، وفى قوله اللهم شفعه فى قد سال قبول دعائه له وسؤاله ـ والثاني انه لما كان جائزا السؤال من المخلوقين بما له مقام عظيم عندهم فلا مانع من ان يسأل الله تعالى بنبيه بحسب مقامه العظيم عنده .

سؤال آخر : بعدما رجحت جواز التوسل بذاته صلى الله عليه وآله وسلم نظرا لمقامه العظيم عند الله تعالى ، فهل يقاس عليه غيره من كل ذى مقام عند الله تعالى فيتوسل به أو يكون هذا مقصورا عليه ؟

جوابه : القياس فى باب العبادات ضعيف واذا ارتكب هنا فلا يقاس عليه الا كل ذى مقام محقق عند الله تعالى .

سؤال آخر : بعد ما عرفنا حكم سؤال الله تعالى باهل المكانة عنده من مخلوقاته فهل الافضل هو سؤاله بمخلوقاته أو سؤاله باسمائه وصفاته واعمال العبد فى طاعاته ؟

جوابه : الأفضل هو سؤاله تعالى باسمائه وصفاته وأعمال العبد فى أنواع طاعاته ، وذلك لوجهين:الاول ان ذلك هو مقتضى النص القرآنى الصريح القطعى فى قوله تعالى : « **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** » ويشمل ذلك تسميته بها ونداءه بها وسؤاله بها.الوجه الثانى ما جاء فى السنة العملية فى احاديث كثيرة ثابتة مستفيضة كان سؤاله تعالى فيها كلها

باسمائه وصفاته، منها حديث (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك الخ) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود ومنها حديث رجل كان يصلى في المسجد فقال اللهم انى أسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حى يا قيوم أسألك . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم دعا الله باسمه الاعظم الذى اذا دعي به أجاب واذا سئل به اعطى . رواه أصحاب السنن الاربعة من طريق أنس .

ومنها حديث، انى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، رواه النسائي والحاكم من طريق عمار بن ياسر، وهكذا سائر الاحاديث التي جاءت في هذا الباب كلها متواردة على دعاء الله تعالى باسمائه وصفاته . وهي كلها تحقيق وبيان لقوله تعالى: « وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا » . هذا كله في دعائه تعالى باسمائه وصفاته واما ما جاء في دعائه والتوسل اليه بعمل العبد في أنواع طاعاته فمنها حديث بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلا يقول: اللهم انى أسألك بانى أشهد (والشهادة عمل العبد) انك انت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لقد سألت الله بالاسم الاعظم الذى اذا سئل به اعطى واذا دعى به أجاب، رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم الا انه قال: لقد دعوت الله باسمه الاعظم وقال صحيح على شرط الشيخين، قال الحافظ عبد العظيم المنذرى قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي: واسناده لا مطعن فيه. ومنها حديث الثلاثة الذين آووا الى غار فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها

صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعله يفرجها عنكم، فدعا أحدهم ببروره والديه فانفرجت منها فرجة ، ودعا الثاني بعفته عن الزنا بعد ما كاد فانفرجت فرجة ، ودعا الثالث بوفائه لأجيره فانفرجت البقية . وهذا حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما . ومن ذلك حديث سارة زوج ابراهيم عليه السلام لما مد الجبار الظالم اليها يده يريدها على السوء ، قامت توضأ(1) وتصلي وقالت : (اللهم ان كنت آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجي الا على زوجي فلا تسلط على الكافر » فغط حتى ركض برجله ، فقالت : (اللهم ان يمت يقال هي قتلته) فأرسل فعاد اليها وعادت الى الدعاء كالمرة الاولى ، وفي الثانية تركها وقال : ارجعوها الى ابراهيم . رواه مفصلا البخارى فى كتاب البيوع من صحيحه من طريق أبي هريرة ، فانظر اليها كيف توسلت لربها بايمانها الذى هو أشرف أعمالها ، وبعفتها واحصانها لفرجها ، ولم تتوسل اليه برسوله وخليله زوجها ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

سؤال آخر : بعد ما عرفنا رجحان سؤاله تعالى بالاسماء والصفات والطاعات ، فهل ثبت عن الصحابة سؤالهم وتوسلهم بذاته ؟

جوابه : لم يثبت عن واحد منهم شيء من ذلك فيما لدينا من كتب السنة المشهورة ، بل ثبت عدولهم عن ذلك فى وقت مقتض له لو كانوا يفعلونه ، وذلك فى حديث استسقاء عمر بالعباس رضى الله تعالى عنهما . فقد أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وانا

(1) اصله : تتوضأ فحذفت احدى التائين للتخفيف .

نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيسقون . ومعنى الحديث انهم كانوا يتوسلون بالنبى (ص) يدعو لهم فى الاستسقاء ويدعون ، ثم صاروا يتوسلون بالعباس فيدعو لهم ويدعون ، فالتوسل هنا قطعا بدعائهما لا بذاتهما . ووجه الاستدلال بهذا الحديث على مرجوحية التوسل بالذات : أن الصحابة لم يقولوا فى موقفهم ذلك : اللهم انا نتوسل اليك بنبينا ، أى بذاته ومقامه ، بل عدلوا عن ذلك الى التوسل بالعباس يدعو لهم ويدعون كما كان النبى (ص) يفعل فى الاستسقاء .

ولقد استدل بعضهم بعدول الصحابة عن التوسل بذات النبى (ص) فى هذا المقام على منعه . ونحن لما بينا قبل من دليل جوازه انما نستدل بعدولهم على مرجوحيته .

سؤال آخر : قد عرفنا فيما تقدم مشروعية سؤال المؤمن من أخيه المؤمن فى حياته أن يدعو له ، فهل يشرع الذهاب الى القبر وطلب الدعاء من الميت !

جوابه : لو كان هذا جائزا لفعله الصحابة فى الحديث المتقدم ، ولذهبوا لقبر النبى (ص) يسألونه أن يدعو لهم كما كان يدعو لهم فى حياته ، ولم يرد فى حديث عن واحد منهم انه كان يذهب الى القبر النبوى ويطلب منه (ص) أن يدعو له. بل جاء عن ابن عمر ـ وهو من عرف بشدة اتباعه وتحريه ـ أنه كان يقف فيسلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم على أبى بكر ، ثم على عمر رضى الله تعالى عنهما ، ثم ينصرف ، لا يزيد شيئا ، خرجه مالك فى الموطأ .

تلخيص وتحصيل : تحصل لنا من جميع ما تقدم :

1 ـ أن دعاء المخلوق وحده أو مع الله ممنوع .

2 ـ وأن التوسل بدعائه فى حياته ـ وهو من المؤمنين ـ مطلوب ومشروع .

3 ــ وأن التوسل بذات النبى صلى الله عليه وآله وسلم جائز مرجوح .

4 ــ وأن التوسل بذات غيره من أهل المكانة المحققة له وجه فى القياس .

5 ــ وأن التوسل بذات غيره ممن ليس لنا اليقين القاطع بمقامه لا وجه له .

6 ــ وأن طلب الدعاء منه بعد موتــه بدعة لم يفعلهـا الصحابــة .

7 ــ وأن الراجح فى التوســل الى الله هو التوسل اليـه بأسمائه وصفاته وأعمال العبد فى أنواع طاعاته .

هذه سبع مسائل كثر فيها هذه الايام القال والقيل ، وتعرض لها من الكتاب الاصيل والدخيل ، وقد من الله بتحريرها على هذا الوجه الذى لم أره لغيرى ، وقد كنت فى تحريرها ــ علم الله ــ باحثا منصفا متجردا ، فما كان فيها من حق وصواب فهو من الله ، وما كان فيها ــ عياذا بالله ــ من باطل وخطإ فهو منى ، واستغفر الله ، والخير قصــدت ، وحسبنا الله ونعم الوكيــل (1) .

(1) ش : ج 3 ، م 8 ــ غرة ذى القعدة 1350 هـ ــ 1932 م .

فضـــل السجــود والحث عليه

(قال ربيعة بن كعب الاسلمى كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتيته بِوَضوئه وحاجَته فقال لى: سَلْ ، فقلت:أسألك مُرافقتَك فى الجنة ، قال : أوغيرَ ذلك ؟ قلت : هو ذاك ، قال : فأعِنِّى علَى نفسِك بكَثرةِ السُّجُودِ) .

رواه مسلم واللفظ له وأبو داوود والطبراني في الكبير .

* * *

الـــــــراوي :

هو أبو فراس قديم الصحبة ، كان من أهل الصفة يـــلازم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى السفر والحضر ، مات سنة ثلاث وستين .

الالفــــــاظ :

مع : ظرف مكان مبهم واسع،وهو كان يبيت عند بابه كما في رواية الطبراني وذلك هو المراد من مــــع هنا . حاجته : ما يحتاج اليه غير الوضوء أو على وجه تسكينها هى،أو الــتى للتخيير أو للاضراب ، وعلى وجه فتح الواو هما كلمتان : همزة الاستفهام والواو العاطفة،هو أى مسؤولى ذلك أى المذكور وهو

المرافقة . الاعانة : مشاركة الفاعل فى العمل ليخف عليه ويسهل وينتهى منه الى غرضه .

التـراكيـب :

حذف مفعول سل للتعميم وهو المناسب لمقام الافضال فى النوال . غير : معطوف على مرافقتك من عطف لفظ فى كلام على لفظ فى كلام آخر عند ما يقصد المتكلم ربط كلامه بكلام المتكلم قبله لنحو تلقينه فيكون مجموع الكلام هكذا : أسالك مرافقتك فى الجنة أو غير ذلك ، والكلام وان كان خبرا فهو فى قوة الطلب ولذلك كانت أو للتخيير . هذا كله على وجه أو التى للتخيير ، وأما اذا كانت للاضراب فتقدير الكلام : بل أسأل غير ذلك . واما اذا كانت الهمزة لِلاستفهام فان الواو عطفت جملة على جملة وتقدير الكلام اتترك ما سألت وتسأل غير ذلك ، والاستفهام هنا المراد به الطلب يطلب منه ان يترك سؤال المرافقة ويسأل غيره . هو ذاك هو تفيد الحصر أى مسؤولى ، هو المرافقة لا غيرها .

المعـنى :

كان هذا الصحابى رضى الله تعالى عنه يخدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويبيت عند باب بيته لياتيه بما يحتاج اليه من ماء يتوضأ به أو غيره ، فأراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان يجازيه على خدمته فأمره ان يسأله ليعطيه ، فأعرض هذا الصحابى عن جميع مطالب الدنيا وسأله أعز مطلب فى الآخرة وهو مرافقته له فى الجنة ، ولما كانت هذه المرافقة تقتضى درجة رفيعة فى الجنة أخص من مطلق دخول الجنة وهذه الدرجة تقتضى العمل الشاق،حاول النبى صلى الله عليه وآله وسلم صرفه عن هذا السؤال الذى فيه العمل الشاق الذى ربما لا يطيقه

الى غيره مما هو أسهل من المطالب ، فصمم الصحابى على سؤاله وأبى ان يسأل غيره ، فقبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم سؤاله على ان يعينه على نفسه لتحصيل المطلوب ، وأرشده الى ما هو وسيلة فى رفع الدرجات ، وهو كثرة السجود ، فان العبد لا يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة كما ثبت فى الصحيح .

زيـــادة بيـــان :

قد جاء هذا الحديث عند الطبرانى بأبسط من رواية مسلم، وذكر الرواية المطولة يوضح لنا الرواية المختصرة ، وروايـة الطبرانى كما فى « الترغيب والترهيب » هى هذه : (قال كعب كنت اخدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم نهارى فاذا كـان الليل آويت الى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبت عنده . فلا أزال أسمعه يقول سبحان الله سبحان الله سبحان ربى حتى أمل أو تغلبنى عينى فانام ، فقال يوما يا ربيعة سلنى فأعطيك ، فقلت انظرنى حتى انظر ، وتذكرت ان الدنيا فانية منقطعة، فقلت: يا رسول الله أسألك ان تدعو الله ان ينجينى من النار ويدخلنى الجنة، فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال من أمرك بهذا ؟ قلت ما أمرنى به أحد ، ولكنى علمت ان الدنيا منقطعة فانية وأنت من الله بالمكان الذى أنت منه ، فأحببت ان تدعو الله لى ، قال انى فاعل فأعِنّي على نفسك بكثرة السجـــود) .

النظر فى الروايتين :

بينت المطولة أنه كان يخدمه بالنهار والليل ، وانه ما سأل الا بعد النظر والتفكر ، وانه لم يسأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان يعطيه الجنة وانما سأله ان يدعو الله تعالى له لعلمـه

أن دعاءه مستجاب ، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم وعده بانه يفعل ما طلبه منه وهو دعاء الله تعالى له . غير ان الرواية المطولة فيها انه سأل النجاة من النار ودخول الجنة ، والرواية المختصرة فيها انه سأل مرافقته له فى الجنة وهى أخص من مطلق الدخول .

الجمع والترجيح :

كل ما فى المطولة مما هو زائد على المختصرة غير معارض لشيء فيها ، فهو مع المختصرة حديث واحد روى مطولا مختصرا وان تفاوتت طريقاه . وما جاء فيها معارضا لشيء فى المختصرة وهو سؤال دخول الجنة المعارض لسؤال المرافقة ، فاننا نأخذ بما فى المختصرة ترجيحا لها لقوة سندها .

توجيه :

المرافقة فى الجنة لا تقتضى المساواة فى المنزلة والكرامة ، أصله قوله تعالى : « **فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ** (الى) **وَحَسُنَ أُوْلَٰئِكَ رَفِيقًا** »، ولهذا سألها هذا الصحابى: ولما كان من الملازمين للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الدنيا توجهت همته الى مرافقته فى الأخرى فسأله ذلك .

فوائد الاحكام :

فى الحديث جواز قبول التبرع بالخدمة من الناس وخصوصا لاهل المقامات العامة فى مصالح الناس ، وفيه فضل القيام من جوف الليل ـ من قوله آتيه بوضوئه ـ وفيه سنة مكافأة المحسن على احسانه ، وفيه مشروعية سؤال الدعاء وخصوصا ممن ترجى له الاستجابة ، وفيه عدم الاكتفاء بالدعاء وحده عن التوسل

بالطاعات ونوافل الخيرات ، وفيه فضل السجود والحث عليه ، وفيه دليل لمن يقول بافضلية كثرة السجود على طول القيام .

إرشـــاد وتحـــذيـــر :

سأل هذا الصحابى النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو له الله ولم يسأله هو ان يعطيه الجنة ، لان الذى يعطى هو اللـــه تعالى ، ولان الذى يسأل منه العطاء هو الله تعالى ، كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس فيما رواه :

(واذا سألت فأسأل الله) ، فمن المخلوق تسأل الدعاء ومن الخالق تسأل العطاء . ومن أدلة الاول هذا الحديث ، ومن ادلة الثانى حديث ابن عباس المذكور . وكثير من الناس من يسألون ممن يعظمون نفس العطاء وخصوصا من الاموات ــ رحمهم الله ــ فى قبورهم . فارشدهم بمثل ما سمعت وحذار أن تكون منهم . الترمذى وقال حسن صحيح .

بيـــان عقيـــدة وإبطـــال أدِّعـــاء :

لما سأل هذا الصحابى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعده بالدعاء وأرشده الى العمل الصالح وهو كثرة السجود ، ولـــم يقل له النبى صلى الله عليه وآله وسلم اننى ضامن لك ذلك ، ولا أنت مضمون ، ولا أنت فى ضمانى ، لان العبد لا يجوز له ان يضمن على خالقه بدون اذنه شيئا،واذا كانت الشفاعة التى هى طلب منه لا تكون عنده الا باذنه فكيف الضمان الذى هو التزام على القطع ، فمن الغرور العظيم والجهل الكبير والجراءة الكبرى على الله تعالى قول بعض المدعين (روح راك مضمون) وقول آخرين (من دخل دار كذا فهو مضمون) و (أنا ضامنى الشيخ) و (يا دار الضمان) ونحو ذلك . مما يقوله الجاهلون ، وينكره العالمون ، ويبرأ منه الصالحون .

حقيقـــة نفسيـــة :

العبد بين داعيين مختلفين ، دينه يدعوه الى الحسنى وينهض به للعلاء ، ونفسه تدعوه الى السوأى وتنحط به الى الحضيض . ولا ينحط المسلم عن مقامات الكمال الا باجابته داعي نفســه واعراضه عن داعي دينه . فالنفس هي الجاذب القوى الى دركات الانحطاط . ولما كان دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الصحابي سببا في رفــع درجاته وكانت نفسه اذا خلاها عــلى هواها مانعة له من ذلك الرفع فصار الدعاء النبوي والنفس الامارة كالمتنازعين فيه ـ أمره بان يعينه على نفسه بكثـــرة السجود . ولم يقل له اعني على مطلوبك أو تحصيل مرادك ، بل قال له : اعني على نفسك . وفي هذا تنبيه له على ان النفس هي المعرقلة للعبد عن الصعود في سلم السعادة ، وانه اذا قهرها وغلبها فقد تيسرت له أسباب الكمال (1) .

---

(1) ش : ج 4 ، م 8 ـ غرة ذى الحجة 1350 هـ ـ أبريل 1932 م .

إتْباعُ رمضانَ بسِتةٍ من شَوَّال

(عن أبى أيوب الانصارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم : (مَن صَامَ رمضَانَ ثمَّ أَتْبَعَه سِتّاً من شَوال كانَ كصيَامِ ٱلدَّهْرِ) . رواه مسلم وأصحاب السنن وغيرهم . وجاء بمعناه عن ثوبان وأبى هريرة وجابر بن عبد الله وابن عمر) .

* * *

المفـــردات :

تقول العرب : اتبع الفرس لجامها ، أى ألحقه بها فى العطاء. يضرب مثلا فى الامر ، باستكمال المعروف واستتمامه . ويصدق هذا ولو كان بين العطاء الاول والعطاء الثانى مهلة ، وكذلك جاء قوله تعالى : « وَأَتْبَعْـــنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً » أى ألحقنا بعض القرون ببعض فى الهلاك الناشىء عن تكذيبهم ، مع أن بين كل قرن وقرن مدة طويلة . فالاتباع هو الالحاق لشىء بشىء فى أمر ، سواء أكان عن اتصال أو عن انفصال . الدهر : أصـل معناه : مدة الدنيا ، ويطلق على أمد من الزمان قل أو كثـر . والمراد به هنا السنة كما جاء مصرحا بـــه فى بعض روايات الحديث .

التراكيب :

أفادت ثم أن الاتباع متأخر عن الصوم ، وان كان قد جاء من طريق غير أبي أيوب العطف بالواو . والضمير في كان عائد على عمل المفهوم من الكلام السابق ، أي كان عمله ـ وهو صومه شهرا وستة أيام .

المعنى :

من صام رمضان ، وصام بعده ستة أيام من شوال كان ذلك من عمله كصيام الدهر ، لان الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها ، فشهر رمضان بعشرة أشهر ، وستة أيام بعده بشهرين فذلك تمام السنة . وجاء هذا التفسير عند النسائي من طريق ثوبان مرفوعا .

تطبيق :

قد علمت أن الاتباع يصدق بالالحاق متصلا أو منفصلا ، والفصل هنا واجب بيوم الفطر ، للعلم بحرمة صومه ، فمن فصل به فقط فهو متبع ، ومن فصل بأكثر منه فهو متبع ، ومقتضى الاطلاق في لفظة (ستا) أنه لا فرق في حصول الفضل بين أن تكون متوالية أو متفرقة ، وما تقدم في فصل المعنى من حديث ثوبان يؤيد هذا الاطلاق ، لان المقصود تحصيل ستة أيام لتكون بمقتضى جزاء الحسنة بعشر ستين يوما ، وهذا حاصل عند تفرقها وعند اجتماعها .

الاحكام :

ذهب الشافعية والحنابلة وغيرهم ـ وهو المصحح عند الحنفية ـ الى استحباب صوم هذه الايام ، محتجين بهذا الحديث

الصحيح الصريح ، وأما المالكية فقد قال يحيى بن يحيى راوى الموطأ : سمعت مالكا يقول فى ستة أيام بعد الفطر من رمضان أنه لم ير أحدا من أهل العلم والفقه يصومها ، ولم يبلغنى ذلك عن أحد من السلف ، وأن أهل العلم يكرهون ذلك ، ويخافون بدعته ، وأن يلحق برمضان ما ليس منه . أهل الجهالة والجفاء لو رأوا فى ذلك رخصة عند أهل العلم ورأوهم يعملون ذلك . اهـ

والذى يظهر من عبارات مالك أن المكروه هو صوم ستة أيام متوالية متصلة بيوم الفطر كما يفهم من قوله (فى صيام ستة أيام بعد الفطر) ومن قوله (وان يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفاء) وانما يخشى هذا الالحاق اذا كانت متوالية متصلة بيوم الفطر . فالكراهة اذا عنده منصبة على صومها بهذه الصفة من التوالى والاتصال ، لا على أصل صومها ؛ وهذا هو التحقيق فى مذهبه .

فقه مالك واحتياطه :

انبنى فقه مالك واحتياطه على أصلين :

الاصل الاول ــ أن العبادة المقدرة لا يزاد عليها ولا ينقص منها وهو أصل عام فى جميع العبادات . وفى خصوص الصيام قد ثبت نهيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يتقدم شهر رمضان بصيام يوم أو يومين ، وظاهر أن وجه هذا النهى هو خوف أن يعد ذلك من رمضان . فحمى الشارع بهذا النهى العبادة من الزيادة فى أولها . فبنى مالك ــ بسعة علمه وبعد نظره ــ على ذلك حمايتها من الزيادة فى آخرها ، فكره صوم تلك الايام متوالية متصلة بيوم الفطر مخافة ــ كما قال ــ أن يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفاء . فكان احتياطه فى الاخير

مطابقا لاحتياط النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فى الاول، وذلك كله لاجل المحافظة على بقاء العبادة المقدرة على حالها غير مختلطة بغيرها ، وقد جاء نظير هذا الاحتياط فى الصلاة ، فقد روى أبو داود فى سننه أن رجلا دخل الى مسجد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فصلى الفرض ، وقام ليصلى ركعتين ، فقال له عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ أجلس حتى تفصل بين فرضك ونفلك ، فبهذا هلك من كان قبلنا . فقال له ــ عليه وآله الصلاة والسلام ــ أصاب الله بك يا ابن الخطاب. يعنى أن الذين كانوا قبلنا وصلوا النوافل بالفرائض ، فأدى ذلك الى اعتقاد جهالهم ، وجوب الجميع ، فأدى ذلك الى تغيير شرع الله وهو سبب الهلاك . لا يقال ان مقدار العبادة معلوم من الدين بالضرورة ، فكيف يظن أنه قد يعتقد الجميع من الاصل والزيادة عبادة واحدة ، لاننا نقول اذا دام وصل النافلة بالفريضة ، وطال العهد ، وخلفت الخلوف ، أدى ذلك أهل الجهالة الى ذلك الاعتقاد . والاحتياط للعبادة يقتضى قطع ذلك الاعتقاد من أصله بالنهى عما يؤدى اليه وهو من سد الذرائع الذى هو أحد أصول مالك فى مذهبه . ومع هذا فقد نقل الامام القرافى عن الامام عبد العظيم المنذرى أن الذى خشى منه مالك ــ رحمه الله تعالى ــ قد وقع بالعجم فصاروا يتركون المسحرين على عادتهم والقوانين (1) وشعائر رمضان الى آخر الستة أيام فحينئذ يظهرون شعائر العيد . اهـ

فلله مالك ما أوسع علمه ، وما أدق نظره ، وما أكثر اتباعه فرحمة الله تعالى عليه ، وعلى أئمة الهدى أجمعين .

---

(1) كذا بالاصل ، ولعله القولين .

الاصل الثاني ـ أن ما ورد من العبادة مقيدا بقيد يلتزم قيده ، وما ورد منها مطلقا يلتزم اطلاقه ، فالآتى بالعبادة المقيدة دون قيدها مخالف لامر الشرع ووضعه .

والآتى بالعبادة المطلقة ملتزما فيه ما جعله بالتزامه كالقيد مخالف كذلك لامر الشرع ووضعه وهو أصل في جميع العبادات، ومثال ما ورد من العبادة مقيدا : التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين مرة والختم بـ : لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . فقيدت هذه العبادة المحددة بايقاعها دبر كل صلاة ، فالاتيان بها فى غير دبر الصلوات مخالفة للوضع الشرعى . ومثال ما ورد مطلقا (1) لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة (2). وسبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة فيلتزمها فى وقت معين من النهار ، فيخرج عن مقتضى الاطلاق فى لفظ يوم من نص الحديث فيكون مخالفا للوضع الشرعى .

ولفظ الحديث الوارد في هذه الايام جاء مطلقا فى الاتباع صادقا بالاتصال والانفصال . وفى لفظ ستة صادقا بتواليها وتفرقها ، فالتزام اتصالها وتواليها تقييد لما اطلقه الشرع وتزيد عليه .

اقتداء وتحذير :

هذان الاصلان اللذان قررنا بهما فقه مالك ، هما أصلان مجمع عليهما ، كثيرة فى الشريعة المطهرة أدلتهما ، والفروع التى تنبني عليهما ، فلنا فى مالك وغيره من أئمة الهدى القدوة

(1 ، 2) رواهما مالك فى الموطأ .

الحسنة فى التمسك بهما . فنحتاط لعبادتنا ، حتى لا نخلط بين فرضها ونفلها . ونتقبل ما جاء من العبادات مقيدا أو محددا بقيده وحده ، ونتقبل ما جاء منها مطلقا على اطلاقه ، فلا نلتزم فيه ما يخرجه عن الاطلاق . ولنحذر كل الحذر من الاخـــلال بقيود الشارع أو التقييد لمطلقاته ، ففى ذلك استظهار عليه ، وقلة أدب معه ، وتبديل لوضعه ، واختيار عليه ، وانما الخيرة لله ولرسوله ، لا لاحد من الناس ، وان الغالب على الناس أنهم لا يتعمدون الاخلال بالقيود ، وانما يتعمدون التقييد للمطلقات بأنواع الالتزامات ، مع أنهما فى المخالفة سواء ، فلنحذر من الوقوع فى مثل هذا على الخصوص .

امتثـــال :

نصوم هذه الستة كما رغبنا نبينا ، طمعا فى فضل ربنـــا ، غير ملتزمين وصلها ولا موالاتها ، والله يلهمنا والمسلمـــين أجمعين أنواع المبرات ، واقامتها بمنه وكرمه . آمين (1) .

(1) ش : ج 3 ، م 7 ـ غرة ذى القعدة 1349 هـ ـ مارس 1931 م .

أثـر النيـات فى الأعمـال

(إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) ، أخرجه الشيخان في صحيحهما .

* * *

الألفـــاظ :

« الأعمال » هى الأفعال التى تصدر عن الجوارح فتدخل فيها الاقوال والغالب أن الأعمال أخص من الأفعال ، فهذه فيما كان عن قصد وغيره تلك فيما كان عن قصد . (النية) هى القصد الى الفعل ، (الهجرة) الترك والمراد هنا مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة على الدين بالمنع من اقامته ، (يصيبها) يحصل عليها ، (ينكحها) يتزوجها .

التـراكيـب :

بالنيات يتعلق بمحذوف تقديره معتبرة ، ودل هذا المتعلق الخاص ما جاء بعده من التفصيل بين الهجرتين والمقام الذى ألقى فيه الكلام ، كما سنبينه فى مورد الحديث . ونظيره فى هـذا التقدير قولهم : المرء بأصغريه قلبه ولسانه أى معتبر بهما .

والمرء بأدبه أى معتبر أو يعتبر به والباء سببية ، وانما للحصر والمحصور فيه هو الجار والمجرور ، وما أفادته الباء من معنى السببية أى لا سبب تعتبر به الاعمال الا النيات نظيره انما زيد قوي بقومه أى لا سبب لقوته إلا قومه . فأفاد التركيب حصر اعتبار الاعمال فى نياتها والمقصود بها لا فى صورها وظواهرها. ولكل امرئ خبر ما نوى أى نواه قدم عليه ليحصر فيه بانما فأفاد التركيب أن حظ كل عامل من عمله هو ما قصده أى عين ما قصده فى كميته ومقداره دون ما لم يقصده. فمن كانت هجرته الى الله ورسوله أى قصدا فهجرته الى الله ورسوله أى وقوعا واعتبارا ففعل الشرط وجوابه لم يردا على معنى واحد، ومثل هذا يقال فى الشرط الثانى وجوابه وذكر تزوج امرأة بعد دنيا يصيبها تخصيص بعد تعميم لان ذلك الخاص هو سبب الحديث . واللام فى لدنيا لام الاجل والعلة فتفيد أن طلب الدنيا أو طلب التزوج هو العلة الباعثة له دون قصد طاعة الله فلا يدخل فيه ما اذا كان الباعث هو الطاعة . وطلب هذه الاشياء جاء على سبيل التبع .

سبب الورود :

قال القسطلانى : قد اشتهر أن سبب هذا الحديث قصة مهاجر أم قيس المروية فى المعجم الكبير للطبرانى باسناد رجاله ثقات من رواية الاعمش .

ولفظه : (عن أبى وائل عن ابن مسعود قال كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها . قال فكنا نسميه مهاجر أم قيس) .

المعـــنى :

ان أعمال الناس قد تشترك في صورها ومظاهرها ، حتى لا يكون في ذلك فرق بينها ، ولكنها بذلك التساوى الصورى الظاهرى لا تكون متساوية في الاعتبار والحقيقة وما يتبعهما من القبول والرد في نظر الشرع ، فقد هاجر مهاجر أم قيس كما هاجر سائر المهاجرين . الجميع قد كان منهم مفارقة الديار وترك دار الكفر الى دار الاسلام واللحوق بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فالعمل عمل واحد قطعا ولكن القصد مختلف فقد كان قصدهم بهجرتهم طاعة الله ورسوله ، وكان قصده بهجرته التزوج بأم قيس ، فكانت هجرتهم واقعة عند الله تعالى موقعها محصلة لهم رضاه ومثوبته ، وكانت هجرته لا موقع لها عند الله ولا حظ لها من ثوابه ، وكانت معتبرة من عمله الدنيوى لا من عمله الديني ، ومثله كل من قصد بهجرته غرضا من أغراض الدنيا ما حمله على الهجرة الا هو . هذا معنى الجملة الاولى من الحديث الشريف .

ومعنى الجملة الثانية : أن الاعمال المعتبرة عند الله التى قصد بها طاعته تتساوى أيضا في صورها ومظاهرها ولكنهـا لا تتساوى منازلها في الاعتبار والقبول والمثوبة . بل تتفاوت حظوظ أصحابها في ذلك بحسب تفاوتهم في مقاصدهم منها ، فيهاجر المهاجران ــ مثلا ــ كلاهما يقصد بهجرته طاعة الله ورسوله هذا لا يقصد الا ذلك وذاك يقصد معه على سبيل التبع غرضا دنيويا من تجارة أو تزوج . فحظ الاول من هجرته هو طاعة الله ورسوله وحدها غير متبعة بشىء ، وحظ الثانى هو الطاعة المتبعة بشىء . وثواب الاولى ــ قطعا ــ أعظم من ثواب الثانية ، أو يكون أحدهما قصد الهجرة وما يكون معها من جهاد بالنفس والمال ومصاحبة النبى صلى الله عليـه وآلـه وسلـم

وخدمته وصحبته والتفقه عليه وتكثير سواد أصحابه وعمارة مدينته ، والآخر لم يخطر بباله شيء من هذا ، فحظ الاول من عمله عظيم وثوابه كثير على حسب كثرة مقاصده وتنوعها ، وحظ الثاني واحد وهو الهجرة ، وثوابه عليها بالخصوص . وذلك حسب قصده ونيته، ومثل هذين القاصدان للمسجد لأجل الصلاة وأحدهما يقصد مع ذلك عمارة المسجد وحبس الجوارح على الطاعة وارشاد الضال وتنبيه الغافل وتعليم الجاهل وتكثير الجماعة والتعاون على الخير بحضور مشاهده وبعث غيره على الاقتداء به فيه . والآخر لم يخطر بباله شيء من هذا . فحظ الاول من عمله وثوابه عليه أكثر بكثير من حظ الثاني وثوابه وان كانا كلاهما فى طاعة الله .

فالنيات والمقاصد كما تفرق بين العملين المتماثلين وتؤثر فيها بالقبول والرد وهو مقتضى الجملة الاولى ـ كذلك ـ تفرق بين العملين المقبولين وتؤثر فيهما باختلاف مقدار الثواب وحظ العامل منه وهو مقتضى الجملة الثانية وهذا أثر كبير للنيات في الاعمال .

الاحكـــــام :

أفاد الحديث أن العمل الدينى لا يكون مقبولا حتى تقصد به طاعة الله وأن من قصد به غير ذلك فعمله مردود عليه، وأن أجر العامل يقل ويكثر على حسب نيته بعمله ، وانه يمكنه أن يقصد مقاصد كثيرة من الخير بعمل واحد ، فيتضاعف ثوابه عليه بحسب نيته وان لم يقع ذلك فعلا بعمله ، كقصد ارشاد الضال فى المسجد ولم يجده ، أو تعليم الجاهل ولم يلقه ، وقصد الجهاد من الهجرة ومات قبله ، وأمثال ذلك كثير .

تفريـــع :

كما أثرت النية فى الافعال التعبدية بالقبول والــرد أو بتفاوت الاجر ، كذلك تؤثر في الأعمال المباحة ، فان المباحات في نفسها لا يثاب ولا يعاقب عليها ولكنها بالنية والقصـــد منها يدخلها ذلك وتلحق بما أريد منها الحاق الوسائل بمقاصدها . فالمشى ــ مثلا ــ مباح وقد يكون ينوى به الذهاب الى التعلـم فيصير عمل طاعة فيثاب عليه ولو لم يجد المعلم فلم يتعلم ، وقد ينوى به الذهاب الى السرقة فيصير عمل معصية فيأثم به وان حيل بينه وبين ما قصد فلم يسرق ، وكذا سائر المباحات .

ارشـاد وترغيـب :

كما علينا أن نجتهد فى تطهير أعمالنا من المخالفات وقصرها على الطاعات والمباحات ــ كذلك علينا أن نجتهد فى طاعتنا أن تكون خالصة لوجه الله ، وأن نبعد عنا كل خاطر يلفتنا الى غيره حتى يسلم لنا القصد كله خالصا والعمل كاملا ، أو يسلم لنا القصد الاول الذى هو شرط القبول ، فاذا كان شىء آخـر بعده يكون لاحقا وتابعا ، وان نتفقه ونتدبر بعد ذلك فى نيتنا بطاعتنا فنوفرها ونستثمرها ونقصد بها ما حضرنا من وجوه الخير التى يمكن أن تقصد بها . وأن ننظر مثل ذلك فى أعمالنا المباحة كأكلنا وشربنا ونومنا ومشينا وراحتنا ورياضتنــا ، فنقصد بها الاستعداد للطاعات والتقوى لفعل الخيرات وكــل ما يمكن أن تؤدى اليه أو تعين عليه من معروف ، فتصير أعمالنا المباحات من قسم الطاعات ، فما اسعدنا حينئذ وما أعظم ثروتنا مــن الخـير .

نحن لا نسلم من مخالفة وتقصير وفى ذلك علينا خسار كثير ولا يجبر ذلك الخسار الا بسلوك هذا الطريق الشرعى القويم

فهلم أيها الاخوان في الله اليه . ففيه ـ والله ـ التجارة الرابحة ، والحياة الناجحة وارضاء الرحمن وأرغام الشيطان والسعادة في الدارين .

تنبيه وتحذير :

الاعمال إما طاعات لأنها مأمور بها وجوبا أو استحبابا وإما مخالفات لأنها منهى عنها تحريما أو كراهة ، وإما مباحات لأنها غير مأمور بها ولا منهى عنها . فالمخالفات بقسميها لا تقلبها النيات طاعات لانها في نفسها غير عمل صالح ولاننا علمنا بالنهى عنها ، ان قصد الشارع هو تركها وعدم وجودها ، فقصد المكلف مضاد لقصد الشارع فكان ساقطا لا عبرة به ولا أهلية له لقلب الوضع الشرعي .. والطاعات بقسميها هي التى تؤثر فيها النية بالقبول والرد بحسب قصد الله بها وقصد غيره أو يتفاوت درجات القبول بحسب القصود على ما تقدم وهى المقصودة بالقصد الاولى من الحديث .

والمباحات مثلها تؤثر فيها النيات فتقلبها طاعة أو معصية لان الشرع لما اباحها علمنا انه لا قصد له لا في وجودها ولا في عدمها من حيث ذاتها ، فكان لقصد المكلف حينئذ سبيل الى التأثير فيها .

وقد غفل عن هذا الحقيقة أقوام ـ عفا الله عنهم ـ فتراهم يستدلون على أعمالهم بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى) قاصدين الى تبريرها غير ملتفتين الى كونها من قسم الطاعات أو المخالفات أو المباحات . وكثيرا ما يرتكبون البدع كدعاء المخلوقات وكالحج الى الاضرحة وايقاد الشموع عليها والنذور لها وكالرقص وضرب الدف في بيوت الله وغير هذا من أنواع البدع والمنكرات

ـ ويتوكأون فى ذلك كله على (انما الاعمال بالنيات) . كلا ، لَيْسَ بامانِيِّكم ولاَ أَمانِيِّ أَهلِ الكتاب فان البدع كلها من قسم المخالفات وان المخالفات لا تنقلب طاعات بالنيات .

فحذار أيها الاخوان فى الله من هذا الجهل الذى أدى الى تحريف الكلم عن مواضعه والى المداومة على المنكر والفرح به ، ونعوذ بالله ـ لنا ولجميع اخواننا المسلمين ـ ان نكون من الذين ظلَّ سعيُهم فى الحياةِ الدُّنيا وهم يَحْسبُونَ أنَّهم يُحسنُون صُنعاً ونسأله تعالى لنا ولإخواننا المسلمين ان نكون من الذين يرجون لقاء ربهم فيعملون الأعمال الصالحة ولا يشركون بعبادة ربهم أحـــدا (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 7 ـ غرة رمضان 1349 هـ ـ فيفرى 1931 م .

مجالس العلم
الاقبال عليها والاعراض عنها

عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه :

« بينما رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جالسٌ فى المسجد والناسُ معَه اذْ أقبَل نفَرٌ ثلاثةٌ فأَقبل اثنان الى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذهب واحدٌ . فلما وقفاً على مجلسِ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سلَّمَا ، فاما أحدُهما فرأَى فُرْجَةً فى الحَلْقة فجلسَ فيها . وأما الآخرُ فجلس خلفَهُم ، وأما الثالث فأدْبَر ذاهبا . فلما فرَغ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال:ألاَ أُخبرُكم عن النَّفَرِ الثلاثةِ ، أما أحدُهم فَآوَى الى اللَّه فآواه اللَّهُ ، وأما الآخرُ فاستحْيَا فاستَحْيَا اللهُ منْهُ ، وأما الآخرُ فأَعْرَضَ فأعرضَ اللَّهُ عنه » .

* * *

السنـد :

خرجه مالك وتلقاه من طريقه الائمة البخارى ومسلم والترمذى والنسائى رضى الله عنهم .

ألفاظ المتن : الفرجة : الخلل بين الشيئين . أوى : أوى الى منزله نزله واستقر فيه ، وأوى الى الله،لجأ اليه ودخل مجلس ذكره ، ومنزل أوليائه .

آواه : آواه أنزله منزله وأدخله مسكنه،وآواه الله قبله وضمه الى أهل مجلس ذكره وأناله ما ينيلهم من رحمته .

استحيا : الحياء تغير وانكسار يعترى الانسان عند خوف ما يذم به أو يلام عليه فيمنعه منه فاستحيا هذا معناه امتنع مــن الذهاب كما ذهب صاحبه أو تــرك المزاحمة فى الحلقة.فاستحيا الله منه : ترك عقابه ولم يحرمه مــن ثواب . أعرض : التفت الى جهة أخرى فذهب اليها . فأعرض الله عنه : حرمه من الثواب.

البيـــــان :

كان النبى صلى اللـــه عليه وآلـــه وسلم ، يجلس فى المسجد النبوى لاصحابه ويجلسون اليه حلقة فيعلمهم القرآن والحكمة ويعظهم ويرشدهم ، فجاء هؤلاء الثلاثة من طرف المسجد والنبى صلى اللـــه عليه وسلم فى حلقته،فأقبل اثنان وذهــب الثالث ، ودخل أحــد الاثنين فى الحلقة فســد فرجة وجلس الآخر خلف الحلقة ، فلما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من درسه أراد ان يعرف القوم بصنيع الثلاثة ليعلموا حكم عمل كل واحد منهم فى الشرع ، فبين لهم ان الاول نال الاجر والمدح باقباله على مجلس العلم وسده الفرجة ، وأن الثانى سلم من الذم ولم يكن له من الاجر ما للاول ، وان الثالث حرم من الاجر وتحمل الملامة .

تحـــرير :

فسر الاعراض بالغضب والسخط وفسرناه بالحرمان من الأجر مع الملامة ـ لان ترك الاتيان ليس تركا لواجب حتى يستوجب صاحبه الغضب والسخط الذى مــن مقتضاه الاثــم ، بدليل أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يمنعه من الذهاب ، ويؤيد تفسيرنا ما جاء عن أنس عند الحاكم،ولفظه « فاستغنى فاستغنى الله عنه »

وهذا ظاهر أن معناه لم يقبل على ما فيه أجر وثواب فلم يعط أجرا ولا ثوابا .

وفسر بعضهم استحياء الثانى بأنه لم يدخل للحلقة وفسره آخرون بأنه استحيا من الذهاب عن المجلس ، والتفسير الثانى أرجح ، لأن سد الفرجة مطلوب فلا يمدح بالاستحياء منه . ولأنه جاء في رواية أنس عند الحاكم « ومضى الثانى قليلا ثم جاء فجلس » وهذا نص فى المراد .

الفوائد والاحكام :

الاولى :

الجلوس فى المساجد حلقا للتعلم والتعليم :

الثانية :

تعليم الناس ووعظهم وارشادهم فى المساجد ، وهذان مما أجمع عليه المسلمون فى جميع الاعصار والامصار وجرى عليه عملهم وعلم بالضرورة عندهم فلا يتعرض لهم فيها الا ظالم من شر الظالمين ، له فى الدنيا خزي وله فى الآخرة عذاب عظيم .

الثالثة :

التحليق للعلم وتنظيم الحلقة وسد فرجها فهى في ذلك كصفوف الصلاة فيجوز التخطى لسد الخلل كما فعل الاول ويجلس خلفها اذا لم يكن موضع فيها كما فعل الثاني .

الرابعة :

فضل الاقبال على مجالس العلم وكراهة الاعراض عنها الا لعذر .

الخـامسة :

، بيان أحكام الاعمال التى تقع أمام الناس حين وقوعها ليرسخ علمها ويتعظ بما فيها .

السـادسة :

لوم من زهد فى الخير ولم يحرص عليه وان لم يكن ذلك الخير من الواجبات عليه فى تلك الحال .

اهتــداء :

ان من يؤمن بانه يحاسب على مثاقيل (1) ذرة من أعماله لا يكون الا حريصا على الخير أقل القليل منه ، ومن شأن الحريص على الخير ان يسارع اليه ويسابق فيه فلا يرى موطنا يشغله بين أهله الا ملأه ولا نقصا يمكنه تكميله الا كمله حتى اذا سبق الى خـــير وقف عندما حصل وكان له بنيته أجر من سبق .

فهذا المجلس النبوى الكريم مثله فى المعنى جميع مواطن الخير ومشاهد الفلاح . بصرنا اللــه بالخير وحببنا فيه وأعاننا عليه وجعلنا من أهله (*) .

(1) فى الاصل : ميثاقيل .

(*) ش : ج 3 ، م 13 ــ غرة شعبان 1356 هـ ــ ماى 1937 م .

تعلم اللغات المحتاج اليها

« زيد بن ثابت قال : أمرني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن أتعلَّم له كتابَ يهودٍ . قال : إنّي والله ما آمنُ يهودٍ على كتاب . قال : فما مرَّ بِي نصفُ شهر حتى تعلّمته . قال : فلما تعلمته كان اذا كتب الى يهُودٍ كتبتُ إليهم ، واذا كتبُوا إليه قرأْتُ له كتَابَهُمْ » . رواه الترمذى وحسنه ورواه غيره .

* * *

لما نزل النبي ـ ص ـ بالمدينة مهاجرا . كان بها وبضواحيها مع الاوس والخزرج (ض) اليهود ، فأقرهم النبي ـ ص ـ وكتب بينه وبينهم عهدا ، وكانت الكتب تدور بينه وبينهم فى الشؤون والمصالح من الطرفين . فكانوا يكاتبونه بالخط العبرانى . كانت لغتهم العربية ، ولكنهم كانوا يكتبون بالخط العبري ، فأمر النبى ـ ص ـ كاتبه زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ أن يتعلم الخط العبري ، ليكتب له اليهم ، ويقرأ له ما يرد عليه منهم ، فيكون على يقين من كلامهم اليه ، وبلوغ كلامه اليهم ، وما كان ليحصل له هذا اليقين ـ وهم ليسوا بمحل الثقة ـ لو تولى ذلك واحد منهم ، فقد لا يكتب عنه كل ما يقوله لهم ،وقد لا يقول له كل ما كتبوا اليه . فتعاطى زيد تعلم الخط العبرانى ، فما مضى عليه نصف شهر حتى حذقه . وتولى الكتابة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقراءة له .

الفوائـــد والاحكـــام :

الاولى : كل قوم تربط بينهم المصالح لابد لهم من التعاون ، ولا يتم التعاون الا بالتفاهم ، والتفاهم بالمشافهة والكتابة ، فعلى القوم المترابطين بالمصلحة أن يفهموا بعضهم لغة بعض وخطه . وبقدر ما تكثر الاقوام المترابطة بالمصلحة تكثر اللغات والخطوط ويلزم تعلمها ، لان العلة هي الحاجة . وسواء كانت المصلحة التي تربط الاقوام عمرانية أو علمية ، لان المصلحة من حيث هي مصلحة محتاج الى تحصيلها ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر زيدا بتعلم الكتابة لان اللغة كانت عربية ، ولو كانت لغة أخرى لامره بتعلمها لعلة الحاجة ، والحكم يدور مع العلة ، وقد جاء عن زيد من طريق أخرى ـ ذكرها الترمذي ـ وأن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أمره أن يتعلم السريانية ، فنحن اليوم وقد ربطت بيننا وبين أمم أخرى مصالح ، علينا أن نعرف لغتهم وخطهم ، كما عليهم هم أن يعرفوا لغتنا وخطنا .

الثانيــة : هذه السنة أصل في اتخاذ الكتبة والتراجمة في الدولة ، وما يشترط فيهم من العلم والامانة .

الثالثــة : كان في امكان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يكاتبهم بالخط العربي ، ويلزمهم أن يكاتبوه به ، ولكـن تسامح الاسلام واحترامه لمحترمات الامم في دينهم وقوميتهـم قضيا بترك اليهود يكتبون ويكاتبون بخطهم ، فأقرهـم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على ما أرادوا ، وكلف هو مـن تعلم خطهم ، وتركها لاتباعه سنة بعده .

الرابعــة : هذه السنة أصل في ضبط أمور الدولة بالكتابة فيما يصدر عنها ، وفيما يوجه اليها ، ومثلها ضبط كل المعاملات فهي أصل في التسجيل على العموم. وهكذا تجد سنة النبي ـ ص ـ اذا تتبعتها ـ قد قررت ـ بالفعل ـ أصولا كثيرة من أصول المدنية والعمران ، ولهذا كان على قاريها أن يتناولها للفهــــم والاستنباط والتطبيق على الاحوال (1) .

(1) ش : ج 2 ، م 11 ـ غرة صفر 1354 هـ ـ 5 ماى 1935 م .

لا لـوم على من صدق المتـاب

محاجّة آدم وموسى عليهما السلام

عن أبى هريرة (ض) ان رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم قال : « تحـاجَّ آدمُ وموسى ، فحجَّ آدمُ موسى . قال لـه موسى أنت آدمُ الذى أغويتَ الناسَ وأخرجتَهم من الجنَّةِ . فقال له آدم: أنت موسى الذى أعطاه اللهُ علمَ كلِّ شيء واصطفاه على الناس برسالته ؟ قال نعم . قال أفتلومُنِى على أمرٍ قد قُدِّر عليَّ قبل ان أُخْلَقَ » رواه الائمة .

* * *

تمهيـد :

الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بعد موتهم الدنيوى احياء حياة برزخية روحية أسمى وأرقى مـن حيـاة غيرهم بمقتضى كمالاتهم ومقاماتهم ، فتتلاقى أرواحهم فى العالم العلوى القدسى ويكون بينها التعارف والتخاطبُ ، وعلى هذا الوجه وقعت هذه المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام . وقصها علينا النبى (ص) لنستفيد ما فيها من العلم ونقتدى بما فيها من عمل .

الالفـاظ :

تحاجَّ : تنازعا وذكر كل واحد حجته،فحجَّ آدم موسى : غلبه فى الحجة . أغويت الناس : أضللتهم أى كنت سببا فى إخراجهم

الى الارض فأغوتهم وأضلتهم الشياطين . واخرجتهم : أى كنت سببا فى اخراجهم بأكلك من الشجرة . علم كل شىء : أى مما يحتاج اليه فى هداية الناس . واصطفاه على الناس : من غير المرسلين . قدر علي:أى سبق به علم الله ومضت به ارادته فى الأزل .

المعنى :

التقى هذان النبيان الكريمان التقاءً روحيا فى العالم العلوى ، فوجه موسى الى آدم لومه على ما كان منه من الأكل من الشجرة والمخالفة مما أدى الى اخراجه من الجنة فنسل ذريته بالارض فكان سببا فى خروجهم اليها وتمكنت منهم الشياطين فى دار التكليف فأغوت وأضلت من أغوت وأضلت منهم وكان ذلك كله بسببه .

فدفع آدم هذا اللوم بان ما كان منه كان مقدرا عليه قبل أن يخلق . فلا لوم عليه فيه اذ لا دخل له فى التقدير ، وعرض آدم لموسى بانه ما كان ينبغى له ان يكون منه هذا اللوم على المقدر مع علو مقامه بالعلم والاصطفاء ، فغلب آدم موسى وقامت حجته عليه .

بسط وبيان :

دلت الادلة القطعية أن ما يكون من العبد سبق به علم الله ومضت به ارادته وكتب عليه قبل ان يخلق : « **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** » « **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ** » « **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا** » كما دلت الادلة القطعية على ان الانسان مؤاخذ بعمله ملوم عليه لما عنده من التمكن وما له من الاختيار « **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** » « **لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ** » وانه لا مؤاخذة

عليه بعد التوبة ولا لوم : « إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّآتِهِمْ حَسَنَاتٍ » .

وآدم عليه السلام كانت منه المخالفة على التأويل وتاب الله عليه ، وكل ذلك قد كان في حياته فلم يبق عليه لوم بعد ذلك المتاب . فلما لامه موسى لم يكن سبب اللوم من ناحيته ــ وهو المخالفة ــ قائما لزواله بما كان من التوبة ، ولم يبق الا التقدير السابق وهو لا دخل له فيه فكيف يلام ، فقامت حجته على موسى بسبب انعدام ما يوجب عليه اللوم وهو المخالفة فكان لوم موسى في غير محله .

دفع شبهة :

قد احتج آدم بالقدر السابق فنهضت حجته . فهل يحتج كل مخالف بالقدر السابق فتنهض حجته ؟ كلا : فان الأدلة القطعية المتقدمة تمنع من ذلك منعا قاطعا . والتحقيق ان المخالف له حالتان :

حالة التوبة الصادقة التي أسقطت المؤاخذة وهذه هي حالة آدم التي احتج فيها فنهضت حجته .

وحالة عدم التوبة وهذه لا حجة فيها بالقدر لوجود المؤاخذة بالعمل المكتسب . وآدم وان لم يذكر توبته بمقاله فهي مفهومة من حاله معروفة مما انزله الله من كتبه على موسى وغيره .

دفع شبهة أخرى :

فاذا كان آدم لا لوم عليه لسقوط المؤاخذة بالتوبة فكيف لامه موسى ؟ والجواب ان موسى لا يجهل هذا ولكنه غافل عنه أو غفل عما كان من آدم من التوبة ، وتجوز عليه الغفلة وهو

ليس فى دار التكليف ولا فى مقام التبليغ . فلما ذكر آدم دليله ذكر موسى ما غفل عنه فسلم .

اقتـــــــداء :

المناظرة فى العلـم والدين والمحاجة بالحـق مـن الاصول الشرعية والكمالات الانسانية لا يتعالى عنها كبير لكبره ، ولا يحتقر فيها صغير لصغره ، فالحق هو الحق على أى لسان ظهر ، والحجة هى الحجة من أى ناحية قامت ، وعلى هذا الاصل حـاج موسى آدم وهو أبوه .

ومن حق المناظر ان يذكر كل ما يراه من الحجة الحقة لاثبات قوله ولو كان فيه ثقل على خصمه ، وعلى هذا الاصل نسب موسى لآدم الاغواء والاخراج ـ وان لم يكن من فعله ـ لانه متسبب عنـه .

ومن الواجب على من لاح له الحق فى حجة خصمه ان يسكت ويسلم . فقد علمنا النبيان الكريمان كيف يعتمد على الحجة فى البداية وكيف يخضع لها فى النهاية والقدوة هما صلى اللـه وسلم عليهما (1) .

(1) ش : ج 5 ، م 15 ـ جمادى الاولى 1358 هـ ـ 1939 م .

السنـــــة

(من رغب عن سنتى فليس منى)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إِذاَ سَمِعْتَ ٱلرَّجُلَ يَقُولُ هَلَكَ ٱلنَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ) .

* * *

السنـــد :

رواه مالك عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ومسلم يحيى عن ابن يحيى عن مالك .

المتـــن :

روى بوجهين ثابتين ، الاول فهو اهلكهم برفع الكاف : اسم تفضيل ، والثانى بفتح الكاف . فعل ماض .

الالفـــاظ :

الهلاك : الاستحالة الى الفساد وذهاب حالة الصحة والاستقامه التى تصدر عنها الفوائد ، ويكون بها الاستعداد . يقال هلك زيد اذا مات ، وهلك الطعام اذا تغير واستحال فهلاك الناس فسادهم فى أحوالهم بفساد عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم وذلك

عنوان ذهابهم واضمحلالهم ، واهلكهم . على الوجه الاول : أشدهم هلاكا . وعلى الوجه الثاني : أوقعهم فى الهلاك .

المعنى :

ـ على الوجه الاول ـ اذا سمعت الرجل يقول هلك الناس يعيبهم وينقصهم ويحقر من أمر جماعتهم فقد صار بذلك أعظم هلاكا منهم لارتكابه معصية كبيرة تعدت الى غيره وعمتهم وهى معصية الكبر الذى هو احتقار المرء من عداه ، فهذا قد تكبر على جميع الناس فكان عظم هلاكه على حسب عظم معصيته بهذا العموم فى الكبر والاحتقار .

وعلى الوجه الثاني ـ اذا سمعت الرجل يقول هلك الناس يثبطهم ويقنطهم فهو بذلك التثبيط والتقنيط أيأسهم من رحمة الله وصدهم عن الرجوع اليه بالتوبة ودفعهم الى الاستمرار فيما هم عليه ، فأوقعهم بكلمته تلك فى الهلاك : هلاك اليؤس والقنوط والاندفاع فى الشر :

الاحكام :

ـ على الوجه الاول ـ لا يجوز الحكم على عموم الناس بالشر والفساد ولو كان ذلك ظاهرا بينهم فاشيا فيهم لانه حكم بدون علم . وظن سوء بمن قد يكون فى غمار الناس على خلاف ما عليه أكثرهم . هذا اذا حكم حكما لمجرد الاخبار فاحرى وأولى اذا زاد على ذلك تحقيرهم .

وعلى الوجه الثانى ـ لا يجوز لمن رأى الناس فى حالة سيئة ان يقنطهم من رحمة الله وامكان تدارك أمرهم واصلاح حالهم . هذا اذا كان يحمله على ذلك ما تعظمه من سوء حالهم

فى ظاهر أكثرهم واحرى وأولى اذا كان يحمله على ذلك صدهم وتثبيطهم عن التوبة والاخذ باسباب الاصلاح .

توجيـــــه :

كان الحديث الشريف مفيدا لعدم الجواز لما ذكر ـ لانـه سيق مساق الذم لهذا القول ووصف قائله بانه اعظم الناس هلاكا أو أوقع الناس فى الهلاك وما ادى الى أحد هذين لا يكون الا ممنوعـا .

ويؤيد هذا الحديث في المنع الأدلة الدالة على منع الحكم بدون علم. وظن السوء بالناس وتحقيرهم وتقنيطهم عن الخير وصدهم عنـه .

تقييـــد وتعميـــم :

قد يقول الانسان هلك الناس اشفاقا عليهم وتحزنا لما هم فيه فلا يكون مثل من قاله تحقيرا وتقنيطا ، غير انه يبقى فى عبارته ذلك التعميم الذى هو حكم بغير علم . مع ما توقعه هذه العبارة من القنوط ـ خصوصا اذا تكررت ـ ولو لم يقصده القائل ، فلا ينبغى ان تقال هذه العبارة ومثلها من كل ما يفيد هلاك جميع الناس . .

الآداب :

على الوجه الاول ـ على من يريد ان يرشد المسلمين ويعمل لاصلاح حالهم أن ينظر اليهم بعين الشفقة والحنانة لا بعـين الزراية والاحتقار .

فان الشفوق تدفعه شفقته الى المبالغة فى العناية بتتبـــع الادواء واستقصاء أنواع العلاج . بخلاف الزارى المحتقر فانه يترفع بنفسه عن الناس ويتركهم فيما هم عليه ، وان باشر شيئا من معالجتهم فانه يباشره عن استثقال واشمئزاز لا يصل معهما الى داء الامة شيء من علاجه ولن يستطيع هو معهما صبرا على الاستمرار في عمله أو على اتقان القليل منه .

على ان الشفوق تشعر نفوس الامة منه بتلك الشفقة فتقابله بمثلها وبالامتثال لما يأتيها منه لمعالجتها واثقة منه بنصحه منقادة لارشاده راجية نيل الخير على يده ، والزارى المحتقر تشعر منه الامة بذلك فتقابله بمثله وتنقبض نفوسها عنه وتقوى ريبتها في قوله وفعله وقد تصارحه ببعضه فتؤدى الحال بينهما الى العداوة والمقاطعة . ويكون خيرا له لو تركهم من أول الامـــر وشأنهـــم .

وعلى الوجه الثاني : على مرشدى المسلمين أن يعانوا ادواءهم بالعلاجات النافعة ويشخصوها لهم عند الحاجـــة بالعبـــارات الرقيقة المؤثرة ، فى رفق وهوادة مجتنبين كل ما فيه تقنيط أو تثبيط. وان يعرفوهم بأنهم ــ وان ساءت نواح من احوالهم ــ فهنالك نواح ما تزال صالحة . وهنالك علاجات من الاســلام قريبة ناجعة ، وان يعرفوا ما فيهم من فضائل وما لهم من مجد، وما لهم بهذا الاسلام من قدر وعز ليثيروا فيهـــم النخـــوة ويبعثوهم على العمل والخير. واذا ذكروا لهم سيئاتهم ذكروا لهم قرب السبيل الى النجاة منها بالاقلاع عنها فيسرعون بالتوبـــة والانابـــة .

أصل عام فى التربيـة :

هذا الحديث أصل عظيم فى التربية المبنية على علم النفسية البشرية فان النفوس عند ما تشعر بحرمتها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب . وعند ما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل وترجع الى احط دركـات السقـوط .

فجاء هذا الحديث الشريف يحذر من تحقير الناس وتقنيطهم وذلك يقتضى ان المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم .

وهذا الاصل العظيم الذى عليه هذا الحديث الشريف يحتاج اليه كل مرب سواء أكان مربيا للصغار أم للكبار ، وللافراد أم للامم ، اذ التحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء قتل للنفوس نفوس الافراد والجماعات وذلك ضد التربية ، والاحتـرام والتنشيط وبعث الرجاء احياء لها وذلك هو غرض كل مرب ناصح فى تربيته :

فاللهم صل على هذا النبى الكريم العظيم الرحيم الذى علمته ما لم يكن يعلم وكان فضلك عليه وعلينا به عظيما ، فكم من علوم وأسرار انطوت عليها احاديثه الشريفة قد أتت على ما لم تعرفه البشرية الا بعد حين ، ولا عجب فهو الذى أوتى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا . صلى الله عليه وعلى آلـه وصحبه وسلم (1) .

---

(1) ش : ج 3 ، م 10 ـ غرة ذى القعدة 1352 هـ ـ 15 فبفرى 1934 م .

لا يجزم لأحد انه من أهل الجنة
إلا بنص من الشارع

(قال ابن شهاب أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء ـ امرأة من الانصار ـ بايعتِ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، أخبرَتْه أنه اقتسمَ المهاجرُون قرعةً فطار لنا عثمان ابن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوُجع وَجعَه الذى توفّي فيه،فلما توفي وغسِّل وكفِّن في أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت:رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرَمَك الله ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم:وما يدريكِ أن الله أكرمَه ؟ فقلت:بأبي أنت يا رسولَ الله فمن يكرمه الله ؟ فقال عليه السلام:أما هو فقد جاءه اليقين،والله اني لأرجو له الخير ، واللهُ ما أدري وانا رسول الله ما يُفعل بي . قالت:فواللهِ لا أزكّي أحداً بعده أبداً) ، رواه البخارى في صحيحه من طرق في عدة أبواب .

* * *

المتـــن :

ثبت عند البخارى أيضا (ما أدرى ما يُفعل بي ولا بكم) . وثبت عنده أيضا « ما أدري ما يُفعل به » .

ترجمة شخصَيِ الحديث :

شخصا الحديث هما اللذان كانا سببا في وروده وهمــا أم العلاء المزكية وعثمان المزكى . فاما أم العلاء فهى بنت الحارث ابن ثابت الانصارى الخزرجية وهى أم خارجة بن زيد الراوى عنها ، واما عثمان بن مظعون فهو أبو السائب بن حبيب بن وهب القرشى الجمحى من السابقين، أسلم بعد ثلاثة عشر رجُلا، هاجر الهجرتين ، وشهد بدرا،وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة، وأول من دفنُ بالبقيع منهم .

الشـــــرح :

لما جاء المهاجرون الى المدينة ولا أهل لهم ولا مال ، نزلـوا على الانصار من الاوس والخزرج فاقتسمهم الانصار بالقرعــة فطار فى قسمة بيت زيد بن ثابت عثمان بن مظعون فأنزلوه فى ابياتهم فمرض مرضه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى اثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقامت أم العلاء فى حضرة النبى ــ ص ــ تثنى على عثمان فدعت له بالرحمة وشهدت له جازمة بأن الله اكرمه أى بالجنة لأنها هى دار كرامة الله لعباده، فأنكر عليها النبى (ص) وقال لها وما يدريك ان الله اكرمه ؟ أى من أين علمت ذلك . ففدته بأبيها تأدبــا معه ــ ص ــ فى الخطاب وقالت فمن يكرمه الله أى اذا لم يكرم عثمان مع سابقيته وهجرته وبدريته فمن يكرم ! فبين لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما يجوز أن يقطع به وما لا يجوز ان يتعدى حد الظن ، فقال لها اما هو فقد أتاه اليقين يعنى الموت وهذا مقطوع به ، وانى لارجو له الخير ، وهذا هو الذى لا يجاوز حد الظن ، ثم بين لها ان الغيب لا يعلمه الا الله وان البشر لا يعلمون الغيب حتى الانبياء ــ ص ــ فانهم لا يعلمون

الا ما علمهم ، فقال لها والله لا ادرى وانا رسول الله ما يفعل بى . فاهتدت الى ما هداها اليه النبى(ص) وقالت والله لا أزكى احدا بعده ابدا ، تعنى مثل هذه التزكية التى قطعت له فيها بالكرامـــة .

تــوضيـــح :

ما فى لفظ الحديث موافق لما فى سورة الاحقاف المكية من قوله تعالى : « وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ » قال البيضاوى أى فى الدارين على التفصيل اذ لا علم بالغيب . يعنى الا ما علمه الله وقد اعلمه الله بانه مغفور له ما تقدم وما تأخر فى سورة الفتح المدنية واعلمه بما أخبر به فى الصحيح من منازله الكريمة يوم القيامة ومقامه المحمود وغيره من أنواع الخصوصية والكرامـــة .

الاحكـــــام :

فى الحديث اقتسام أهل القدرة أهل العجز عنـــد الضرورة والشدة . وفيه الدخول على الميت بعد تسجيته فى اكفانه ، وفيه الدعاء للميت بالرحمة ، وفيه المنع من القطع لاحـــد بالجنة دون نص شرعى ، وفيه المبادرة بانكار القول الباطـل فى الدين بفوز سماعه ، وفيه مراجعة المعلم بابداء وجه النظر الذى وقع الخطأ فيه ، وفيه جواز ظن ورجاء الخير لأهله .

تفــرقـــة :

ذكر الميت بما علم من حاله فى حياته ثناء عليه جائـــز والقطع له بالنجاة ممنوع ، فاما هذا الثانى فدليل منعه من الحديث المذكور ، واما الاول فدليل جوازه ما رواه مسلم فى

صحيحه عن ابن عباس قال : وضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل ان يرفع وأنا فيهم ، قال فلم يرعني الا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت اليه فاذا هو علي فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الي ان ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله ان كنت لأظن ان يجعلك الله مع صاحبيك ، وذاك اني كنت أكثر ما اسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : جئت انا وأبو بكر وعمر ودخلت انا وأبو بكر وعمر . وخرجت انا وأبو بكر وعمر فان كنت لأرجو ولأظن ان يجعلك الله معهما . وهذا في ذلك الجمع دليل على اجماعهم على جوازه وهو لم يخرج عن ذكره بما علمه منه في حياته وظن الخير له بذلك بعد مماته .

تحذيـــر وارشـــاد :

لقد ابتلي كثير من الناس بالغوا فيمن يعتقدون فيهم الصلاح فيجزمون لهم بما لا يعلمه الا الله ، ثم زادوا على هذا فيزعمون ان فلانا مات في رتبة كذا ، وحصل عند الله على منزلة كذا ، ثم زادوا على هذا فيزعمون ان فلانا يشفع لاتباعه ويعديهم على الصراط أو يجعلهم في بطنه ويمر بهم وانه يحضر لهـم عند الموت ويحضر لهم عند السؤال ويكون معهم في مواقف يوم القيامة ، وكل هذه الدعاوى انبنت على الجزم بانه ممن أكرمه الله وانه من أهل الجنة ذلك الجزم الذي سمعت النهي والانكار صريحين فيه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أم العلاء في رجل من السابقين الاولين البدريين ، وليست هذه الدعاوى المبنية على المخالفة لهذا النهي النبوي الصريح قاصرة على العوام بل تجدها عند غيرهم وتسمعها ممن يرفعون أنفسهم عن طبقتهم ، وتقرأها في الكتب التي عدلت عن الاحاديـث

النبوية الصحيحة والطريقة النبوية الواضحة وذهب فى بنيات الطريق فكانت بلاء على العامة واشباههم ووبالا ، فاحذر أيها الاخ المسلم من عقيدة الجزم بالكرامة والجنة لغير من نص عليه المعصوم عليه وآله الصلاة والسلام . ومن تلك الدعاوى الباطلة التى انبنت عليها . ولا تجزم بالكرامة على الله لاحـــد غـير المنصوص عليه وان كان عظيما ، فان قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحق وأعظم وأنفُ من لا يقول هذا ولا يقبله مرغـــم . وكل من استعظمته ممن هو على جانب من الصلاح والخير فانه لا يدانى مقام عثمان بن مظعون البدرى فى الصلاح والخير وقد سمعت ما سمعت من النهي النبوي عن القطع لـــه بالكرامـــة .

ومهما أعدنا القول فى هذا وأكدنا فاننا لا نفيه حقه من الانـــكار والاستئصال لما نعلمه من رسوخ هذه الضلالة وقدمها والتهاون فيها وعظيم التجرى على الله بها . وهـــذا الحديث النبوى هو دواؤها والقاطع لها ، فليتأمله قراؤنا ولينشروه فى المسلمين وليذيعوه بالتلاوة والتفسير والتأكيد والتقرير عسى ان يشفى الله به القلوب من داء الغلو والادعاء والغرور والتغرير ، وليظن المسلم الخير باهل الخير وليرج لهم حسن الجزاء والمصير كما رجا النبى صلى الله عليه وآله وسلم الخير لعثمان ابن مظعون رضى الله تعالى عنه بعد ما نهى عن الجزم بالكرامة له، وهذا هو دين الله الحق الوسط السالم من الغلو والتقصير . والله نسأل لنا ولجميع المسلمين ان يقف بنا عند حدود الشرع الشريف . ويحفظنا من الغلو والتقصير والتحريف ، انه هو الولى الحفيظ اللطيف (1) .

(1) ش : ج 11 . م 8 ـ غرة رجب 1351 هـ ـ نفمبر 1932 م .

تكثير السواد

« من كثَّر سوَاد قوم فهو منهم »

عن أبى الاسود قال : قُطِعَ على أهل المدينة بَعْثٌ فاكتُتِبْتُ فيه فلقيت عكرمةَ فأخبرتُه فنهاني أشد النهي ثم قال : أخبرَني ابن عباس ان أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثِرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأتى السهمُ فيُرمَى فيصيبُ احدَهم فيقتُله أو يضربه فيقتله، فأنزل الله تعالى : « **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَٰئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** » ، رواه البخارى فى كتاب الفتن .

* * *

الألفاظ :

سواد القوم : أشخاصهم . قطع عليهم بعث : فرض عليهم جيش يبعث للقتال . اكتتبت : كتب اسمه فى جملة الجيش .

المعنى :

كان عبد الله بن الزبير قائما بمكة ، وكان عبد الملك ابن مروان بالشام ، والفتنة مشتعلة بين المسلمين ، بسبب النزاع ما بينهما ، فكان عبد الله بن الزبير يبعث البعوث من الحجاز الى قتال عبد الملك بالشام ففرض على أهل المدينة جيشا

فكتب فيه أبو الاسود محمد بن عبد الرحمن الاسدى اسمه ليكون من جملته . ثم لقى عكرمة مولى ابن عباس ، فذكر ذلك لـه ، فنهاه عكرمة عن ان يكون فى ذلك الجيش وأخبره عن ابن عباس بما كان من سبب نزول قول اللـه تعالى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ » ، وهو أن قوما من المسلمين كان المشركون يخرجونهم معهم ، لا ليقاتلوا المسلمين ، وانما ليكثروا سواد المشركين ، ويظهروا عظـم جيشهم ، وكثرة عددهم فى أعـين المسلمين . فكانوا يقتلون بما يصيبهم من رمى السهام وضرب السيوف فاخذهم الله لمجرد تكثيرهم سواد المشركين ، وان لـم يشاركوهم فى القتال ، ولا حضروه طائعين،وانزل الآية الكريمة فيهـم .

المطـابقـة :

ذكر عكرمة هذا لابى الاسود لانه أفاد حكم اللـه فيمن كثر سواد المقاتلين للمسلمين دون ان يقاتل ، أو يكـون راضيا أو طائعا بالحضور . فكيف بمن اكتتب للقتال مثل أبى الاسود ؟ ولا فـرق فى المؤاخذة فى قتـال المسلمين ، بين ان يكـون مـع المشركين أو مع المسلمين فى الفتنة .

الأحكـــام :

من حضر مع قـوم وكثر جمعهم فهو منهم وشريك لهـم فى عملهم، سواء أكان خيرا أم شرا كما يفيده الحديث الذى جعلناه ترجمة . وهو فى مسند أبى يعلى . فاما فى الشر فالنص فيـه حديث ابن عباس هذا ، واما فى الخير فحديث أبى هريرة فى الصحيح ، فى القوم الذين يجتمعون فيسبحون الله ويكبرونه ويهللـونه ويحمدونه ويسألـونه ويستجيرونه ويستخـيرونه ويستغفرونه،فيقول الله للملائكة عليهم السلام ، قد غفرت

لهـم ، فاعطيتهم مـا سألوا وأجرتهم ممـا استجاروا ، فتقول الملائكة : رب فيهم فلان عبد خطاء ، انما مر فجلس معهم ، فيقول تعالى : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

الاقتـــداء :

فحق على المسلم أن يختار من يصاحب من رفقة ، أو يجالس من جماعة ، أو يكثر من سواد قوم،فانه محاسب عـلى أعماله ومن أعماله مجرد حضور بدنه (1) .

---

(1) ش : ج 4 ، م 15 ـ ربيع الثانى 1358 هـ ـ ماى 1939 م .

دعــوى الجــاهلية
أو
الكلمـــة المنتنـــة

(عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنّا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غَزَاةٍ فَكَسَعَ رجُلٌ من المهاجرين رجُلاً من الأنصار . فقال الأنصاري يـاَ لَلأنصار ، وقـال المهاجري يـا لَلمهاجرين ، فقال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : « ما بالُ دعوَى الجاهلية ! » قالوا يا رسول الله كسَعَ رجُلٌ من المهاجرين رجُلاً من الأنصار فقال : « دَعُوهاَ فَإِنَّها مُنْتِنَةٌ ») .

* * *

السند : رواه الشيخان وغيرهما .

الالفاظ : كسعه : ضرب دبره بيده أو صدر قدمه . رجل .. رجـلا : كان الرجلان من المـوالي ، يا للانصار يا للمهاجرين : استغاثة من كل بقومه ومواليه لينصروه عـلى الآخـر . دعوى الجاهلية : الدعاء الذى كان يـدعو بـه الجاهلية بنعرة العصبية لاثـارة الحمية يدعو الرجل قومه لينصروه ولو على الباطل . دعوها : اتركوها . منتنة : مكروهة فى العقل والدين ككراهة الشىء المنتن فى الشم ومفرقة للجمع كما يفرق النتن المجتمعين .

المعنـــى :

كان الرجل في الجاهلية . اذا نزل به أمر . استنصر بقبيلته وتعضد بهم ودعاهم الى معونته ونصرته ، بما بينه وبينهم من عصبية قبلية فتثـور حميتهم فيندفعون الى مؤازرته فيؤيدونه ظالما أو مظلوما ، فاذا كان ظالما زادوا في ظلمه ، واذا كان مظلوما لم ينتهوا عند حد في الانتقام له من ظالمه ، فلما جـاء الاسلام أبطل الانتصار بالعصبية والتعضد على الانتقام بالقبيلة . وجعل الحكم بالقضاء الشرعى والتوصل اليه بالبينات والحكام . فلو أن ذلك المكسوع كان ممن تأدب بالاسلام وتغلغلت روح الاسلام في قلبه لكان دعا بدعوى الاسلام فقال يا مسلمون قد ضربني هذا، وأقام عليه البينة وساقه الى النبى صلى الله عليه وسلم ليقتص له منه ، ولما لم يكن كذلك وكانت الروح الجاهلية ما تزال منها عقابيل (1) في صدره دعا بدعوى الجاهلية، وكان صاحبه مثله فقابله بمثلها ، فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منهما سأل عن السبب الذى أثار تلك الدعوى فلما عرفوه بسببها نهى عنها وحـذر منها ، فأبرزها في أقوى صورة تنفر منها ابرازا للمعقول في صورة المحسوس لانه أبلغ في التأثير عـلى السامع فوصفها بأنها منتنة .

الدعويان وأثرهما :

دعوى الجاهلية ــ يا بني عمى ، أو يا قومى ، أو يا أهـــل بلدى، أو يا أهل وطنى ــ انتقموا لى، فاذا دعا بها وقعت التفرقة بين عشيرة وعشيرة أو بين قوم وقوم أو بين بلد وبلد ، أو بين وطن ووطن ، واثارت الحمية في كل واحدة من الناحيتين عـلى الاخرى ودفعـت الى الاسراف والتعدى فأوسعت الظلم والشر ،

---

(1) العقابيل : الشدائد وبقايا العلة أو العداوة مفرده (عقبول) .

وابقت الاحن والاحقاد والتّرات مما يسترسل معه الظلم والفساد في المستقبل .

أما دعوى الاسلام فهي يا عباد الله ، أو يا مسلمون اني ظلمت فأنقذوني أو أشهدوا لي . فاذا دعا بها كانت جامعة لا تفريق فيها وأهابت بالسامعين كلهم كذات واحدة كلهم ينصرون الحق فيكفوا الظلم ان كان واقعا على المظلوم في الحال ويشهدون بالظلم عند الحاكم ليجري العدل مجراه .

فأين تلك الآثار من هذه الآثار ؟ ولقد ظهرت آثار الاولى في الامــة العربية في جاهليتها ، وظهرت آثــار الثانية فيها بعــد اسلامها ، فأرى الله العباد ـ عيانا جهرة ـ اختلاف الاثرين في أمة واحدة في زمن قريب وأقام عليهم حجته ، ولكن أكثر الناس لا يعلمــــون .

تفــرقة وتمييــز :

كل من سعى الى تحصيل شيء مستعينا بذوي عصبيته له لنسبة جنس أو قبيلة أو بلــد أو شيخ أو حرفة أو فكرة غير ناظر الى أمة على حق أو على باطل ـ فقد دعا دعوى الجاهلية وكل من أجابه فقد شاركه في دعواه . أما مــن عرف الحق وتيقن مــن نفسه الصدق في طلبه واستعان على تحصيله بمن تربطهم به روابط خاصة ولا يأبى أن يعينه عليه من لم يكن من جماعته لان قصده الى تحصيل الحق باعانة أي كان ـ فهذا لا يكون دعا دعوى الجاهلية بل دعا دعوى اسلامية لانها لم تخرج عن التعاون على الحق وهو من التعاون على البر والتقوى .

استـــدلال :

ثبت فى صحيح مسلم فى غزوة حنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أى عباس ناد أصحاب السمرة » فنادى بأعلى صوته : أين أصحاب السمرة؟ وكانت الدعوة: يا معشر الانصار، يا معشر الانصار ثم قصرت على بنى الحرث بن الخزرج فصارت : يا بنى الحرث بن الخزرج يا بنى الحرث بن الخزرج .

فكانت الدعوة ـ فى ذلك اليوم الشديد ـ لمن جمعتهم بيعة الرضوان وهم أهل السمرة ثم لمن جمعهم اسم الانصار ثم لمـن جمعهم اسم اب . وكان ذلك كله حقا لانه دعوة الى الحق .

تحذيـــر وارشـــاد :

ليحـذر المسلـم مـن كـل كلمـة مفرقة من كل ما يثـير عصبية للباطل وحميـة جاهلية لا يدعو بها ولا يجيب من دعا اليها فان بلاء كثيرا حل بنا وفتنة كثيرة أصابتنا من تلك الكلمات المفـرقة .

ولتكن دعوته ـ اذا دعا ـ بالكلمات الجامعة التى تشعر بالاخوة العامة وتبعث على القيام بالواجب بأيد متشابكة وقلوب متحدة حتى اذا دعا جماعة خاصة يعلم منه نفعا خاصا فى مكان خاص فليكن بما يفهمهم انه الى الحق دعاهم وعلى القيام به استعان بهم دون اباية من انضمام كل من ينضم اليهم فانه ما توجه قوم الى نصرة اللـه ـ ورضـا اللـه قصدهم إلا كـان اللـه معهـم : « وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » . (1)

---

(1) ش : ج 2 ، م 13 ـ 1 صفر 1356 هـ ـ 13 ابريل 1937 م .

الشرك والوثنية ودعوى النبوة

عن ثوبان قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « لا تقومُ الساعةُ حتَّى تلحَقَ قبائلُ من أمتى بالمشركين وحتى يعبدوا الأَوثان ، وإنَّه سيكونُ فى أمتي ثلاثون كذَّابُونَ كلهُّم يزعم أنهُ نبيٌّ،وأنا خاتِمُ النبيِّين ، لا نبيَّ بعدِي » . رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح .

* * *

كان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يعرف أصحابه بما يكون فى أمته من بعده ، وهو تعريف للأمة كلها بما يكون فيها ، يعرفهم بذلك ليحذروه ويجتنبوا أسبابه ، ويبادروا الى معالجته عند وقوعه .

لا يستبعد مسلم صدور الشرك والوثنية ودعوى النبوة من غير المسلمين ، وانما يستبعد ويستنكر أن يكون شىء من هذا ممن يقولون أنهم مسلمون ، ولهذا قدم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هذا التعريف والانذار ، حتى اذا وقع شىء من هذا من هذه الامة بودر الى انكاره وعلاجه ، ولم يتساهل معهم فى شىء من ذلك لانهم يقولون أنهم مسلمون .

اللحوق بالمشركين :

من اعتقد مثل عقيدتهم أو فعل مثل أفعالهم أو قال مثل أقوالهم فقد لحق بهم ، وقد يكون اللحوق تاما مخرجا عن أصل الاسلام وقد يكون دون ذلك .

فأصل عقيدة الشرك عند عرب الجاهلية أنهم يعلمون أن الله هو خلقهم وهو يرزقهم وهو المالك لجميع مخلوقاته ، ولكنهم كانوا يجعلون توجههم وتقربهم وتضرعهم لآلهتهم على اعتقاد أنها تقربهم الى الله .

وفي الناس اليوم طوائف كثيرة تتوجه لبعض الاموات وتتضرع لهم وتقف أمام قبورهم بخضوع وخشوع تامَّيْن وتتضرع وتناديهم على اعتقاد أنهم يقربونها الى الله ويتوسطون لها اليه ويزيدون أنهم ينصرفون لها بقضاء الحوائج وجلب الرغائب ودفع المصائب .

ومن أعمال المشركين فى الجاهلية أنهم يسوقون الأنعام لطواغيتهم فينحرونها عندها طالبين رضاها ومعونتها .

وفى الناس اليوم طوائف كثيرة تسوق الأنعام الى الأضرحة والمقامات تنحرها عندها إرضاء لها وطلبا لمعونتها أو جزاء على تصرفها وما جلبت من نفع أو دفعت من ضر .

ومن أقوال المشركين فى الجاهلية حلفهم بطواغيتهم تعظيما لها .

وفى الناس اليوم طوائف كثيرة يحلفون بالله فيكذبون ويحلفون بمن يعظمونه من الاحياء أو الاموات فلا يكذبون .

فهذه الطوائف الكثيرة كلها قد لحقت بالمشركين. وصدق رسول الله (ص) فى قوله : (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين) .

عبادة الاوثان :

كانت عبادة الأوثان فى الجاهلية بالخضوع والتذلل لها ورجاء النفع وخوف الضر منها فينذرون لها النذور وينحرون لها النحائر ويلطخونها بالدماء ويتمسحون بها .

وفى الناس اليوم طوائف كثيرة لها أشجار ولها أحجار تسميها بأسماء وتذكرها بالتعظيم وتذبح عندها الذبائح وتوقد عليها الشموع وتحرق عندها البخور وتتمسح بها وتتمرغ عليها مثل فعل الجاهلية أو يزيد .

فصدق عليهم قول رسول الله (ص) : « وحتى يعبدوا الأوثان » .

هذا كله واقع فى الأمة لا شك فيه . وكما كان من نصح نبيها ـ ص ـ أن أنذرها بوقوعه فيها قبل وقوعه ـ فان من نصح علمائها لها أن يعرفوها به اليوم بعد وقوعه ، ويصوروه لها على صورته الشركية الوثنية التى ينفر منها المسلم بطبعه . ولو أن الامة سمعت صيحات الانكار من كل ذى علم لاقلعت عن ضلالها . ورجعت الى رشدها فما أسعد من نصحها من أهل العلوم وجاهد لانقاذها وما أشقى من غشها وزادها رسوخا فى ضلالها، وتماديا فى هلاكها ، فحيهلا على العمل أيها المصلحون الناصحون المخلصون ، فان عهد الغش والخديعة قد آذن بذهاب ، وان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب .

دعـــوى النبـــوة : قد ضلت وهلكت باتباع أشخاص ادعوا النبوة من هذه الامة ـ طوائف كثيرة، وقد كان منهم أول الاسلام مسيلمة الكذاب، والاسود العنسى، ثم كان المختار بن عبيد الثقفى ثم كان منهم في عصرنا وقبيله الباب، واليه تنسب البابية والبهاء، واليه تنسب البهائية، وغلام القادياني واليه تنسب القاديانية، وقد كانت هذه القاديانية تدخل الجزائر على يد طائفة الحلول وشيخها ، لولا أن قام فى وجوههم العلماء المصلحون وفضحوهم على صفحات « الشهاب » أيام كان اسبوعيا ، فرد الله كيدهم ، ووقى الله الجزائر شرا عظيما .

وقد أخبر النبى ـ ص ـ عن هؤلاء الكذابين بأنهم ثلاثون فلابد الى أن يصلوا الى هذا العدد ، وقد تكون بقيتهم فى أحشاء الايـــام .

وقد أخبر ـ ص ـ أنهم كذابون ، وأنه لا نبى بعده ، وقد صدق قوله ـ ص ـ فما من واحد منهم الا وقد ظهر من كذبـه ما عسر تأويله على أصحابه ، ومن غلطه وخلطه ما يدل على أنه لا مستند له من اليقين . فصلى الله على خاتم الانبياء وامـــام المرسلـين (1) .

---

(1) ش : ج 1 ، م 11 ـ غرة محرم 1354 هـ ـ 5 ابريل 1935 م .

اتحاد المؤمنين وتعاونهم

(المؤمنُ للمُؤمِنِ كالبُنيان يشُدُّ بعضُه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه) . رواه البخارى عن أبى موسى الاشعرى ، ومسلم عنه أيضا الى قوله بعضا .

* * *

المفـــردات :

المؤمن : أل فى اللفظين جنسية استغراقية ، فالمراد جميع الافراد ، للمؤمن : اللام لام الاختصاص ، يشد : يقوى بعضه بعضنا بالتضام والالتحام، شبك : أدخل أصابع اليمنى بين أصابع اليسرى ، وأصابع اليسرى بين أصابع اليمنى .

التراكيـــب :

الجملة الاولى خبرية لفظا ، طلبية معنى ، أى ليكن المؤمن للمؤمن كالبنيان ، وجيء بالطلب على صورة الخبر تنبيها على أن هذا المطلوب هو الشأن الذى لا ينبغى أن يكون سواه ، فهو بحيث يخبر عنه لا أن يطلب ، والجملة الثانية استئنافية لبيان وجه التشبيه .

المعــــنى :

الواجب على كل فرد من أفراد المؤمنين أن يكون لكل فرد من أفراد المؤمنين كالبنيان في التضام والالتحام حتى يكون منهم جسد واحد كما قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الحديث الآخر : (مثلُ المؤمنين فى توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم مثلُ الجَسَــد ، اذا اشْتَكى منهُ عضوٌ تداعَى له سائرُ الجسدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى) .

زيــــادة بيــــان :

لقد قرر الحديث الشريف معنى الاتحاد الذى يجب أن يكون بين جميع أفراد المؤمنين على أكمل وجه فى التصوير ، وأبلغه فى التأثير ، فقد شبههم بالبنيان ، وذلك وحده كاف فى افادة الاتحاد ، وزاد عليه التصريح بالشد والتقوية ليبين أن فى ذلك الاتحاد القوة للجميع تأكيدا للزوم الاتحاد بذكر فائدته ، ثم زاد عليه التصوير بالمحسوس ، لما شبك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بين أصابعه . هذا كله ليبين للمؤمنين لزوم الاتحــاد وضرورته .

تبصــــر :

ألا ترى البنيان كيف يتركب من الحجارة الكبيرة ، والحجارة الصغيرة والمواد الاخرى التى تلحم بها الحجارة وتكسى ، وكل ذلك محتاج اليه فى تشييد البنيان، فكذلك بنيان المؤمنين فانه متكون من جميع أفرادهم ، على اختلاف طبقاتهم ، فالكبــــير والجليل له مكانه ، والصغير والحقير له مكانه ، وعلى كل واحد أن يسد الثغرة التى من ناحيته ، مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنيان التى لا غناء لها عنه ، كما لا غناء له عن كل واحد منها فكل واحد من المؤمنين عليه تبعته ، بمقدار

المركز الذى هو فيه ، والقدرة التى عنده ، ولا يجوز لاحد وان كان أحقر حقير أن يخل بواجبه من ناحيته ، فانه اذا أزيل حجر صغير من بنيان كبير دخل فيه الخلل بمقدار ما أزيل ، واذا ابتدأ الخلل من الصغير تطرق للكبير .

ثم ألا ترى أصابعك وفيها القوي وفيها الضعيف ، حتى اذا شبكتها صارت كشيء واحد له قوة ومتانة زائدة ، وكل اصبع منها يمكن أن يلوى ما دام وحده ، فاذا اشبكتها عسر ليها ، وقوى أمرها، فكذلك المؤمنين(1) باتحادهم وفيهم القوى وفيهم الضعيف تكون لهم قوة عامة زائدة ، وكل واحد منهم بمفرده يمكن قهره فأما اذا اتحدوا فانهم يكونون بقوة اتحادهم في مأمن من كل قهر.

تفقـــه :

لما قال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : (المؤمن للمؤمـــن ... الخ) . علق الحكم على الوصف ، فاقتضى ذلك أن هذا هو واجب كل مؤمن من حيث أنه مؤمن مع كل مؤمن من حيث أنه مؤمن ، فيجب لهذا أن تطرح فى مقام الاتحاد والتعاون جميـــع المفرقات من المذاهب والمشارب ، وينظر الى وصف الايمان فقط. فهذه المذاهب وهذه المشارب ، أهلها كلهم أهل ايمان ، لا يدفع بعضهم بعضا عن ذلك ، والنبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قد أمرهم بالاتحاد والتعاون باعتبار الوصف الاصلى الذين هم مشتركون فيه ، ليكون الاتحاد والتعاون فى مكنتهـــم ، دون التفات الى ما أحدثوه من مفرقاتهم ، فمن تعامى عن وصـــف الايمان الموجب للاتحاد ونظر الى مذهب أو مشرب من موجبات الافتراق فقد عصا أبا القاسم ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ

(1) كذا فى الاصل ، والصواب : المؤمنون .

وحاد الله ورسوله ، وأعرض عن دعوة الحق ، وأجاب داعي الشيطـــان .

سلـــوك :

علينا أن نعتقد بقلوبنا أن الاتحاد واجب ، أكيـــد ، محتـــم علينا مع جميع المؤمنين ، وأن فيه قوتنا وحياتنا ، وفي تركه ضعفنا وموتنا ، وأن نعلن ذلك بألسنتنا في كل مناسبة مـــن أحاديثنا ، وأن نعمل على تحقيق ذلك بالفعل باتحادنا وتعاوننا مع اخواننا في كل ما يقتضيه وصف الايمان الجامع العام .

والله المستعان ، وعليه التكلان (1) .

---

(1) ش : ج 7 ، م 7 ـ غرة ربيع الاول 1350 هـ ـ جوليت 1931 م .

قيمةُ الرَّجُل بقيمة قومه

لما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « مثلُ المؤمنين فى توَادِّهم وتراحُمِهِم مثل الجسَد اذاَ أشتكَى منهُ عضْوٌ تداعَى سائرُه بالحُمَّى والسَّهَر » . نبه على معنى عظيم فى ارتباط كل فرد بأمته ارتباط الجزء بكله ، وهذا الارتباط يقتضى أمورا كثيرة منها ما جاء نصا فى الحديث الشريف ، ومنها ما يؤخذ مما يقتضيه التشبيه ، ومن هذا أن الفرد منظور اليه فى النظر الاجتماعى العام بما ينظر به الى أمته ، سواء أساواها فى المستوى الذى هو فيه من رقى وانحطاط أم كان أسمى منها أو أدنى ، فقيمته فى النظر الاجتماعى العام هى قيمتها .

* * *

جمعتنى ليلة بثلاثة من شبابنا المتعلم التعليم الاروبى ، والمتأدب الادب الافرنجي ممن لا ينقصه شيء عن الطبقات الراقية منهم ، وانساق بنا الكلام الى ما تكتسب به الامم والافراد الاحترام فى عين غيرها ، واتفقنا على أن الامة التى لا تحترم مقوماتها من جنسها ولغتها ودينها وتاريخها لا تعد أمة بين الامم ، ولا ينظر اليها الا بعين الاحتقار مع القضاء عليها فى ميادين الحياة بالتقهقر والاندحار . وأن الفرد الذى لا يحافظ على ذلك من أمته لتأخرها فى سير الزمان بما أحاط بها من

ظروف الحياة ، وان تحلى بأعظم وأحسن ما يتحلى به الراقون من أمة أخرى لا ينظر اليه الا بالعين التى ينظر بها الى أمته .

أخذ أولئك الشبان ــ وقد زالت عن أبصارهم غشاوة الغرور والغفلة لما أقنعتهم بأن قيمة الرجل بقيمه أمته ــ يقصون على من الوقائع التى وقعت لهم هم أنفسهم ما يثبت تلك الحقيقة ويؤيدها .

قلت لاولئك الاخوان ــ وقد اندهشت مما لم أكن أحسبه يقع ــ : لا تلوموا من عاملكم بما تقيضيه نظرة اجتماعية عامة، ولكن لوموا أنفسكم ان جهلتم هذه الحقيقة ، وأنتم أبناء دين قررها من أول أيامه فى مثل الحديث الشريف الذى افتتحنا به هذا المقال .

واليوم ــ وقد تجلت لكم الحقيقة علميا وعمليا ــ عليكم أن تلتفتوا الى أمتكم فتنشلوها مما هى فيه بما عندكم من علم وما اكتسبتم من خبرة محافظين لها على مقوماتها سائرين بها فى موكب المدنية الحقة بين الامم ، وبهذا تخدمون أنفسكم وتخدمون الانسانية بانهاض أمة عظيمة تاريخية من أممها ، ثم لا يمنع هذا من أخذ العلم عن كل أمة وبأى لسان واقتباس كل ما هو حسن مما عند غيرنا ومد اليد الى كل من يريد التعاون على الخير والسعادة والسلام (1) .

---

(1) ش : ج.8 . م 11 ــ شعبان 1354 هـ ــ نفامبر 1935 م .

انما يُؤخذ الدينُ من العلماء

«قال عليه وآله الصلاة والسلام : (كان فيمَن قبلَكم رجلٌ قَتلَ تسعةً وتسعين نفساً فسَأَل عن أَعلمِ أهلِ الأرض فدُلَّ على راهب فأتاهُ فقال إنه قَتلَ تسعةً وتسعينَ نفساً فهَل لَه من تَوبَةٍ؟ فقال لا، فقَتَلَه، فقال: فكمَّل به مائةً ، ثم سَألَ عن أعلمِ أهلِ الأرضِ فدُل على رجُل عالِمٍ فقال: إنه قَتلَ مائةَ نفس فهَل له من تَوبة؟ فقال نعم، ومن يَحُولُ بينَه وبين التَّوبَةِ ؟ إنطلِقْ إلى أرضِ كذا وكذا فإن بها أُناساً يعبُدونَ اللهَ فاعْبُدْه معهُم ولا ترجِعْ الى أرضِك فانَّها أرضُ سوءٍ ، فانطَلَق حتى اذا نَصَفَ الطريقَ أتاهُ الموتُ فاختَصمَتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ ، فقالتْ ملائكةُ الرحمةِ : جاء تَائباً مُقبِلا بقَلبه الى اللّه . وقالت ملائكةُ العذاب : إنّه لم يعملْ خيراً قطُّ ، فأتاهم ملَكٌ فى صورة آدمي فجعلوه بينَهم، فقال: قِيسُوا ما بينَ الأرضَيْن فإلى أيّتِهِما كان أدنَى فَهو لهُ ، فقاسوا فوَجدوه أدنى الى الأرض التى أَرَادَ ، فقبضتْهُ ملائكةُ الرَّحمةِ) رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ».

* * *

الألفـــاظ :

الراهب : هو العابد وكانت الرهبنة فيمن قبلنا بالانقطاع عن الناس والتفرغ للعبادة ابتدعها أهلها دون ان يكتبها الله عليهم كما فى سورة الحديد . ثم جاء الاسلام فشرع الجمعة والجماعة فابطل الانقطاع عن الناس للعبادة الا من فر بدينه أيام الفتنة خوفا على نفسه منها . والعالم من له دراية وملكة واشتغال بالعلم ، والمقابلة ما بينهما فى الحديث تقتضى ان الراهب لم يكن عنده من العلم ما يقال فى صاحبه عالم . والعالم لـم يـكن عنـده من الانقطاع للعبادة ما يقال فى صاحبـه راهب . قال الامام محمد السنوسى ـ رادا على الابى ـ : تسمية النبى صلى الله عليه وآله وسلم الرجل الثانى بالعالم والاول بالراهب يدل على ان الراهب ليس بعالم ، والحجة فيما دل عليه لفضله صلى الله عليه وآله وسلم من ان كل واحد انما ثبت له فى نفس الامر معنى الوصف الذى أطلقه عليه ، واما دلالـة الدال على الراهب وهو انما سأل عن العالم فليس فيه دليل على ان الراهب كان عالما لاحتمال ان يكون الدال رجلا جاهـلا ، ولا يعرف العالم الا من هو عالم ، لا سيما والرهبانية كثيرا ما يعتقد الجهلة ملازمتها للعلم . والترهب ان سلم انه يقتضى العلم فانما يقتضى العلم بما يحتاج اليه فى ترهبه وإلا فكم من مترهب جاهل . اهـ

المعـــنى :

هذا رجل جنى هذه الجنايات العديدة ثم ذكر الله تعالى فاراد الرجوع اليه فسأل عن أعلم أهل الارض ليوجده سبيلا الى ذلك، فدله من دله على راهب لاعتقاد العامة العلم فى كل مظهر للتعبد فلم يجد عنده مخرجا من جنايته فكمل بقتله المائة محمولا على

ذلك باليأس والجراءة والاستهانة بقتل النفس . ولكنه بقى مع ذلك يطمع ان يجد عند غيره سبيلا ، فدل على عالم فأفتاه بامكان التوبة مستدلا بانه لا شيء يحول بينه وبينها، واشار عليه بمفارقة أرضه التي ضرى فيها على الجنايات فانها كانت أرض سوء عليه وأمره ان يذهب الى أخرى بها قوم صالحون يعبدون الله ويسيرون بطاعته فيصاحبهم ويعبد الله معهم لاصلاح نفسه بمعاشرة الصالحين وتحقيق توبته بالعمل الصالح معهم ، فذهب الرجل على هذه النية وادركه الموت قبل ان يصل الى تلك الارض واختصمت فيه ملائكة الرحمة وحجتهم نيته التي خرج عليها ، وملائكة العذاب وحجتهم انه لم يعمل عملا صالحا ، فكان القضاء لملائكة الرحمة تغليبا لجانب القصد والنية وتأيدت النية بجده فى السير الى الارض التى قصد حتى كان أقرب اليها من الارض التى خرج منها .

الاحكــــــام :

فى الحديث لزوم السؤال للجهال . وفيه ان أهل العلم هم الذين يسئلون عنه لا غيرهم وان كان أكثر عبادة ، ولذا قال مالك رحمه الله : (لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه معلن السفه وصاحب هوى يدعو اليه ، ورجل معروف بالكذب في حديث الناس وان كان لا يكذب على الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، ورجل له فضل وصلاح لا يعرف ما يحدث به) ، ذكره ابن عبد البر فى جامع العلم . وفيه صحة توبة القاتل وهو مذهب جمهور السلف وهذا الحديث من أدلتهم .

عبــــرة وتحذيــــر :

العلم قبل العمل ومن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال ، وربما

اغتر به الجهال فسألوه فاغتر هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضل وأضــــل .

فهذا الراهب قد دل عليه من دل عليه يحسبه أعلم أهــــل الارض فسئل فأجاب بما لا يعلم فعادت مصيبة ذلك عليه وعلى سائله ، ولو دل هو سائله على غيره من العلماء لسلم هو وسلم السائل ، فحذار من التقصير في العلم اللازم للعبادة . وحذار من الكلام في دين الله ، والافتاء للناس بغير علم مؤهل لذلك . وحذار من صرف الناس عن العلم وأهله اذا رأيتهم قد افتتنوا بـــك .

استشهــــاد :

جاء في حديث رواه الترمذي وابن ماجـــه وغيرهما عــن ابن عباس ـ ض ـ وخرجه ابن عبد البر في جامع العلم عنه وعن أبي هريرة ـ ض ـ ان فقيها واحدا أشد على الشيطان من ألف عابد. وواقع هذا حديثنا مما يشهد لذلك ،فقد رأيت ماذا جر الراهب على نفسه وعلى غيره ، وكيف أنقذ العالم ذاك الشرير من الهلاك . تسأل الله الفقه في الدين وعمل الصالحين وتوبة الاوابين لنا ولجميع المسلمين آمين يا رب العالمين (1) .

---

(1) ش : ج 12 ، م 8 ـ غرة شعبان 1351 هـ ـ ديسمبر 1932 م .

كلمـــات الشرك

(النهي أن يقال:ما شاء الله وشئت) (1) .

قال الامام ابن ماجه في سننه : (حدثنا هشام بن عمار ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان ان رجُلاً من المسلمين رأى في النوم انه لقي رجلا من أهل الكتاب فقال:نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشاء محمد،وذكر ذلك للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال:أما والله ان كنت لأعرفها لكم قولوا:ما شاءَ اللهُ ثُمَّ شاءَ محمَّدٌ) .

حدثنا محمد ابن عبد الملك بن أبى الشوارب ثنا أبو عوانه عن عبد الملك عن ربعي بن حراش عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه) .

* * *

السنـد الاول :

هشام ثقة اخرج له البخارى والاربعة ، وابن عيينة احد أئمة الاسلام المشهورين ، وابن عمـــير روى لـه الستـــة ، وابن حراش مثله ، وحذيفة الصحابى الشهير .

(1) ما بين الهلالين هو ما ترجم به ابن ماجه على الباب .

السنـــد الثـــانى :

ابن أبى الشوارب ثقة روى عنه مسلم والترمذى والنسائى، وأبو عوانه احد الاعلام روى له الستة ، وعبد الملك وربعي تقدما ، والطفيل صحابى .

رتبـــة الحـديث :

الحديث صحيح بسنديه مرفوع بهما ولا يضر إبهام الرجـل الرائى لان حذيفة قال انه من المسلمين والمسلمون يومئذ هم الصحابة وكلهم عدول ولأن حذيفة نقل بلوغ الرؤيا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ونقل قوله عند سماعها.مزيد بيان : ذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب (ان سفيان وشعبة وزائدة (يعنى ابن قدامة ثقة روى له البخارى وجماعة رووا عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن الطفيل حديثه هذا . وقال أبو عمر : وفي حديث زائدة عن الطفيل انه رأى في المنام ان قائلا يقول له من اليهود نعم القوم أنتم لولا قولكم ما شاء الله وما شاء محمد ثم رأى ليلة أخرى رجلا من النصارى فقال له مثل ذلك فاخبر بذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقام خطيبا فقال : لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، وقولوا ما شاء الله وحده ، وزاد بعضهم فيه ثم ما شاء محمد .

فافادنا كلام ابن عبد البر تعدد الرواة عن عبد الملـك ، وبينت لنا رواية زائدة بن قدامة ان الرائى هـو الطفيـل ابن سخبرة وان الرؤيا تكررت وان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قام خطيبا فى الناس لمزيد العناية والاهتمام بالامـر ، وانه قال : ما شاء الله وحده .

الجمـــع :

لا تعارض بين الروايات فيعمل بها كلها ، وقوله في رواية زائدة ما شاء الله وحده لا ينافي ثم ما شـــاء محمد فيكـفي الاقتصار على ثم ما شاء محمد كما عند ابن ماجه والاحسن أن يزيد قبله لفظة وحده ليأتي بجميع الوارد .

الالفـــاظ :

تشركون : أى تقرنون بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق بعبارة تفهم التسوية وهى العبارة المذكورة في الجملة التالية المبينة وهى قوله : ((تقولون ما شاء الله وشاء محمد)) وهـذه العبارة قد تكون في نحو قولهم : افعل ذلك ما شاء الله وشاء محمد أو لا أفعله ما شاء الله وشاء محمد .

وفي الاستثناء في اليمين نحو الا ما شاء الله وشاء محمد ، وفي باب اليمين أورد الحديث ابن ماجه . ان كنت لأعرفها لكم. ان نافية واللام فى لأعرفها لام الجحود والفعل بعدها منصوب فنفى معرفته بهذه العبارة منهم على وجه يفيد انها شىء ما كان ليخطر فى باله لمنافاتها لإيمانهم وتوحيدهم وعـدم مناسبتها لحالهم . ثـم . تفيد انحطاط مشيئة المخلوق عن مشيئة الخالق وتأخرها وتلك هى رتبتها وقد شاء الله ما شاء وحده ثم كانت مشيئة المخلوق ، فلفظة وحده اصرح في استقلال مشيئة الله .

المعـــنى :

كان بعض من الصحابة يقولون هذه العبارة دون ان يعلم بهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاراد الله ان يطلع عليها نبيه لينهاهم عنها ، وكان من حكمتها ان أطلعه عليها بهـذا الوجه . أرى بعض الصحابة رؤيا فيها تعبير لهم بالشرك الذى

هو ابغض الاشياء اليهم من بعض أهل الكتاب وهم الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ليكون ذلك اشد في الزجر واعظم في التوبيخ، فذكرت الرؤيا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا يقصون عليه رؤاهم فنفى علمه بصدور تلك العبارة منهم واظهر انكاره وتعجبه من صدور تلك العبارة الشركية التي ما كان ليظن صدورها منهم، وفي هذا ما فيه من اللوم والتعنيف ، فقام خطيبا فيهم فنهاهم عن العبارة الشركية الباطلة ، وبين عبارة التوحيد والحق الصحيحة ، وهي ان يقولوا ما شاء الله وحده ثم ما شاء محمد أو ما شاء الله ثم ما شاء محمد .

الاحكـــام :

افاد الحديث النهي عن القرن بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق بالواو وجواز القرن بينهما بثم واثبت المخلوق مشيئة ولكنها مقيدة ومتأخرة بخلاف مشيئة الخالق فانها سابقة ومطلقة مستقلة « وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » وافاد ان القرن بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق شرك ، وان من فعل ذلك يقال له قد أشركت لانه لما قصت عليه الرؤيا وفيها قوله لولا انكم تشركون اقر ذلك ولم ينكره . وان كلمة الشرك لا يجوز ان تقال ولو كان قائلها لا يعتقد المساواة بين الخالق والمخلوق ، كما هو حال الصحابة الذين لا يشك في علمهم بذلك ، وان قائل كلمة الشرك هذه وان كان يقال له أشركت كما تقدم لا يخرج بذلك من الايمان حيث كان لا يعتقد التسوية من قبله فانه لم يحكم بردتهم بتلك الكلمة وانما نهاهم عن قولها .

تـأييـــد :

روى ابن ماجه في هذا الباب بسند حسن عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا حلف احدكم فلا يقل ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت . وهـــذا الحديث في معنى الحديث الذى تكلمنا عليه .

تفصيل أول : الشرك يكون بالاعتقاد وهذا مخرج عـــن الايمان ويكون بالقول مثل الكلمة المتقدمة وهذا لا يخـــرج صاحبه من الايمان وانما يحرم عليه النطق به .

تفصيل ثـــان : من الصفات ما يثبت لله على ما يليق بجلاله ويثبت للمخلوق على ما يليق به بحدوثه وافتقاره كالمشيئـــة وكالعطاء ، عند ما تكون للمخلوق أسباب فيها ، فهذا يسند اليهما ويحرم ان يسوى بينهما في العبارة ، ويجب الاتيـــان بعبارة صريحة في عدم التسوية ، فاما المشيئة فقد تقدمت واما العطاء فكأن تقول لمن اعطاك شيئا هذا من فضل الله ثم من فضلك ، ومنها ما لا يجوز ان يجمع فيه بين الاسناد للمخلوق والخالق ابدا كالعطاء الذى لا دخل للمخلوق فيه لخروجه عن الاسباب الممكن هو منها فلا يجوز ان تقول في غيث نزل مثلا هذا من الله ومن فلان ولا ثم من فلان لانه لا دخل لاحد فيما وراء الاسبـــاب .

تطبيـــق :

اذا نظرنا في حالة السواد الاعظـــم منا معشر المسلمـين الجزائريين فاننا نجد هذه الكلمات شائعة بينهم فاشية عـــلى ألسنتهم وهي (بربي والشيخ) وهم يعنون ان ما يفعلونه هو بالله وبتصرف الشيخ «بربي والصالحين» «بربي والناس الملاح» « اذا حب ربي والشيخ » ، « شوف ربي والشيخ » . وهي كلها من

كلمات الشرك كما ترى ، فاما قولهم : « بربى والشيخ » ونحوه فمما لا يجوز ان يذكر فيه المخلوق مع الخالق قطعا لان ما نفعله هو بالله وحده أى بتقديره وتيسيره ولا دخل للمخلوق فيه ، واما قوله : «اذا حب الله والشيخ» فمما لا يجوز الا بلفظة ثم . فيكون بمعنى اذا شاء الله ثم شاء الشيخ اذا كان هذا الشيخ حيا وكان الامر مما يمكن ان تدخل مشيئته فيه . ولقد شب على هذه الكلمات ونحوها الصغير ، وشاب عليها الكبير ، وانقطع عنها النهي والتغيير ، حتى صارت كانها من الكلمات المشروعة ، وصار قلعها من الالسنة من اصعب الامور ، وأصبحت كلمة بالله وحده ونحوها مهجورة لديهم متسية عندهم ثقيلة على أسماعهم ثقل من يدعوهم اليها ويلهج بها على قلوبهم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

العــــلاج :

على من عرف هذا الحديث النبوى ان يعمل به في نفسه وان ينشره بين الناس وان يعالجهم به بتفهيمهم فيه وتحذيرهم من مغبة مخالفته والاصرار على معاندته . ولان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم . فالى التوحيد أيها المسلمون ، والى الارشاد أيها العالمون ، والله مع الصابرين (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 8 ــ غرة صفر 1351 هـ ــ جوان 1932 م .

الصـــدق والكـــذب

أيــن يهــدي كــل واحــد منهمــا

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عَليكُم بالصّدْقِ فإن الصّدقَ يهدي الى البِرّ وإن البِرَّ يهدي الى الجَنّةِ . وما يزال الرجلُ يَصدُقُ ويتَحَرَّى الصِّدقَ حتى يُكتَبَ عند الله صِدِّيقاً ، وإياكم والكذبَ فإن الكذبَ يهدِى الى الفُجور وان الفجُورَ يهدِى الى النار . وما يزال الرّجُل يكذبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتى يُكتَبَ عِند الله كَذّاباً) ، رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما واللفظ لمسلـــم .

* * *

المفـــردات :

عليكم : اسم فعل بمعنى تمسكوا . واياكم منصوب عـلى التحذير فى معنى احذروا . والصدق : مطابقة الخبر للواقــع وتصويره على ما هو عليه . والكذب عدم مطابقة الخبر للواقع وتصويره على خلاف ما هو عليه . يهدي الى كذا : يعني يوصل اليه ، يتحرّى الشيء : يقصده ويتعمده ولا ينحرف عنه ، البر : اسم جامع للخير كله ، والفجور : الانبعاث فى الشر ، الصدّيق : الكثير الصدق ، والكذّاب : الكثير الكذب .

التـــراكيـــب :

عبر بالمضارع في يصدق ويكذب ويتحرى ليفيد التجدد وان ذلك هو شأنه الذى يتكرر منه .

المعـــــنى :

تمسكوا بالصدق والزموه فان الصدق يوصل الى العمــــل الصالح الخالص من كل مذموم ، وان العمل الصالح يوصل الى الجنة ، وان الرجل ليتكرر منه الصدق ويتكرر منه تعمد الصدق والقصد اليه والتزامه حتى يكتب عند الله كتابة خاصة صديقا فيثاب ثواب الصديقين ويرضى عليه رضاهم . واحذروا الكذب واجتنبوه فان الكذب يوصل الى الشر والانبعاث فيه وان الشر يوصل الى النار . وان الرجل ليتكرر منه الكذب ويتكرر منه تعمده والقصد اليه حتى يكتب عند الله كتابة خاصة كذابـــا فيؤثم اثم الكذابين ويسخط عليه سخطهم .

تفصيـــــل وتقسيـم :

الصدق والكذب يكونان باللسان على ما تقدم من التفسير وهو الاصل في اطلاقهما . وعليه محمل الحديث ، ويكونان – في القلب من حيث الاعتقاد ، فالعقد الحق الجازم صدق ، والعقد الباطل كذب ، ويكونان في الجوارح من حيث الافعال فالفعل الموفى حقه الواقع على وجهه صدق ، والفعل الناقص الواقع على غير وجهه كذب ، وجماعها كلها الحق والكمال في الصدق والباطل والنقص في الكذب فاقسام كل منهما مرتبط بعضها ببعض ارتباطا يكاد لا ينفصل ويكاد من التزم بعضها أن لا يفارق الآخر . ولا يكمل العبد في مقام الصديقة الا بكماله في اقسام الصدق كلها وبعده عن أقسام الكذب كلها .

توجيـــه وتعليـــل :

كان الصدق يوصل الى البر والكذب يوصل الى الفجـــور لوجوه ، الاول : ما بيناه في الفصل السابق من الارتباط بين أقسام كل منهما ورجوعهما الى أصل واحد . الثاني ان التزام الصدق يحمل على الوفاء بالعقود والعهود والوعود في معاملة الناس فتجرى أعمال المرء مع غيره على سداد واستقامة،والكذب بضد ذلك . الثالث : ان الملتزم للصدق يمسك نفسه عن أعمال السوء مخافة ان يسئل عنها فيصدق فيجر على نفسه سوءا أو يكذب وهو لا يرضى مواقعة الكذب فتجرى أعماله على البـــر سالمة من الفجور ، والملتزم للكذب الضارى عليه يرتكب العظائم ولا يبالى ان ينفي عن نفسه كذبا . اما البر فوصل الى الجنـــة لأنها دار المتقين،واما الفجور فوصل الى النار لأنها دار الفاسقين، واما كتابة الملازم للصدق صدّيقا فجزاء له من جنس عمله فانه داوم على الصدق وثبت عليه حتى رسخ فيه وتمكن خلقا مـــن اخلاقه فاثبت اسمه كذلك في الصديقين ، ومثاله ملازم الكذب.

استفـــادتـــان :

الاولى : ان بين الخصال خصال البر وخصال الشر تناسبـا وتوالدا أو هذا أصل يحتاج اليها في تهذيب الاخلاق وتزكية النفوس وعلاج أدوائها فان من عرف المرض الاصلى الـــذى نشأت منه أمراض أخرى سهل عليه اذا عالجه ان يقتلع ـ باذن الله ـ الباقي ، ومن عرف أصل الخير سهل عليه اذا تمسك به ان يحصل على فروعه .

الثانيـــة : ان تكرر العمل بمقتضى خلق من الاخلاق يقويه ويثبته وان العمل على مقتضى ضده يضعفه ويزيله ، وهـــذا أصل عظيم أيضا في التربية يعلمنا ان التساهل في الاعمـــال

السيئة ولو كانت في نظرنا طفيفة يفضي بنا الى استعصاء داء الرذيلة ، وان القيام بالاعمال الحسنة ولو كانت طفيفة يبلغ بنا الى رسوخ الفضيلة .

استنتـــاج :

قد كتب الله مقادير الاشياء قبل ان يخلق السموات والارض وجفت الاقلام وجرت المقادير كما في الصحيح ، فهذه الكتابة كتابة أخرى من باب الجزاء للعامل على عمله يستحق بها صاحبها وصف الصديقين وثوابهم أو وصف الكذابين وعقابهم ويظهر بذلك في الملأ الاعلى عند ملائكة الرحمن ويكسى حلته بين الناس ويعرف به « **وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** » .

تـــرهيـــب :

ان من داوم على الكذب حتى كتب من الكذابين يخشى عليه ان يحرم من التوفيق الى القربة وتلك هي أكبر مصيبة ، فان الله من فضله على هذه الامة ان فتح أمامها أبواب التوبة ، واذا داوم العبد على الاعراض عن باب سيده متهاونا بمخالفة أمره حتى كتب عنده في سجل الشريرين كان ذلك خطرا عظيما عليه في ان يسد في وجهه الباب ويضرب بسوط الحرمان ، ففي هذا الحديث الشريف ترهيب شديد من سوء عاقبة هذه الحال .

تحـذيـــر :

مواطن الهزل ومجالس البسط مما يتساهل فيها الناس فيلقون فيها الكلام بلا ضبط وتجري ألسنتهم بالكذب من غير مبالاة ولا إحتياط فيقعون في الاثم على الكذب والاثم على التهاون بالمعصية ويتعودون ذلك التساهل حتى يقعوا في الوعيد المذكور

فى هذا الحديث ، فليحذر المسلم من مثل هذه الحال وليتفطن لنفسه فى مثل هذه المقامات .

تحذيــــر أوكـــد :

من قلة الاحتياط فى الدين وعدم الاحترام للعلم ما يجرى على ألسنة كثير من الناس من قولهم (قال رسول الله) صلى الله عليه وسلم . دون معرفة برتبة الحديث عند أهله ، ومصيبة بعض المتسمين بالعلم والقائمين بالخطب الجمعية فى هذا أشد وأضر لتعديها منهم الى غيرهم ونشرهم الموضوعات الكثيرة فى الناس ، ولا يكفيهم انهم سمعوا أو وجدوا فقالوا، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : (كفى بالمرء كذبا ان يُحدِّث بكلِّ ما سمع) رواه مسلم فى مقدمة صحيحه، والكذب عليه صلى الله عليه وآله وسلم عظيم والتحرى فيما دونه واجب فكيف به ، خصوصا وقد قال هو عليه وآله الصلاة والسلام : (يكون فى آخر الزمان دجَّالُون كذَّابون يأتونَكُم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤُكم فإيَّاكم وإياهم لا يُضلُّونَكم ولا يُفتنُونَكُم) ، رواه مسلم فى مقدمة صحيحه . وقال الامام سيدى محمد السنوسي رحمة الله عليه فى شرحه لهذا الموضع (وعلماء السوء والرهبان على غير أصل سنة كلهم داخلون فى هذا المعنى وما أكثرهم فى زماننا (القرن التاسع) نسأل الله سبحانه السلامة من شر هذا الزمان وشر أهله) انتهى كلامه .

سلـــوك :

على العاقل ان يضبط لسانه فى الجد والهزل وان يحترس من الكذب فى الجليل والحقير . وان يتثبت فيما ينقل ويروى من حديث الناس وان يتثبت أكثر وابلغ فيما يروى فى الدين

والعلم، وان يتحرى الصدق وتصوير الحقائق وان يجعل ذلك من همه وأعظم قصده وان يبادر بالتوبة فيما يزل به لسانه الى ربه ويعمل دائما على ان يطابق بين عقده بقلبه ونطقه بلسانه وعمله بجوارحه حتى يكون متحريا للصدق بجميع اقسامه ويكتب به بفضل الله ورحمته في الصديقين. وفقنا لهذا ويسرنا له نحن والمسلمين أجمعين يا رب العالمين يا أرحم الراحمين (1).

(1) ش : ج 10 ، م 8 ـ جمادى الثانية 1351 هـ ـ أكتوبر 1932 م .

الـراعى الغاش لرعيتـه

« عاد عبيد الله بن زياد مَعقِلَ بن يسار المزني في مرضه الذى مات فيه ، فقال معقِل : إني مُحدِّثُك حديثا سمعتُه من رسـول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . لو علمْتُ أن لي حيـاةً ما حدثتك به ، إني سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول : (ما مِن عبدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعيَّةً يموتُ يوم يموتُ وهو غاشٌّ لرعِيَّتِهِ إلا حرَّمَ اللّهُ عليْهِ الجنةَ » . رواه مسلم .

* * *

الصحابي الجليل والامـير الظالم
معقل بن يسار (رض)

أسلم قبل الحديبية ، وشهد بيعة الرضوان . سكن البصرة ، وبها مات فى خلافة معاوية ـ ض ـ ، وحفر نهرا بالبصرة بأمر عمر ـ ض ـ واليه ينسب ، وفيه جاء المثل : « اذا جـاء نهـر الله بطل نهر معقل » .

عبيـد اللـه بـن زيـاد :

أبوه زياد بن سمية ، ألحقه معاوية بأبي سفيان فنسب اليه ، ولاه (عبيد الله) معاوية البصرة وأقره عليها يزيد ، وعبيد الله هذا هو الذى جهز الجيوش لقتال الحسين بن علي ـ رضى

الله عنهما ـ وهو ألزمهم بقتاله ـ قتله الله ـ وقد قتله ابراهيم ابن الاشعث بعد،وخبره مذكور معروف .

ترك الموعظة خوف المفسدة :

كان معقل بن يسار يرى من ظلم عبيد الله بن زياد وغشه للرعية ولم يستطع أن يواجهه بما فى هذا الحديث من الموعظة، خوف أن يبطش به، فتثور من أجل قتله أو اذايته ثائرة بالبصرة تؤدى الى سفك دماء المسلمين دون أن تكف ابن زياد عن ظلمه، فاتقاء لهذا لم يواجهه بالموعظة ، حتى جاء عبيد الله لعيادته ، وقد علم معقل أنه فى مرض موته فاغتنم الفرصة وجابهه بالموعظة لما خلصت للمصلحة وأمن المفسدة .

ما الراعي وما الرعية؟ :

الرعاية حفظ الشيء ، وتفقد أحواله ، واعطاؤه ما يحتاج اليه ، وصرفه عما يؤذيه ، وما لا فائدة له فيه ، ووقايته مما يعدو عليه ، وكل من جعل الله تحت يده شيئا من مخلوقاته فقد استرعاه ذلك الشيء أى : جعله فى رعايته ، وطالبه وكلفه بأن يرعاه فصار مسؤولا عنه عند الله ، وما من بالغ عاقل ذكرا أو أنثى الا وقد جعل الله له شيئا فى رعايته ، ولو لم يكن من ذلك الا نفسه وعقله وبدنه وأعظم بهما من شيء تجب رعايته . وهذا معنى التعميم فى الحديث .

الواجب على الراعى فى رعيته :

يجب على كل راع ـ بالتعميم المتقدم المستفاد من الحديث السابق ـ أن ينصح لما استرعاه الله من رعية فى القول والعمل، وأن لا يدخر شيئا من جهده فى حفظه وتفقد أحواله ، واعطائه ما يحتاج اليه ، وصرفه عما يؤذيه وما لا فائدة له فيه ، ووقايته

من كل ما يعدو عليه ، وأن يستصفى له من الآراء والاعمال والاقوال أبلغ ما يقدر عليه ، فاذا قصر فى شىء من هذا فقد غش رعيته بما يدخله عليها من الضرر فى ولايته عليها ، وارتكب بذلك الكبيرة التى توعد عليها بالنار .

توجيه :

لما كانت أعظم الرعايات رعاية أمر العامة بالامرة والولاية، حدث معقل بن يسار بهذا الحديث عبيد الله بن زياد لانه كان أميرا لمصر عظيم ، فيكون أول من يشمله عموم لفظ « ما من أحد » وهذا هو وجه تخريج مسلم لهذا الحديث فى كتاب الامارة ، وأما اللفظ فهو على عمومه .

الوعيد : معناه ، وشرطه ، وعمومه :

توعد الله على لسان نبيه ـ ص ـ الراعى الغاش بتحريم الجنة عليه ، والتحريم هو المنع ، ويكون مؤقتا ويكون مؤبدا ، فان مات الغاش مستحلا للغش أو عوقب على اصراره بسوء الخاتمة ـ عياذا بالله ـ فتحريمها عليه مؤبد ، وان مات مسلما مصرا فتحريمها عليه مؤقت ، يدخل النار بغشه ثم يخرج منها بما فى قلبه من ايمان « **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** » .

وهذا المعنى ـ على تفصيله ـ عام بحسب صريح لفظه ، لكل راع غاش واقتضى قوله ـ ص ـ فى الحديث : (يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته) أن هذا الوعيد فيمن مات مصرا ولم يتب ، فأما من تاب ولم يمت يوم مات على غشه فليس داخلا فى هذا الوعيد .

نعم ، ينجو التائب من عقوبة الغش بتوبته ، ولكنه تبقى عليه تبعات العباد وما الحق بهم من ضرر ، وهى حقوق أخرى جنى عليها زيادة على أصل الغش ، فلها عقوباتها والقصاص عليهـا .

تطبيـــق :

كل من تولى أمرا من أمور الامة فهو من رعاتها المسؤولـين عنها ، المتوعدين بهذا الوعيد الشديد اذا غشوها على أى وجـه كانت تلك الولاية من الوجوه التى تختلف باختلاف الامـم وأوضاعها ، ومما هو من أعظم الولاية على الامة اليوم بحسب وضعها ـ النيابة عنها ، والتكلم بلسانها من أدنى درجات تلك النيابة الى أعلاها ، فليعلم هذا من يتقدم لهذه الولاية ، وليراقب الله فيها ، كما على كل راع أن يعلم هذا الوعيد ويحـــذر أن يقتحمـــه .

نسأل الله لنا وللمسلمين أن يوفقنا الى القيام بأحســن الرعاية ، فى كل ما استرعانا من أنفسنا وغير أنفسنا (1) .

(1) ش : ج 4 ، م 11 ـ غرة ربيع الثانى 1354 هـ ـ 3 جوليت 1935 م .

التستـــر بالنقـائـص

« عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول : (كُلُّ أُمَّتِى مُعَافَى إلا المُجَاهِرين، وانَّ من المُجَاهَرَة أن يعملَ الرَّجُلُ بالليل عملاً ثم يصبح ـ وقد ستَرَه الله ـ فيقول : يا فُلانُ عَمِلتُ البَارحَةَ كذا وكذا، وقد بات يستُرُه ربُّه ويُصبِح يكشف سترَ اللَّهِ عنه) .

رواه البخارى فى الادب ومسلم فى الزهد والرقائق .

* * *

الكلمـــات :

المعافى من العافية وهى السلامة ، فالمعافى هـو السالـم ، ويحتمل أن يكون المراد هنا سلامة العرض من القدح ، أو سلامة البدن من الحد ، أو سلامة العاقبة من المؤاخذة بالذنب، والمجاهر هو المعلن بفسقه .

المعـنى :

قد يرتكب المذنب المعصية مع شعوره بقبح ما أتى ، وخجله به من ربه ، وانكسار قلبه من أجل معصيته ، فهو لذلك يتستر بذنبه فلا يطلع عليه غيره لا بقول ولا بفعل ، فهذا قد سلـم منه الناس فلم يؤذهم بشره ولم يدعهم الى الاقتداء به ، وسلم

منه الشرع فلم يكسر من هيبته ، ولم ينقص عند الناس من حرمته ، فسلم له هو عرضه من القدح ، وبدنه من الحد ، وسلم له أصل ايمانه وهو حياؤه من الله ، وخوفه منه ، واحترامه لدينه ، وبغضه لما يأتي من معصيته ، فيوشك بهذه الحياة التى فى قلبه أن يقلع عن ذنبه ويتوب فيسلم من المؤاخذة بسبب التوبة ، وقد يترجح ما فى قلبه من خوف وخجل ، واحترام وبغض للمعصية وتألم بها ـ على نفس المعصية فيسلم من المؤاخذة بها عند الموازنة يوم القيامة . فصدق فيه هذا الوعد بأنه معافى من ذنبه ، وسالم من المؤاخذة به .

أما الذى يجاهر بمعصيته ويعلن بها ، فهذا قد تعدى على مجتمع الناس بما أظهر من فساد ، وما أوجد من قدوة سيئة ، وما عمل بمجاهرته على شيوع الفاحشة فيهم .

وقد تعدى على الشرع بما انتهك من حرمته ، وجرأ من السفهاء عليه . وهو بمجاهرته قد دل على استخفافه بحق الله وحق عباده وعلى عناده للدين ، وخلو قلبه من الخوف والحياء ، وأى ايمان يبقى بعدهما .

ولما كانت المجاهرة بالمعصية تطلق فى الغالب على من يعلن أمره للجماعات ، بين النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن مجاهرة الفرد كمجاهرة الجماعة من باب التنبيه على الجزئى الخفى من جزئيات المنهى عنه ، لانه هو الذى شأنه أن لا يتنبه له فيتساهل فيه ، ومن تساهل فى الجزئى الخفى أداه ذلك الى التساهل فى غيره . وهذا الجزئى الخفى هو أن يعمل عملا يستره الله فيه ثم يحدث به رفيقه فيكشف ستر الله عنه .

استنبـــاط :

قد تبين ما فى المجاهرة من المفاسد والظلم ، وقد دل الحديث على أن أهلها غير معافين فهم هالكون ، فهى حرام ومعصية زائدة على أصل المعصية . فالمجاهـــر بمعصيته ارتكـــب معصيتـــين : المعصية والمجاهرة بها ، وقد تجر عليه المجاهرة آثاما كثيرة بما يتسبب عن معصيته من شيوع الفاحشة وسوء القدوة ، ويستمر ذلك يكتب عليه من آثاره ما بقى متسبب عن آثاره الى يـــوم القيامة . فيا لفداحة الحمل يوم الفزع الاكبر .

وكما يحرم تحدث الشخص بمعصية نفسه لما فيه من المجاهرة كذلك يحرم عليه أن يتحدث بمعصية غيره ولو كان هو الذى حدثه ، لما فى ذلك من اذاعة الفاحشة ومن الغيبة .

تنبيــه وتحذيــر :

المجاهر بفسقه الذى لا يستتر من أحد يجوز ذكره بفسقه الذى جاهر به ، اذا كان فى ذكره به مصلحة أو دفع مفسدة ، ويجب أن يحذر من ذكره لغير ذلك فانه من الغيبة واذاعـــة الفاحشـــة .

اعتبـــار :

هذا فى الافراد ، ومثلها الامم ، فالامة التى تقوم بالامـــر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتضرب على يد سفهائها وأهـــل الفساد منها ، وتهجرهم وتنبذهم من مجتمعها تسلم من الشرور والبلايا ، وتقل أو تنعدم منها المفاسد والمنكرات ، والامـــة التى تسكت عن سفهائها وأهل الشر من كبرائها ، وتدعهـــم يتجاهرون فيها بالفواحش والقبائح ـ هى أمة هالكة ، متحملة جريرة المجاهرة بالمعاصى بالهلاك فى الدين والعذاب فى الآخرة .

تربيـــة :

روى الحاكم في مستدركه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : (اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها ، فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله) .

فليعمل المسلم على اجتناب المعاصي كلها . حتى اذا ألم بشيء منها فليجتهد في اخفائه وستره ، وليضرع الى الله تعالى في سجوده أن يتوب عليه من ذنبه ، وليتوســـل اليه ـ تعـالى ـ بإيمانــه به ، وحيائه وخوفه منه ، واحترامه لشرعه وعباده ، فهو ـ جل جلاله ـ يحب التوابين ويحب المتطهرين (1) .

---

(1) ج 11 ، م 11 ـ غرة ذي القعدة 1354 هـ ـ فيفري 1935 م .

تفـــاوت الصدقـات
بنسبتهـا لأمـوال المتصدقـين

(عن أبى هريرة ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم : (سَبَقَ دِرهمٌ مائةَ ألفِ درْهمٍ . فقال رجل : وكيفَ ذَاك يا رسولَ اللّهِ ؟ قال : رجلٌ له مالٌ كثيرٌ أَخَذَ منْ عُرضِهِ مائةَ ألفِ درهمٍ تَصدَّقَ بهاَ ، ورجُلٌ ليْس لـهُ إلاَّ دِرهماَنِ فأَخذَ أَحدَهُما فتَصَــدَّق به) ، رواه النسـائى وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم ، المنذرى .

* * *

الالفـــاظ :

السبق : الوصول للغاية قبل غيره . وأصله فى الابدان ، ويكون للعقول فى الوصول للفهم ، وللأعمال فى الوصول للأجر والفضيلة ومنه هذا.العرض : ــ بضم العين ــ هو الجانـــب كعرض الحائط أى جانبه .

المعـــنى :

يقول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ان درهما واحدا تصدق به صاحبه نال به من الاجر والفضل أعظم مما نال صاحب مائة ألف درهم تصدق بها ، فبلغ بدرهمه الى غاية من الاجر والفضل

لم يبلغ اليها الآخر . ولما خفى وجه هذا على السائل لان المعروف أن ثواب الكثير أكثر ، بين له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن هذا حيث يكون الدرهم بالنسبة لمال صاحبه كثيرا ، فان درهم ذى درهمين هو شطر ماله ، وتكون المائة ألف بالنسبة لمال صاحبها قليلة، فانها لم تكن الا من جانبه، وسلم أصله ومعظمه.

توجيـه :

الاجر على قدر المشقة ، والثواب على قدر النصب وما يجده ذو الدرهمين من انفاق أحدهما وهما كل ما يملك من المشقة والتصنب أعظم مما يجده ذو المائة ألف وهى بعض ماله الكثير . وذو الدرهمين كان عنده من الايمان واليقين ما أنفق به شطر ماله ، فهو أعظم ايمانا ممن أنفق جزءا من مائة منه ، وما عند ذى الدرهمين من خلق الايثار والتضحية والبذل فى سبيل الله أعظم بكثير مما عند ذى المائة ألف فهو أعظم منه أجرا وفضلا ، فقد كان أعظم منه مشقة، وأقوى منه ايمانا ، وأبلغ منه تضحية ، وبذل جهد فى سبيل الله وايثارا . لا جرم كان أعظم منه فضلا وأجـرا .

تبصـرة :

يقعد الشيطان للقليل المال فى طريق الانفاق فيزهده فيه ، ومن مداخله عليه أنه يحقر له ما ينفقه من قليل بأنه لا غناء فيه، فيقبض يده عن الصدقة بذلك القليل الذى يستطيعه فيفوته أجر كبير ، فبصرنا نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالحقيقة وبين لنا أن ذلك القليل بالنسبة لمال صاحبه هو كثير ، حتى أنه يسبق كثير غيره من أهل المال العظيم ، ليشارك فقيرنا غنينا بقليله ، فيكون من السابقين الى الاجر الكثير .

تربيـــة :

الاخلاق الفاضلة التى هى موجودة فى فطرة الانسان بأصولها وتنمو بحسن التربية ، وتنطمس بالاهمال ـ قد حفظها اللـه تعالى علينا بما وفقنا اليه من الاسلام ، وما علمنا من آداب ، وما شرعه لنا من أعمال ، ومما ينمى تلك الاخلاق ويقويهـا المداومة على الاعمال التى تنشأ عنها ، ومن أعظم تلك الاخلاق وأدخلها فى باب النهوض بجلائل الاعمال ، وحفظ سعـــادة الاجتماع خلق البذل ، فجاء هذا الحديث الشريف وغيره يبين لنا عظيم أجر صدقة المقل ، ليحثه على مشاركة الغنى فى العطاء بما استطاع ، فيكون البذل من الجميع عاما . والسخاء بينهـم مشتركا ، وآثاره عليهم ظاهرة ، فينمو خلقه بذلك فى الامة كلها ، وترسخ أصوله فى نفوسها ، فتصبح وهى أمة سخية بما عندها فى سبيل ما ينفعها ، متعاونة بالبـــذل فى مهماتها ، مشتركة بجميع طبقاتها فى كل مشروع خيرى من مشاريعها ، واذا تربت الامة على هذه الصفة ، وتدرجت الى الكمال فيها ، فذلك عنوان نجاحها وفوزها وبلوغها غاية آمالها . وسعادتها فى الداريـن .

وفقنا الله لبذل كل عزيز وغال فى سبيله ، والمسلمــين أجمعــين (1) .

---

(1) ش : ج 4 ، م 7 ـ غرة ذى الحجة 1349 هـ ـ افريل 1931 م .

السيادة في البَـر لمـن ســاد في البحـر (1)

(مالك عن اسحق بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كان رسولُ الله اذا ذهَب الى قُبَا يدخل على أمِّ حَـرَام بنْتِ مَلْحَـانَ فتُطعمُه ـ وكانت أمُّ حرامٍ تَحتَ عبَّادة بنِ الصامتِ ـ فدخـلَ عليها رسولُ الله فأطعمَتْه وجلَسَتْ تَفْلي في رأسِهِ فنامَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً ثمَّ اُستيقَظ وهو يضحَكُ قالتْ فقلتُ ما يُضحِكُك؟قال: ناسٌ من أمَّتي عُرِضُوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ اللّه يَركَبُونَ ثَبَجَ هذا البحرِ ملوكاً على الأَسِرَّة أو مِثلَ الملوكِ على الأسرة ـ يشك اسحق ـ قالتْ:فقُلتُ يا رسولَ الله اُدْعُ اَللّهَ أن يجعَلَني منهم ، فَدعاَ لها،ثم وضَع راْسَه فنامَ ثم اسْتيقَـظَ يضحَكُ،قالتْ:فقُلت يا رسولَ اللّه ما يُضحكك؟قال : أُناسٌ من أمَّتي عرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيل اللّه ملوكاً على الأسرة أو مثلَ الملوكِ على الأسرَّة كما قال في الأولى، قالت : فقلتُ يا رسول الله اُدْعُ اللهَ أن يَجعَلَني منهم،قال:أنتِ من الأوَّلين. قال: فركبتِ البحرَ في زمان معاويةَ بن أبي سفيان فصُرِعَت عن دابَّتها حين خرجتْ مِن البحر فهلكَتْ) .

* * *

السنـــد :

ثبت عند البخارى من طريق الليث تصريح أنس بالرواية عن أم حرام خالته فكان أنس مرة يصرح بها ومرة لا يصرح ،

---

(1) العنوان من وضع المشرف على طبع الكتاب .

واذا روى الصحابى ما هو من أقوال النبى صلى الله عليه وآله وسلم وشؤونه عن غيره فلا يقدح فى حديثه عدم تصريحه بمن روى عنه لان غيره صحابى مثله والصحابة كلهم عدول . ورواة هذا الحديث ـ غير مالك ـ أقارب فإن اسحاق ابن عم أنس وأم حرام خالة أنس .

وقد روى هذه القصة بلفظ أخصر عن أم حرام راوٍ آخر هو عمير بن الاسود العنسي خرجه البخارى .

المتـــن :

جاء عنه بالفاظ متقاربة كلها متفقة على أصـــل المعنى ، وخرجه البخارى بتلك الالفاظ فى مواضع من صحيحه .

العـربيـــة :

فلي الرأس تفتيشه لاخراج الهوام أو للتنظيف من غبار ونحوه والمقصود هنا الثانى ، لأن الأخبار متواترة تواترا معنويـــا بنظافة جسمه ـ ص ـ وطيب ريحه وعرقه . وثبج البحـــر وسطه وهو معظمه ومحل هوله .

سؤال وجوابه : ما وجه دخوله ـ ص ـ عليها وتمكينها من فلي رأسه ؟ كانت محرما له بالخؤولة أو بالرضاعة حكاه الائمة.

تحقيـق تاريخـي :

أول ما ركب المسلمون البحر للغزو فى خلافة عثمان ـ ض ـ استأذنه معاوية (ض) فأذن له فغزا قبرص سنة سبع وعشرين. ذكره ابن الأثير وغيره . وأول ما غزا المسلمون القسطنطينية وركبوا اليها البحر كان فى خلافة معاوية ، سنة 28 وكان فى ذلك الجيش أبو أيوب الانصارى دفينها .

تطبيق على هذا التحقيق :

خرجت أم حرام مع زوجها وركبت البحر فى زمان معاوية أى فى زمان امارته وكان ذلك أول جيش ركب البحر وكانت هى معهم وتوفيت بعد خروجها من البحر ونزولها فى أرض قبرص كما ذكره ابن عبد البر وغيره .

وأما الجيش الثانى فهو الجيش الذى غزا القسطنطينية ولم تكن أم حرام معهم ، وما جاء فى صحيح البخارى صريح فيما قلناه من تعين الجيش الاول والجيش الثانى . ونصه من طريق عمير بن الاسود عن أم حرام قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا،قالت أم حرام قلت يا رسول الله أنا فيهم قال أنت فيهم ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فقلت أنا فيهم يا رسول الله قال : لا .

فكانت مع أول جيش غزا البحر وهو جيش معاوية الى قبرص لا غيره كما حققنا .

الاحكـــام :

فيه دخول الرجل على محرمه دون حضور الزوج ، وفيه سنة اطعام الزائر ، وفيه تصرف المرأة فيما تحت يدها من مـــال زوجها من الطعام بالمعروف ، وفيه مباشرة محرم الرجل له فى غير العورة . وفيه سنة القيلولة ، وفيه سنة اظهـــار السرور بالنعم والطاعات ، وفيه جواز سؤال من بدر منه ما لا يعرف سببه ، وفيه الاهتمام بكل ما يصدر منه ـ ص ـ ، وفيه جواز ركوب البحر ، وفيه جواز التوسع بالحلال ، وفيه فضل الغزو

فى البحر، وفيه سؤال الشهادة ، وفيه سنة طلب الدعاء ممن ترجى اجابته ، وفيه الدعاء ممن طلب منه ، وفيه غزو النساء مع الرجـــال .

الفــوائـــد :

منها أن رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحي محفوظ، وقد كان الصحابة يعلمون هذا علما عاما، ولذلك سألت أم حــرام أولا وثانيا سؤال المتيقين بوقوع الغزو على الوجه الذى ذكر صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قد تكون رؤياهم بالمثال كما رأى النبى ـ ص ـ بقرا تنحر ، فأولها بمن قتل من أصحابه فى غزوة أُحُد ، وقد تكون بالصريح الذى لا يحتاج الى التأويـل كما هنا . ومنها تحقيق استجابة دعائه اذا دعا ، ولهذا قال لها فى الثانية ـ جازما ـ أنت من الأولين . وهذا فيما لم يعلـم بالمنع منه كما فى حديث رسالته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض. يعنى أمته فمنعنيها . ومنها أن من معجزاته ـ ص ـ اخبـاره بأمور غيبية لم يكن شيء مما يدل عليها أو يقتضى وقوعها يوم أخبر فوقعت كما أخبر، فركب أصحابه البحر وغزوا الـروم ومدينة قيصر من بعده ، بينما كانوا يوم أُخبر بهذا من أبعـد الامم عن ركوب البحر والبراعة فيه ، وكانت أم حرام مـــع الطائفة الأولى كما أخبرها وكانت منهم على أبلغ وجه حيث فازت بالثمرة المقصودة من الغزو وهى الشهادة وان كان موتها فى غير مباشرة القتال ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد . رواه مسلم. ولقوله تعالى : « **وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ** » .

الموعظة :

علم الله ان السيادة فى البر لمن ساد فى البحر . وان اقسام الارض المتقاطعة وأصناف الامم المتباينة ـ لا يقرب بينها . ويفتح الطريق لتواصلها وتعارفها ، وينقل مدنياتها من بعض الى بعض منها ـ الا ركوب البحار وملك ناصيتها ، فجاءت الآيات القرآنية العديدة فى ذكر البحر وصفاته ومنافعه وسفنه وبديع الصنعة فيه وعظيم النعمة به ، وجاء هذا الحديث يبشر الامة الاسلامية بما هيء لها من أسباب السيادة ويعرفها أنها أمة ملك وسلطان وقوة وأنها ستملك البحار ، وتغزو الامصار الكبار ، يعرفها بهذا ويدعوها اليه لتعد له عدته وتأخذ له طريقه وتتوصل اليه باسبابه . اذ لا يكون ملك الا بأسباب الملك . ولا تكون قوة الا بأسباب القوة ولا تكوْن سيادة الا بأسباب السيادة ، وقد علمت من دينها أن السيادة لا تكون الا بالملك . وأن الملك لا يكون الا بالقوة : قوة الابدان وقوة العقول وقوة الاخلاق وقوة المال ـ وبهذه يكون العدل الذى هو أساس الملك وان لا قوة الا بالعلم والعمل والتهذب ، فاذا دعاهم هذا الحديث الى السيادة فقد دعاهم الى هذا كله ونبههم على هذا التقدير المحكم الذى ارتبط بعضه ببعضه ، وعلى انه لا سبيل الى غايته الا باتيانه من بدايته . وقد فهم المسلمون هذا دهرا فسلكوه فأنجز لهم الله وعده . وجهلوه أدهارا فتركوه فأذاقهم الله بأسَه ، وما ربك بظلاَّم للعبيد . ولئن عادوا اليه ليعودن اليهم ، ولن يُخلف اللهُ الميعادَ (1) .

---

(1) ش : ج 1 . م 10 ـ غرة رمضان 1352 هـ ـ جانفى 1934 م .

الصحـــة والفـــراغ

استغلالهما والاستفادة منهما

(قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : نِعمَتَان مَغْبونٌ فيهِمَا كثيرٌ مِن اَلنَّاسِ : اَلصِّحَّةُ والفَرَاغُ) . البخاري عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ــ .

* * *

اللغـــة :

(النعمة):ما يفعل على وجه الاحسان ضد النقمة ، وهـى ما يفعل على وجه العقوبة . (المغبون):المنقوص فى حقه أصله من غبن فى البيع اذا نقص من حقه ، ثم يستعمل فى كل من نقص من حظه فى كل شيء. (الصحة): اعتدال المزاج، وقوة البنية ضد المرض . (الفراغ) : الخلاء ومصدر فرغ يفرغ اذا كان خاليا من الشغل . وهذا هو المراد هنا .

التــراكيــب :

مغبون خبر مقدم لكثير ، والجملة خبر نعمتان والصحـــة والفراغ خبر لهما مقدر ، والجملة مستأنفة بيانيا .

المعـــنى :

ان كثيرا من الناس يكونون في صحة من أبدانهم ، وفراغ من أشغالهم ، ولا يعمرون أوقاتهم الفارغة بطاعة الله تعالى ، ولا يستعملون أبدانهم الصحيحة فيها ، فتضيع عليهم تلـــك الاوقات وتلك الصحة باطلا ، فيخسرونهما ولا يستفيدون منهما فيكون ما خسروه منهما نقصا في حظهم من حياتهم ، واذا كانت الحياة هي أغلى شيء عند الانسان يحافظ عليه ، ولا يبذل شيئا منه الا بحقه ، فهؤلاء الذين نقصوا حظهم في حياتهم هم أعظم المغبونـــين .

فقه الحديث ومقصوده :

عمر الانسان أنفس كنز يملكه ، ولحظاته محسوبة عليه ، وكل لحظة تمر معمورة بعمل مفيد فقد أخذ حظه منها وربحها وكل لحظة تمر فارغة فقد غبن حظه منها وخسرها . وكذلك بدنه فهو أنفس آلة عنده ، وانما فائدة الآلة بالعمل ، فاذا كانت الآلة في عمل فهو في ربح وزيادة ، واذا كانت في بطالة فهو في نقص وخسران . فالرشيد هو من أحسن استعمال ذلك الكنز الثمين ، وتلك الآلة العظيمة ، فعمر وقته بالاعمـــال ، وداوم على استعمال ذاته فيها فربحهما . والسفيه السفيه مـــن أساء التصرف فيهما فأخلى وقته من العمل ، وعطل ذاته عـــن الشغل فخسرهما .

ولما كان الانسان مضطرا الى السعي في معاشه ، فيشغله ذلك عن وجوه الطاعات من العلم ونوافل الصلاة والصوم والحـــج وغيرها ، ومعرضا للامراض فتمنعه منها . ولكنه لا يخلو من حالة يكون فيها فارغا من الشغل لمعاشه ، ومعافا من المرض في بدنه ــ ذكره هذا الحديث الشريف بما عليه في هذه الحالة من

المحافظة عليها ، وعمارتها بالطاعات حتى لا يخسرها ، وتنقص من عمره بلا فائدة ، فيكون مغبونا فيها .

تفـريــع عـلى الحـديث :

فاذا عمر الانسان وقت فراغه من الكد لعيشه بطاعة مـن طاعات الله ، واستعمل بدنه مغتنما فرصة صحته فيها ، ثـم عرض شغل من أشغال عيشه فقطعه عنها ، أو طرأ عليه مرض فمنعه منها ، ونيته المداومة على تلك الطاعة لولا الشاغل والمانع فانه يكتب له في شغله وفي مرضه ثواب ما كان يعملـــه في صحته وفراغه ، ومن الدليل على ذلك حديث البخارى ـ رضى اللـه عنه ـ عن أبى بـردة بن أبى مـوسى الاشعرى ـ رضى الله عليه وآله وسلم ـ : إِذا مَرِضَ العَبدُ أو سافَرَ كُتِبَ له مثلُ ما كان يعمَلُ مُقيماً صحيحاً ، والسَّفرُ نوعٌ من الشُغْل .

تفـريـــع آخـــر :

واذا كان المؤمن عاملا فى طاعة الله تعالى أيام صحته وفراغه ثم مرض فان له أجرين : أجرا على ما كان يعمل فى صحته بدليل ما تقدم ، وأجرا على مرضه . لقوله ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ : (ما يُصيبُ المسلِمَ مِنْ نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولاَ هَمٍّ ولا حُزْنٍ حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إلاَّ كفَّرَ اللَّهُ بها من خَطَايـَاهُ) . رواه البخارى ـ رضى الله عنه ـ . وكذلك اذا شغل بالسعى عـلى نفسه أو على العيال ، فان له أجرين أجر ما شغل عنه ، وأجـر سعيه على عياله ، وأدلة ثواب الساعى على عياله كثيرة ، منهـا حديث الرجل الذى رآى الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ مـن جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله : لو كان فى سبيل الله . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (إنْ خَـرَجَ

يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خـــرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيـــل الله) . رواه الطبرانى بسند صحيح . ومثله من شغل بطاعة عن طاعـة ، كمن شغل بالرباط عن نافلة الحج مثلا ، لانه اذا كان المشغول بالسفر المأذون فيه يكتب له ما كان يعمله مقيما ، لان نيتـه المداومة لولا عارض السفر ــ فالمشغول بالطاعة عن طاعة كان ينوى فعلها لولا عروض الطاعة الاخرى ــ أحرى وأولى .

سلوك العاملين بهذه الاحاديث :

يعمرون أوقاتهم كلها بالاعمال ، أعمال القلب ، وأعمـال اللسان ، وأعمال الجوارح ، فلا يشتغلون عن طاعة الا بطاعة . ولا يخرجون من عمل الا الى عمل ، فاذا مرضـوا صبـروا واحتسبوا ، وأتوا بما يستطيعون ، فتتضاعف أجورهم بأعمالهم وبنياتهم ، ويربحون جميع حياتهم ، وأولئك هم الفائزون .

سلك الله بنا وبالمسلمين مسلكهم بمنه وكرمه . آمين (1) .

(1) ش : ج 2 ، م 7 ــ غرة شوال 1349 هـ ــ مارس 1931 م .

نظـــام الغـــذاء

(ما مَلأَ آدَمِيٌّ وعاءً شراً من بَطْنٍ . بِحسْبِ ابْنِ آدمَ أَكلاَتٌ يُقِمْن صُلْبَهُ، فإن كان لاَ مَحالَةَ فثُلُثٌ لطعامِهِ ، وثُلُثٌ لشَرابِهِ ، وثُلُثٌ لِنفَسِهِ) . رواه الترمذي وغيره وقال حسن صحيح .

* * *

ان الانسان بجزئه الترابي . وهو بدنه ــ مخلوق أرضي ، وبجزئه النوراني ــ وهو روحه ــ مخلوق سماوي . فاذا جذبه جزؤه الترابي بزمام الشهوة الى السفليات الارضية ، طار به جزؤه النوراني على بساط العقل الى علويات السماء . وهو لن يزال دائما بين هذا وذاك في انحطاط واعتلاء .

لم يخلق الانسان للارض وان خلق منها ، وانما خلق للسماء وللملإ الأعلى ، وآخر كلمة قالها النبي ــ صلى اللـه عليه وآله وسلم ــ : (اللهمَّ الرفيقَ الأَعلَى) وانما ينتهي الى هذا بصفاء روحه واستنارة عقله ، وما البـــدن الترابي الا آلة لهمـا ، لاستكمال قوتهما ، ومظهر لتلك الاستنارة وذلك الصفاء .

وعيار على ما فيهما من قوة وضعف بما يكسبانه ويكتسبانه في طريق الاختبار والابتلاء . ليتال الانسان ما يستحقه عـلى حسن تصرفه أو سوء تصرفه من عادل الجزاء ، بعد خروجه من دار الفناء الى دار البقاء .

فالجسد آلة بديعة للروح لازمة لها فى الدنيا وملازمة لها فى الاخرى . فمن العدل الالهى أن يكون لها حظها هنالك كما كان لها حظها هنا ، ومن العدل الواجب على الانسان أن يعطيهـا ــ كما يعطى الروح ــ حقها من الاعتناء ، فكما يغذى روحه بما ينير عقلها من العلوم والمعارف ، وما يزكيها من الاخلاق والآداب ، وما يقويها من صالح العمل ، ومفيـــد السعى فى وجوه الحياة . ويحفظها من كل ما يغشى العقل من جهــــالات وأوهام ، وما يدسى النفس من رذائل ، وما يضعفها من كسل وبطالة ــ كذلك عليه أن يغذى بذنه بما ينميه وما يصلحـه وما يقويه ، ويحفظه من كل ما يفسده أو ينهكه أو يؤذيه .

يتوقف بقاء هذا البدن وصلاحه على الغذاء ، وقد جعل الله فيه لذلك وعاء وأى وعاء ، هو المعدة : مخزن الغذاء وبيت الداء وعلى حفظ نظام هذا الوعاء تترتب الصحة والمرض والسقم والشقاء .

فاذا ملأ ابن آدم بطنه كان عليه شر وعاء ، وانبعثت منه شر الادواء : أسقام للبدن ، وأثقال على الروح ، وظلمات للعقل ، فانقلب على الانسان من الانتفاع به الى أصعب الشر وأقسى البـــلاء .

واذا اقتصر على أكلات تقيم الصلب وتمسك البدن حصل من البدن على العمل ، وسلم من آلام المرض ، ونعم بالعافية ، وكان انتفاعه بالآلة البدنية خالصا من شوائب الضرر .

واذا غلبته الشهوة ، وكان ــ لا محالة ــ منقادا للذة ، فليقف دون الشبع ولا يملأ كل الملء المعدة حتى لا تثقل حركتها فى الهضم ، وحتى لا تنتفخ فى البطن فتسد مجارى النفس ، وبذلك

يكون قد عدل بين أصول الحياة البدنية الثلاث طعامه وشرابه ونفسه ، فأعطى لكل واحد الثلث من بطنه .

غير أن الانسان اذا كان هكذا تغلبه الشهوة ، وتقوده اللذة فانه بمظنة أن يتجاوز ـ ولو فى بعض الاحيان ـ العدل الى الامتلاء . فشرع له الصوم ليقاوم شر ذلك بما فيه من راحة للمعدة ونقاء وتربية على امتلاك زمام نفسه عن الشهوات والملذات ، وعلى استطاعة حملها على الجوع والعطش عند الاقتضاء. هذا للمعتدل وللمالىء للبطن المملوك للشهوة بالاحرى والاولى . أما ذاك المقتصر على الاكلات فهو له زيادة فى القوة ورسوخ لما تمكن منه من العادة المشروعة الحسنة .

فالصوم ضرورة لنظام الغذاء وحفظ الصحة البدنية وعون للانسان على حسن استعماله لآلته الترابية الارضية للترقى الى آفاقه الروحية النورانية وكمالاته العلوية .

فالحمد لله الذى شرع لنا الصيام وفرض علينا رمضان ووفقنا الى القيام فى كل عام .

نسأله المزيد انه الحميد المجيد.

ليس الخبز كل ما نريد :

نحن ـ المسلمين ـ ربينا تربية اسلامية على ألفة الجوع ، والتقلل من الاكل والاقتصار على قدرة الحاجة ، والمواساة فى المطعم والمشرب . فطعام الواحد عندنا يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الثلاثة يكفى الستة وطعام الاربعة يكفي الثمانية وتعتقد عن تجربة ان الرجل لا يهلك عن نصف قوته .

بهذه التربية استطعنا ان نبقى ونعيش في مثل ما عليه حالة معظم الامة الجزائرية من الفاقة والعون والجوع والمسغبة ، بينما هي تنظر الى ما ينعم فيه غيرها من النعمة والرخاء ، مما لو أصاب أمة أخرى لاجتاحها وافناها ، أو لاثارها ودفعها الى موارد العذاب والردى .

وكما ربانا الاسلام هذه التربية من ناحية الغذاء فقد ربانا تربية أخرى من نواحي أخرى . ربانا على محبة العلم والمعرفة والرغبة فيهما والتلهف على ما فات منهما والاحترام لمن كان له حظ فيهما .

ويهذه التربية استطعنا - رغم الفاقة ورغم الجوع ورغم التثبيط والمعاكسة ان نحافظ على قرآننا وخطنا وبقايا علوم لغتنا وديانتنا وجملة معارفنا ، واندفعنا الى تأسيس المكاتب العربية رغم ما يحول بينها وبيننا واندفعنا الى المكاتب الحكومية فضاقت عنا وبقيت مئات الآلاف في انياب الجهل والفقر من ابنائنا .

ولولا تلك التربية الاسلامية التي زرعتها القرون فاستقرت في قرارات النفوس ، وصارت من الخلق الموروث ، لكان ما نحن فيه من ظلم وتعاسة وتقديم كل أحد علينا في وطننا والترك لعامل التجويع والتجهيل تخرج آلاتها الفتاكة المتنوعة للقضاء علينا - شاغلا لنا عن العلم وعن الشعور به وعن طلبه وعن المزاحمة عليه .

جهل قوم من ذوي السلطة هذا الخلق منا فحسبوا - وهم جد عالمين بما فيه الامة من جوع وفاقة - اننا قوم لا نريد الا الخبز ، وان الخبز عندنا هو كل شيء ، واننا اذا ملئت بطوننا مهدنا ظهورنا ، وانهم اذا اعطونا الخبز فقد اعطونا كل ما نطلب

اذ الخبز ــ فى زعمهم ــ هو كل ما نريد ، فاذا حادثناهم فى حالنا سكتوا عن كل شيء الا عن الجوع والخبز ، واذا رفعنا أصواتنا بمطالبتهم بحقوقنا لديهم ، أو بانجاز مواعيدهم خرجت المراسيم بتوزيع قناطير القمح أو القرينة أو الدقيق أو سلفات البذر التى لا ينال المحتاج الحقيقى منها ما يسد حاجته، وتذهب فى أثناء توزيعها فى تعاريج والتواءات أخرى ... فاذا صدرت تلك المراسم طبل المطبلون وزمر المزمرون ، وحسب المغرورون اننا قد رضينا وفرحنا وانتهى أمرنا .

لا يا قوم ، اننا أحياء ، واننا نريد الحياة وللحياة خلقنا . وان الحياة لا تكون بالخبز وحده ، فهنالك ما علمتم من مطالبنا العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلها ضروريات فى الحياة . ونحن نفهم جيدا ضروريتها للحياة ، وقد بذلنا فيها لكم ما كان ــ يوما ــ سببا قويا فى حياتكم فلا تبخلوا علينا اليوم بما فيه حياتنا ان كنتم منصفين ، وللايام والامم مقدرين . والا فالله يحكم بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين (١) .

(1) ش : ج 9 ، م 12 ــ رمضان 1355 هـ ــ ديسمبر 1936 م .

نظافة الطرق والمجالس
أو
مصلحة من مصالح البلدية

« قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (أتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ) قالوا : وما اللَّعانَانِ يا رسول الله ؟ قال : (الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظِلِّهم) رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ » .

* * *

المفردات :

اتقوا: اجتنبوا ، اللعان: الكثير اللعن ، واللعن الابعاد من رحمة الله ، واللعان فى الحقيقة من يصدر منه اللعن بكثرة ، وقيل فى التخلى فى الطريق ، والتخلى فى الظل ، لعانان لأنهما سبب فى صدور اللعن بكثرة من الناس لفاعلهما ، فأسند ما فى معنى الفعل الى سببه مجازا . التخلي أصل معناه الذهاب الى الخلاء ، والمراد به هنا قضاء الحاجة البشرية من بول أو غائط . وأطلق التخلى عليها لأن الشأن أن تكون فى الخلاء . ففى اسمه أدب من آدابه .

المعنى :

اذا أردتم قضاء الحاجة ، فاجتنبوا الطرقات ، واجتنبوا الاماكن التى اتخذها الناس للجلوس فى ظلها ، ومن تخلى فى واحد من هذين فانه يجلب على نفسه لعنا كثيرا .

الحكـــم :

المتخلى فى طرقات الناس وأماكن جلوسهم متعد عليهـم ، مؤذ،ظالم لهم ، فهو داخل فى لعن الله للظالمين ، وشأن الناس عند ما يجدون القذر فى طرقاتهم وأماكن جلوسهم أن يلعنوا مـن آذاهم بذلك وهم مظلومون منه ، فيكون لعنهم من دعـوة المظلوم . ودعوة المظلوم مستجابة ، فصار المتخلى قد أوقع نفسه فى لعنة الله ولعنة الناس المظلومين ، والذنب الذى يؤدى الى هذا اللعن لا يكون الا من الكبائر ، فالتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم كبيرة من الكبائر .

تعميـــم :

تشمل الطرق الطرق الى البيوت ، والاسواق ، والقـرى ، وموارد الماء ، والطرقات كلها . ومثل المكان الذى اتخذه الناس للجلوس فى ظله . كل مكان اتخذوه للجلوس فيه لمنفعة مـــن منافعهم فيدخل فى ذلك الاسواق والمنتزهات وغيرها ، فكـل ذلك مما يحرم التخلى فيه ، ويلحق بالتخلى وضع القـــذر ، والوسخ ، والزبل ، والشوك ، وكل ما فيه مضرة ، لمـــا فى الجميع من التعدى والاذاية .

تتميـــم :

كما انتظم الحديث الصحيح المتقدم النهى عن تقذير الطرقات والاماكن العامة بذلك الترهيب الشديد ، كذلك جاء الترغيب في تنقيتها وازالة الاذى عنها شاملا ذلك ، ما كان من المستقذرات وغيرها من كل ما فيه أذى ، فقد ثبت فى الصحيح أن أبا برزة الاسلمى ـ رضى الله عنه ـ قال للنبى ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ : يا نبى الله ، علمنى شيئا أنتفع به ؟ فقال ـ صلى

الله عليه وآله وسلم ــ : (أعزل الأذى عن طريق المسلمين) وثبت قوله ــ ص ــ : (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له) واذا كانت ازالة الأذى عن الطريق ــ ومثلها كل مجتمع عام ــ فيها الأجر والمثوبة ، فوضع الأذى فيه الاثم والعقوبة .

تطبيق :

من أحسن المصالح التي يقوم عليها اجتماع الناس في التمدن الحاضر وألزمها ــ مصلحة التنظيف في الادارات البلدية وأنت ترى أن الاحاديث النبوية المتقدمة قد انتظمت ذلك التنظيف بالترهيب من التقذير وكل مؤذ ، والترغيب في ازالتهما . فوضع الاسلام بذلك أصل هذه المصلحة قبل أن يعرفها تمدن اليوم . فعلى المسلم أن يلتزم ذلك كأمر ديني يثاب عليه عند ربه ، ليكون دافعه الى القيام به من نفسه ، ورقيبه في تنفيذه ضميره الديني وايمانه ، وقد شهد التاريخ لمدن الاسلام أيام مدنيته الزاهرة بانفرادها بين مدن عصرها بالنظافة وحسن المظهر ، وما ذلك الا من تطبيق مثل ما تقدم مما وضعه الاسلام من أصول المصالح التي تقوم عليها الحياة ، ويترقى بها المجتمع . فعلينا ــ معشر المسلمين ــ أن نعنى بما دعتنا اليه هذه الاحاديث النبوية الشريفة لنكون بين الناس مثلا حسنا راقيا في النظافة البلدية ، لنفع أنفسنا ومجتمعنا ونرفع اسم ديننا ، ونفوز بالاجر والرضى من ربنا .

وفقنا الله لاحياء معالم الدين ، ورفع اسم الاسلام والمسلمين (1) .

---

(1) ش : ج 5 ، م 11 ــ غرة جمادى الاولى 1354 هـ ــ 1 أوت 1935 م .

بنـاء المساجـد على القبـور
من فعل شرار الخلق عند الله يوم القيامة

ـ 1 ـ

عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أَن أُم حبيبةَ وأم سلمةَ ـ رضى الله تعالى عنهما ـ ذكرتاَ كنيسةً رأَيْنَها بالحبشة فيها تصاويرُ ، فذكرتا ذلك للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال : (إنَّ أُولئكَ اذاَ كانَ فيهمُ الرجلُ الصالحُ فماتَ بنوْا عَلَى قبرِه مسجداً، وصوَّرُوا فيه تلك الصُّوَرَ، فأولئكَ شِرارُ الخلقِ عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ) ، رواه الشيخان رحمة الله عليهما .

* * *

هذا الحديث أحد الاحاديث الكثيرة المستفيضة التى جاءت فى التحذير من بناء القبور على المساجد ، والتنبيه على أن ذلك يؤدى الى عبادتها ، والتأكيد لذلك بذكر ما كان ممن قبلنا من ذلك وما أداهم اليه . فأخبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى هذا الحديث أن أصحاب تلك الكنيسة كانوا يبنون المساجد على قبور صلحائهم ، ويصورون صورهم وانما يفعلون ذلك تعظيما لهم واستئناسا بصورهم ، وليعبدوا الله تعالى عند قبورهم تبركا بهم ، فكانوا بسبب فعلهم من بناء المساجد على القبور ، ونحتهم للصور شرار الخلق عند الله يوم القيامة ،

لان تعريف المسند اليه بالاشارة ـ وهو أولئك ـ يفيد ان المشار اليه الموصوف بصفات ـ وهي بناء المساجد على القبور ، وتصوير الصور ـ حقيق وجدير بما يذكر بعد اسم الاشارة ، وهو قوله : شرار الخلق ـ من أجل اتصافه بتلك الصفات . وذلك لان القبر المعظم ببناء المسجد عليه ، والصورة المعظمة لتمثيلها ذلك الصالح يصيران مما يعبد ويعتقد فيه النفع والضر ، والعطاء والمنع ، فيدعى ويسأل ، وتطلب منه الحوائج وتخشع عنده القلوب ، وتنذر له النذور ، وهذه من العبادة التى لا تكون الا لله ، وقد جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن وُدًّا وسُوَاعًا ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا التى كانت أصناما لقوم نوح ، وعبدتها العرب من بعدهم ـ كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن أنصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسموها باسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ـ الذين نصبوها ـ وتنسخ ـ تغير ـ العلم عبدت ، فعلم من هذا أن ما يكون موضوعا فى أصله بقصد حسن يمنع وينهى عنه اذا كان يؤدى بعد ذلك الى مفسدة .

الأحكــــام :

هذا الحديث نص صريح فى المنع من بناء المساجد على قبور الصالحين ، وتصوير صورهم ، وفيه الوعيد الشديد على ذلك ، ونظيره حديث جندب ـ رضى الله عنه ـ عند مسلم ـ رضى الله عنه ـ سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول قبل أن يموت عليه السلام بخمسة أيام : (أَلاَ وإِنَّ مَن كان قبلَكُم يتَّخذُون قبورَ أَنبيائِهم وصَالِحِيهم مساجدَ ، أَلاَ فلا تتَّخِذُوا القبورَ مساجدَ ، إِنِّى أَنهاكم على ذلك) .

تطبيـــق :

هذه هى حالتنا اليوم معشر مسلمى الجزائر وأحسب غـيرنا مثلنا . تجد أكثر أو كثيرا من مساجدنا مبنية على القبـــور المنسوب أصحابها الى الصلاح ، ومنهم من كانوا معروفين بذلك ومنهم المجهولون . فان قيل : انما بنيت المساجد على تلك القبور للتبرك بأصحابها لا لعبادتهم . قلنا : ان النهى جاء عاما لبناء المسجد على القبر ، بقطع النظر على قصد صاحبه ، ولو كانت صورة البناء للتبرك غير مرادة بالنهي لاستثناها الشرع ، فلما لم يستثنها علمنا أن النهى على العموم ، وذلك لانها وان لـم تؤد الى عبادة المخلوق فى الحال فانها فى مظنة أن تؤدى الى ذلك فى المآل . وذرائع الفساد تسد ، لا سيما ذريعة الشرك ودعاء غير الله التى تهدم صروح التوحيد . وانظر الى ما جاء فى حديث ابن عباس فى أصنام قوم نوح وكيف كان أصل وضعها ، وكيف كان مآلها ، وتعال الى الواقع المشاهد نتحاكم اليه ، فاننا نشاهد جماهير العوام يتوجهون لاصحاب القبور ويسألونهم ، ويتذرون لهم ، ويتمسحون بتوابيتهم ، وقد يطوفون بها ، ويحصل لهم من الخشوع والابتهال والتضرع ما لا يشاهد منهم اذا كانـوا فى بيوت الله التى لا مقابر فيها . فهذا هو الذى حذر منه الشرع قد أدت اليه كله ، وهبها لم تؤد الى شىء منه أصلا ، فكفانا عموم النهي وصراحته . والعاقل من نظـر بانصاف ولم يغتـر بكل قـول قيــل .

إيمـــان وامتثـــال :

علينا أن نصدق بهذا الحديث بقلوبنا ، فنعلم أن بنـــاء المساجد على القبور من عمل شرار الخلق كما وصفهم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأن تنطق بذلك ألسنتنا كما

نطلق به هذا الحديث الشريف ، وأن نبني عليه أعمالنا ، فلا نبني مسجدا على قبر ولا نعين عليه ، وأن ننكره كما ننكر سائر المنكرات حسب جهدنا ، ومن أعظم الانكار تبليغ هذا الحديث بنصه ، وتذكير الناس به ، والعمل على نشره حتى يصير معزوفا عند عامة الناس وخاصتهم ، اذ لا دواء للبدع الشيطانية الا نشر السنة النبوية . ولا تستعظم انتشار هذه البدعة وكثرة ناصريها فانها ما انتشرت وكثر أهلها الا بالسكوت عن مثل هذا الحديث والجهل به . ولنكن في ارشادنا مقتصرين على ايراد لفظ الحديث وشرحه ـ على أنه واضح مفهوم بنفسه ـ دون أن نمس شيئا من شؤون أولئك المقبورين ، فانهم اخواننا سبقونا بالايمان ، فلهم علينا حق الدعاء والاستغفار ، فاذا عملنا كلنا على هذا عن حسن قصد ومحبة في الخير للمسلمين ، رجونا أن يؤيدنا الله تعالى ، ويجعل النفع بأيدينا ، « **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** » (1) .

لعن من اتخذ المساجد على القبور

ـ 2 ـ

« لعَنَ اللَّه اليهودَ والنَّصارى . اتَّخَذُوا قبُـورَ أنبيائِهِـم مساجدَ » ، البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

* * *

لما أخبر عليه وآله الصلاة والسلام أن الله لعن اليهود والنصارى بين علة وسبب لعنهم وهى اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد . وذلك بأن بنوا عليها المساجد أى أماكن العبادة كما هو صريح فى حديث آخر هكذا : (بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً)

(1) ش : ج 5 ، م 7 ـ غرة محرم 1350 هـ ـ ماى 1931 م .

وسنذكره في الجزء الآتي ان شاء الله ، فالمتخذ للمساجد على القبور ملعون بنص هذا الحديث الصحيح الصريح .

فيا أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، المصدقون لحديثه، إياكم والبناء على القبور ، إياكم واتخاذ المساجد عليها إن كنتم مؤمنين ، وعليكم بتبليغ هذا الحديث والتذكير به والتكرير لذكره يكن لكم أجر المجاهدين في سبيل رب العالمين، وثواب العاملين لإحياء سنة سيد المرسلين ، عليه وعليهم الصلاة والسلام أجمعين «1» .

النهي عن البناء على القبور

ـ 3 ـ

(نهَى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجَصَّصَ القبرُ وأن يُقعَدَ عليه وأن يُبْنَى عليه) مسلم من طريق جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

* * *

هذا حديث صحيح صريح في النهى عن البناء على القبر ، ومعضداته من السنة كثيرة ، وهو من الظهور والصراحة بحيث لا يحتاج الى تفسير ، وانما نسأل كل مؤمن بقوله تعالى : « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** » وقوله : « **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** » وقوله « **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** » ، نسأل كل مؤمن بهذه الآيات ان يعمل بنهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن البناء على القبر ، فلا يبن على قبر ، ولا يعن بانيا ، ويعلن هذا الحديث

---

(1) ش : ج 3 ، م 9 ـ غرة ذى القعدة 1351 هـ ـ مارس 1933 م .

فى الناس ويذكرهم به ولا يفتأ يقرع به اسماع الغافلـين ، ويفتح به أعين الجاهلين « **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** » (1) .

بنـــاة المساجـد على القبــور

من شرار الخلق عند الله يوم القيامة

ـ 4 ـ

(إِن أمَّ حبيبةَ وأمَّ سلمة ذكرتا كنيسةً رأَيْنَها بالحبشةِ، فيهَا تصاوِيرُ، لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله ـ ص ـ : (إِنَّ أولئِكَ إِذا كان فيهِم الرجُلُ الصَّالحُ فماتَ بنَوْا على قبرِه مسجدًا وصوَّرُوا فيه تلك الصُّوَرَ ، أولئك شِرارُ الْخلقِ عندَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ يومَ القيَامَةِ) .

البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

* * *

كانوا شرار الخلق بسبب بنائهم المساجد على قبور صالحيهم واتخاذ الصور لهم ، وكلاهما ذريعة الشرك والوثنية ، وان كان النصارى يقصدون التبرك بآثار الصالحين . ولا يقال ان هذا فيمن جمع بين البناء والتصوير ، لانه قد جاء لعنهم على البناء وحده ، كما فى الحديث المتقدم فى جزء مضى ، ولا يقال ان هذا لانهم نصارى ، لان المقصود النهى عن مثل فعلهم هذا ، والتحذير منه ببيان العقاب المترتب عليه ، حتى لا يفعل المسلمون هــذا الفعل فيترتب عليه عقابه .

فحذار أيها المسلم من فعل أهل الضلال ومشاكلة الاشرار ولا تغتر بكثرة الهالكين (2) .

---

(1) ش : ج 2 ، م 9 ـ غرة شوال 1351 هـ ـ فيفرى 1933 م .
(2) ش : ج 6 ، م 9 ـ غرة محرم 1352 هـ ـ ماى 1933 م .

تأكيد النهي عن اتخاذ القبور مساجد

ـ 5 ـ

(عن جندَبَ قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول : (إِنِّي أَبْرَأُ إِلى اللَّه أَن يكونَ لي مِنكُمْ خليلٌ ، فإِنَّ اللَّه قد اتَّخذَني خليلاً كمَا اتَّخذ ابراهيـم عليه السلام خليلاً ، ولوْ كنتُ متخذاً منْ أُمَّتي خليلاً لاتَّخذتُ أبا بَكْرٍ خَلِيلاً . ألا وإِنَّ من كان قَبلَكُم كانُوا يتَّخذونَ قبـورَ أنبيَائهم وصُلحائِهم مساجدَ ، ألاَ فلاَ تتَّخذوا القُبورَ مساجدَ ، إِنِّي أَنهاكُمْ عنْ ذلِك) . رواه مسلم .

* * *

هذا الحديث كالاحاديث الماضية ، صريح فى النهى عن اتخاذ القبور مساجد ، وذلك ببناء المساجد عليها كما تقدم فى حديث أم حبيبة وأم سلمة ـ ض ـ فى الجزء الماضى وبالصلاة اليها كما فيما سننقله فى الجزء الآتى . وفى هذا الحديث تأكيد النهى بكلمة « ألا » مرتين ، وبتكرير النهى المستفاد أولا من « لا » وثانيا مـن الجملة الاخيرة المصرح فيها بمـادة النهى مع التأكيد بان . وبعد هذا التأكيد فى هذه الصراحة لا يبقى من يشك أو يشكك فى معناه الا من أعمى الله بصيرته واستولى الغرض والهوى على لبه ، وان كسبه على قلبه عياذا بالله .

هذا واننا بعد أن نفرغ من نقل متون هـذه الاحاديث الصحيحة الصريحة ، نأتى بكلام الائمة من شراحها عليها ، ثم بكلام الائمة من فقهائنا المالكية ، رحم الله الجميع ، ونفعنا بمحبتهم، وحشرنا في زمرتهم، لا مبدلين ولا مغيرين، آمين (1).

---

(1) ش : ج 7 ، م 9 ـ غرة صفر 1352 هـ ـ جوان 1933 م .

من اتخاذ القبور مساجد ، الصلاة اليها

— 6 —

(عن عائشةَ رضى الله عنها ، عَن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال فى مرضه الذى مات فيه : (لَعَنَ اللّهُ اليهودَ والنَّصَارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ) . قالت : ولولا ذلك لأُبـــرزَ قبرُه ، غير أنِّى أخشى أن يُتَّخَذَ مسجـدا) . رواه الشيخـان واللفظ للبخارى .

* * *

أفادت عائشة — ض — أنهم لم يبرزوا قبره — ص — للناس خوفا من أن يتخذ مسجدا بالصلاة اليه ، فاتخاذ القبور مساجد ، الذى تكرر النهى عليه ، ولعن مرتكبه ، يكون بالبناء عليهــا كما في الاحاديث الماضية، وبالصلاة اليها كما في هذا الحديث (1)

(1) ش : ج 8 ، م 9 — غرة ربيع الاول 1352 هـ — جوليت 1933 م .

حــق النســاء فى التعلـم

عن أبى سعيد الخدرى (ض) : « قالتِ النساء للنــبي صلى الله عليه وآله وسلم : غلَبَنا عليك الرجالُ فاجْعَلْ لنَا يوماً من نفْسِك . فوعدهن يوما لقيَهُنَّ فيه ، فوعظَهُنَّ وأَمرَهُن . فكان فيما قال لهن : ما منْكُنَّ امرأةٌ تقدِّم ثلاثَةً من ولدها الا كان لها حجاباً مــن النار . فقالت امرأة : واثنَتَيْن ، فقال : واثنَتَيْنِ» رواه البخارى .

* * *

الشـــرح :

كان الرجال يلازمون النبي (ص) فيحيطون به للتعلم فــلا يستطيع النساء مزاحمتهم عليه،وكنّ يجلسن فى آخر صفوف المسجد،فاذا تحدث النبى (ص) بالعلم بعد الصلاة لا يتمكنَّ من كمال السماع ، وكانت لهــن رغبة فى العلم مثل الرجال ، اذ كلهن يعلمن انهن مكلفات باحكام الشريعة مثلهم . فلذا سألن رسول الله (ص) ان يعين لهن يوما باختياره هو يخصصهن به . فاجابهن الى ما طلبن ووعدهن يوما يعينه ووفى لهن بوعده فلقيهن فى ذلك اليوم وحدهن فوعظهن وأمرهن باشياء مما عليهن من أمر الدين . واخبرهن بان كل واحدة منهن يموت لها ثلاثة من ولدها فتقدمهم قبلها فان ذلك التقديم يكون لها حجابا ووقاية من النار لعظم الأجر بعظم المصيبة ، فطمعت احداهن فى فضل اللــه وخافت ان يكون هذا الفضل محصورا فيمن قدمت ثلاثة

فسألت عمن قدمت اثنتين فاخبرها رسول الله (ص) بانه لمن قدمت اثنتين أيضا .

الأحكام والفوائد :

النساء شقائق الرجال فى التكليف فمن الواجب تعليمهن وتعلمهن، وقد علمهن (ص) واقرهن على طلب التعلم ، واعتز بهن،وتفقدهن كما فى حديث ابن عباس : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج ومعه بلال فظن انه لم يسمع النساء فوعظهن وامرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقى القرط والخاتم وبلال يأخذ فى طرف ثوبه .

لا يجوز اختلاط النساء بالرجال فى التعلم ، فاما ان يفردن بيوم كما فى هذا الحديث ، واما ان يتأخرن عن صفوف الرجال كما مر فى حديث ابن عباس (ض) .

يجعل لتعليم النساء يوم خاص بهن ويتكرر هذا اليوم بقدر الحاجة . ولما كانت الحاجة دائمة فاليوم مثلها .

فيه عظيم أجر من أصيب فى افلاذ كبده اذا حزن ولم يقل قبيحا، وجاء التنصيص على الرجال فهم مثل النساء فى هذه المثابة .

وفيه البداية فى التعليم بما تشتد اليه حاجة المتعلم فان حنان النساء وضعفهن يحملانهن على الجزع الشديد وقد يخرج بهن الى القبيح ، فذكر لهن ما يكون عدة لهن ووقاية عند نزول المصيبة .

وفيه ما ينبغى من تهيئة القلوب وتحضير النفوس لتلقى التكاليف الشرعية لتنشرح لها الصدور وتنشط فيها الجوارح ولذا قدم الوعظ على الامر (1) .

---

(1) ش : ج 2 ، م 15 ـ صفر 1358 هـ ـ مارس 1939 م .

تعليم النساء الكتابة

عن الشفاء بنت عبد الله قالت : « دخَل عليَّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم وانا عند حفصة . فقال لى : ألا تعلِّمِين هذه رقْيَةَ النَّمِلة كما علمتِها الكتابةَ » رواه أبو داوود .

* * *

السنـــد :

رجاله رجال الصحيح الا ابراهيم ابن مهدى البغدادى فلم يخرج له فيهما لكنه ثقة . وثقه أبو حاتم وابن نافع وابن حيان وقد تابعه غيره وخرج الحديث أيضا النسائى والبيهقى فى السنن الكبرى والامام أحمد .

المتـــن :

الأشخاص : الشفاء هى بنت عبد الله القرشية العدوية من السابقات والمهاجرات الاوائل (رض) وحفصة هى بنت عمر ابن الخطاب أم المؤمنين رضى الله عنهما .

الالفاظ :

النمِلة: قروح تخرج فى الجنب . ورقيتها: كلام كانوا يقولونه عليها مما لا محظور فيه، فأقره النبى (ص) ولم يذكر الرواة نصه

المعنـــى :

عرف (ص) ان الشفاء كانت علمت حفصة الكتابة وكانت الشفاء من عاقلات النساء وعارفاتهن، فدعاها الى تعليم حفصة رقية النمِلة وحثها عليها ، ونشطها لذلك بتذكيرها بتعليمها لها الكتابة فمن كان من شأنه عمل من الأعمال خف عليه القيام به . مبينا لها بذلك ان تعليم هذه مثل تعليم تلك فى النفع وفعل الخـير .

الأحكـام والفـوائد :

فيه مشروعية الرقية وذلك بشرط أن تكون بالكلام المفهوم الذى لا محظور فيه كما دلت عليه الآثار . واذا كانت الأدوية سببا للشفاء بخواصها فبعض الأقوال تكون فى ذلك مثلها، تلك من ناحية البدن وهذه من ناحية الروح، وقد دلت على هذا وذاك التجربة وأقرت الجميع الشريعة .

وفيه تعلم الرقية وتعليمها مثل كل ما يمكن ان ينتفع بــه على الوجه المشروع ، وفيه حث العارف بشىء مما يحتاج اليــه الناس ان ينشره بينهم ويعلمهم اياه .

وفيه تعليم النساء الكتابة، واستدل بــه على ذلك جماعة من الائمة منهم الخطابى فى شارح السنن ، وصاحب المنتقى .

تـوسع فى الاستدلال :

وأقـوى منــه فى الاستدلال العمومات القــرآنية المتكاثرة الشاملة للرجال والنساء، فان مذهب الجماهير وهو المذهب الحق ان الخطاب بصيغة التذكير شامل للنساء الا بمخصص يخرجهن مــن نص أو اجمــاع أو بضرورة طبيعية . لان النساء شقائق

الرجال فى التكليف ، ولا خلاف فى انه اذا اجتمع النساء والرجال ، ورد الخطاب أو الخبر مذكرا على طريقة التغليب .

وتامل قوله تعالى : « **وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ** » وقوله تعالى : « **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ** » كيف نص فى الثانية على الرجال لما كان الحال مقتضيا لهم واطلق فى الاولى فدل على انه لا فرق بين ان يكون الكاتب رجلا أو امرأة وهو من أدلة مشروعية تعلم النساء الكتابة . وكل آية دعت للعلم ، قد دعت للكتابة لان الله قد بين لنا انه علم بالقلم ليبين لنا ان القلم هو طريق العلم وآلة حفظه وتدوينه،واقسم بالقلم تنويها بشانه وجاء ذلك كله على الخطاب العام الشامل للنساء شموله للرجال،والعمومات اذا تكاثرت أفادت القطع ولهذا جعلنا هذا الطريق من الاستدلال بالحديث الذى هو خبر آحاد وخبر الآحاد ـ من حيث ذاته ـ يفيد الظن وان كان صحيحا . وحيث تواردت تلك العمومات وثبت هذا الحديث فقد بلغ الدليل بنصه وقطعيته غاية القوة والبيان .

الاقتــــداء :

فاستنادا الى هذه الادلة ، وسيرا على ما استفاض فى تاريخ الامة ، من العالمات الكاتبات الكثيرات ـ علينا ان ننشر العلم بالقلم فى ابنائنا وبناتنا ، فى رجالنا ونسائنا ، على أساس ديننا وقوميتنا الى أقصى ما يمكننا ان نصل اليه من العلم الذى هو تراث البشرية جمعاء ، وثمار جهادها فى احقاب التاريخ المتطاولة . وبذلك نستحق ان نتبوأ منزلتنا اللائقة بنا والتى كانت لنا بين الامم (1) .

---

(1) ش : ج 3 ، م 15 ـ ربيع الاول 1358 هـ ـ ابريل 1939 م .

خــير النســاء

«عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خطب أُمَّ هانىءٍ بنتَ أبي طالب فقالت يا رسول الله : إنّي قد كبرْتُ ولي عِيَالٌ . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : خيرُ نساءٍ ركبْنَ الإبلَ نِساءُ قُرَيْش ، أحْنَاه على ولدٍ فى صِغَرِه ، وأرْعَاهُ على زوجٍ فى ذاتِ يَـدِهِ » ، رواه مسلـــم .

* * *

السنـــد :

الحديث ثابت فى الصحيحين ، وانما انفرد مسلم بهـــذه الرواية التى فيها ذكر سبب ورود الحديث وهو خطبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم أم هانىء ـ ض ـ وما أجابت به .

الكلمـــات :

حنا عليه يحنو حنوا : عطف . فالأحنى هو الأكثـــر عطفـــا . وحنت المرأة على ولدها حنوا فهى حانية اذا لم تتزوج بعـــد أبيه ، فاذا تزوجت فلا يقال فيها حانية .

رعى الشىء يرعاه رعاية : حفظه . فالارعى هو : الاحفظ ، وذات اليد هى : الاموال . لانها صاحبة اليد تجعل فيها .

التراكيب :

ركبن الابل كناية عن نساء العرب ، وقصد بها التعميم ، أى خير نساء العرب كلهن . وجملة أحناه مستأنفة لبيان ما كن به خير النساء ، وأفرد الضمير فى احناه باعتبار الجنس .

الاشخاص :

أم هانىء بنت أبى طالب كانت تزوجت هبيرة بن عمر المخزومى ، أسلمت عام الفتح ، وهرب زوجها الى نجران ، فأولادها منه هم العيال الذين اعتذرت به ، وأبت أن تتزوج عليهم ، فقبل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عذرها .

المعنى :

خير نساء العرب نساء قريش ، لجمعهن بين : الرأفة بالولد والشفقة عليه والعناية به فى تربيته ، حتى يتركن التزوج من أجل التفرغ للقيام به ، وحفظهن للمال وحسن التدبير فيه والامانة عليه ، فيكفين الزوج أعز شىء لديه وهو ماله وولده اللذان بهما حسن حاله وبقاء أثره .

تنبيه على استلزام :

لا تستطيع ترك التزوج بعد تأيمها للتفرغ لتربية أولادها ، الا المرأة الكاملة العفاف ، الشديدة الرأفة ، التى أنسياها حبها فى أولادها والشفقة عليهم داعية النفس الى الزواج ، وما استطاعت ذلك الا بما عندها من ملكة العفاف فوصفها بأنها حانية يستلزم أنها عفيفة .

تـوجيـــه :

لا بقاء لامة من الامم الا بانتظام أسرها وحفظ نسلهـا ، وقد خصص الله المرأة للقيام بهذين الامرين العظيمين، وزودها من الرحمة والشفقة ما يعينها عليهما ، وانما تقوم بهما اذا جمعت ما بين العفة فى نفسها ، والاقتصاد فى نفقتها ، والتفرغ للقيام بأولادها ، ولهذا لما جمع نسوة قريش ذلك كله كن خير نسـاء العـرب .

ارشـــاد :

يبين لنا هذا الحديث الشريف ما خلقت له المرأة من العمل العظيم فى الحياة . ويرشدنا بذلك لوجوب القيـام عليهـا وتهيئتها لذلك بالتربية والتعليم،فتكون تربيتنا وتعليمنا لها بما يقوى فيها هذه الصفات : العفة وحسن تدبير المنزل والنفقـة فيه ، والشفقة على الولد وحسن تربيته ، وكل زيادة على هذه ــ بعد تهذيب أخلاقها ، وتصحيح دينها ، وتحبيبها فى قومها ــ فهى ضارة بها ، أو مخرجة لها عن مهمتها العظيمة ، ملحقـة الضرر بقومها ، فلنجعل هذا الحديث الشريف دليلنا ومرشدنا فى كل ما نسعى اليه من تعليم النساء والبنات .

الاحكـــام :

امتنعت أم هانىء من التزوج للقيام بأولادها ، فأقرهـا النبى ــ ص ــ وأثنى على المتصفات به ، فدل ذلك على استحسانه لمن ملكت عفتها وقدرت عليه . وثناء النبى ــ ص ــ على نساء قريش بوصفهن دليل على ما ينبغى من اختيار المرأة المتصفـة بمثل هذا الوصف ، ودليل ما ينبغى أن يتخير من معادن النساء فى بيوتهن وأقوامهن فان الاخلاق تتوارث ، والبنات متأثرات بالامهات فى الغالب .

تصديـــق :

ان نساء أنجبن من أنجبن من رجالات قريش فى الجاهليـة والاسلام ، وولدن محمدا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لهـن خير نساء فى كل ما توصف به النساء من خير . فصدق رسول الله ــ ص ــ وبر ، وشهدت بصدقه الايام (1) .

(1) ش : 9 ، م 11 ــ غرة رمضان 1354 هـ ــ ديسمبر 1935 م .

النســـاء والكمـــال

عن أبي موسى الاشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (كَمُلَ من الرجال كثيرٌ ، ولم تَكملْ من النساء غيرُ مريمَ بنتِ عِمـــرانَ وآسيةَ امـــرأةِ فرعونَ . وانَّ فضلَ عائشةَ على النساء كفضلِ الثَّرِيدِ على سائر الطعام) . رواه البخارى ومسلم .

* * *

تمهيـــد :

ان الكمال الانسانى متوقف على قوة العلم وقوة الارادة وقوة العمل ، فهى أسس الخلق الكريم ، والسلوك الحميد ، اللذين ينهض بهما بجلائل الاعمال ، ويبلغ بهما الى أسمى غايـــات الشرف والكمال ، والمرأة لما خلقت لقسم الحياة الداخلى أعطيت من القوى الثلاث القدر الذى تحتاج اليه منها وهو دون ما يحتاج اليه الرجل الذى خلق للقيام بقسم الحياة الخارجى ، فكانت بخلقتها أضعف منه فى العلم والارادة والعمل ، فكانت لذلك دونه في الكمال . وتقسيم الحياة الى قسميها ضرورى لبقـــاء النسل وحفظه ، وتقسيم وظيف الحياة بين الرجل والمـــرأة ، واعطاء كل واحد منهما القدر الذى يحتاج اليه فى وظيفـــه ـ من بديع صنع الحكيم الخبير . فلو لم يعط الرجل ما أعطى

من كمال القوى لما استطاع القيام بالاعمال الكبيرة في قسمه ، ولو أعطيت المرأة مثل ما أعطى لما صبرت على البقاء فى قسمها فأخلته ، فاختل النظام فحصل الفساد . ونحن نرى اليوم المرأة فى المدنية الغربية ومقلديها لما خيل اليها أنها قوية مثل الرجل هجرت وظيفتها أو أهملتها ، وخرجت تزاحم الرجل فى وظيفته فأضرت بالقسم الداخلى من الحياة بإهماله واضطرابه ، وأضرت بالقسم الخارجى بمزاحمة الرجل وزحزحة قسم كبير منه عن العمل ، وتعريضه للفتن ، والامم الغربية اليوم تشكو مــــر الشكوى من تفكك نظام الاسرة وانحلال رباط الاخلاق الزوجية وبعضها عاجز عن تدارك أمره بما فيه من فـــوضى الآراء ، وتشعب الاهواء ، وتأصل الداء ، وبعضها قد أخذ يعالج الحالة بما فرضه على العزابة من ضريبة مالية ، وما جعله من مكافآت للمتزوجين والمتزوجات .

الارشـــاد النبـــوى :

فأراد النبى ــ ص ــ أن يعرفنا بهذا الضعف فى جنس المرأة حتى لا نعدو بها ما خلقت له من وظيفة القسم الداخلى مـــن الحياة ، فنظلمها ونظلم الحياة ، وأراد أن يدلنا على ضعفها بدليل تاريخى مشاهد للاجيال ، فذكر لنا تخلفها عن الرجـــل فى بلوغ ذروة الكمال ، فأخبرنا أنه قد كمل فى الامم الماضية من الرجال كثير ، وما كمل منهم من النساء غير امرأتين . وذكر فضل عائشة على نساء وقتها كفضل الثريد على الطعام من أطعمة العرب ، ليجمع بين الحديث على الامم الماضية وأمته ، ويـــدل على استمرار الكمال فى النساء مثل استمراره فى الرجـــال كل بما قدر ويسر له .

الى أى درجات الكمال بلغتـا ؟ :

قد بينت درجات الكمال فى قوله تعالى : « **فَأُوْلَئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّبِيئِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** ». وقد ذهب بعض الناس الى أن كمال مريم وآسية ببلوغهما درجة النبوة . وذهب الاكثرون الى أنهما لم تبلغا اليها ، وانما بلغتا ما دونها من رتبة الصديقية ، واستدلوا بما تقتضيه رتبـــة النبوة من الظهور لهداية الناس وارشادهم وذلك غير ما خلقت له المرأة ، وهذا الحديث ليس نصا فى كمال النبوة فلا تقوم به الحجة . وقد جاء فى صحيح مسلم من طريق على ـ رضى الله عنه ـ قـال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة) ، فأخبر بخير نساء الدنيا فى الامم الماضية ، وخير نساء الدنيا فى هذه الامة ، فكما لم تكن هذه نبية ، لم تكن تلك نبية . على ظاهر القرن ما بينهما فى الخيرية . وذهب قوم الى نبوة مريم بدليل أن الملائكة خاطبتها باصطفاء الله لها وأمرها بالقنوت والسجود والركوع فى قوله تعالى : « **وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ ، يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ** » . وهذه هى النبـوة : تبليغ الملائكة وحي الله بالاصطفاء والتكليف لمن يشاء مـن عباده . فهذا الدليل القوى دليل على خصوصية مريم البـــرة النقية عليها السلام بهذه المزية بين بنات حواء كلهن .

الاقتــداء :

هؤلاء السيدات الكاملات كلهن قد كملن فى الديـن ، فمنهن أم نبى ، ومنهن زوجة نبى ، ومنهن منقذة نبى ، فعلينا أن نكمل النساء تكميلا دينيا يهيئهن للنهوض بالقسم الداخلى من الحياة واعداد الكاملين ومساعدتهم للنهوض بالقسم الخارجى منها . وبذلك تنتظم الحياة انتظاما طبيعيا تبلغ به الانسانية سعادتها وكمالها (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 11 ـ غرة جمادى الثانية 1354 هـ ـ سبتمبر 1935 م .

ستر وجـه المرأة من الدّيـن
على ما فيه من تفصيل

(مالك عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر أنها قالت : كنا نُخمّرُ وُجُوهَنَا ونحنُ مُحْرِمَاتٌ ونحن مع أسماءَ بنتِ أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما) .

* * *

السنـــد : هذا سند من بيت البركات على المسلمين ، بيت الصديق رضى الله عنه ، فعروة هو ابن الزبير وأمه أسمـــاء والمنذر أخوه شقيقه وهشام وفاطمة زوجان وابنا عم،وجدتهما أسماء رضى الله عنهم .

المتـــن : تخمـير الوجه تغطيته بغير النقاب وما فى معناه مما يشد على الوجه ، فذلك بأن تسدل الثوب على وجهها نازلا من رأسها ، وجاء مبينا فى حديث عائشة الذى رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهما ، قالت : كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمـات فـاذا حـاذوا بنـا اسدلت احدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فاذا جاوزونا كشفنـــاه .

الاحتجـــاج : اسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما من أهل العلم والدين فما كان يخفى عليها ما جاء من نهى المرأة

عن النقاب ـ وهى محرمة فلو كان التخمير مثله لما أقرتهن عليه وما كانت لتفرق بينهما برأيها،وفى كليهما ستر وتغطية،لولا أنها على توقيف من النبى صلى الله عليه وسلم فى التفريق ما بينهما، ولهذا احتج مالك رضى الله عنه بتقريرها فخرجه فى موطئه .

التـأييـــد :

يؤيد هذا حديث عائشة المتقدم وفيه تقرير النبى صلى الله عليه وسلم لهن على ما فعلن . وهو حديث محتج به ، والذى وقع فيه كلام من رواته ـ وهو يزيد بن أبى زياد ـ قد قبله مسلم وجعله ممن يشمله اسم الستر والصدق وتعاطى العلم . كما فى مقدمة صحيحه .

الأحكــام والاستــدلال :

ستر وجه المرأة عن رؤية الاجنبى مشروع بالتقرير النبوى له فى وقت الاحرام الذى هو وقت كشف وجه المرأة ، ولذلك كن ـ كما فيحديث عائشة ـ يكشفن وجوههن اذا جاوزهن الركبان وما نهيت المرأة عن النقاب فى الاحرام الا وقد كان النقاب من شأنها وعادتها ـ والعادة التى يقرها النبى صلى الله عليه وسلم لمصلحة تصير من الدين باستنادها الى التقرير النبوى الذى هــو أصل من أصول التشريع . والمصلحة المراعاة هنا هى سد ذريعة افتتان الرجال بالنساء بسبب النظر ، ودفع هذه الفتنة دل على اعتباره القول والفعل النبويان كما فى حديث الخثعمية الآتى قريبا ، ولما لم يكن وقوع الافتتان محققا دائما لم يكن ستر الوجه حتما لازما فى كل حال ، بل يجوز للمرأة الكشف عند عـــدم تحققها ، كما فى حديث الخثعمية أيضا على ما سيأتى من البيان .

حديـث الخثعميـة :

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان الفضل ابن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر اهـ . المقصود منه ، رواه مالك والجماعة .

وفى رواية الترمذى من طريق علي كرم الله وجهه قال : واستفتته جارية شابة من خثعم فقالت : أبى شيخ كبير قد أدركته فريضة الله فى الحج أفيجزئ أن أحج عنه قال حجى عن أبيك قال ـ على ـ ولوى عنق الفضل ، فقال العباس يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال : رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما .

ففى قوله صلى الله عليه وسلم لم آمن عليهما الشيطان أن الفتنة لم تقع وانما خاف وقوعها فسد ذريعتها . وفى قوله هذا وفعله دليل على مراعاة الفتنة وسد ذريعتها . وفى عدم أمره للمرأة بستر وجهها دليل على جواز ذلك لها وهذا بناء على أنها كانت مكشوفة الوجه كما هو الظاهر من نظر الفضل اليها ومن خوف الفتنة ، وهو الذى فهمه أكثر الناس ، وان احتمل أن تكون مستورة الوجه بما سدلته من رأسها كما قاله ابن العربى .

تحصيـل :

ستر وجه المرأة مشروع راجح وكشفه عند آمن الفتنة جائز وعند تحققها واجب ، وأمر الفتنة يختلف باختلاف الاعصار والامصار والاشخاص والاحوال فيختلف الحكم باختلاف ذلك ويطبق فى كل بحسبه .

تطبيـــق :

من المسلمين اليوم أقوام ـ معظمهم من غير أهل المدن والقرى ـ ألفوا خروج نسائهم سافرات فلا يلفتن أنظارهم بذلك فهؤلاء لا يطالبن بستر الوجوه مع بقاء حكم غض البصر وحرمة تجديد النظـــر .

ومـــن المسلمين أقوام ـ معظمهم من أهل المدن والقـــرى ـ ألفوا ستر وجوه النساء فكشف المرأة بينهم وجهها يلفت الانظار اليها . ويغرى أهل الفساد بها ويفتح بابا للقيل والقـــال في شأنها وشأن أهلها وعشيرتها . فهؤلاء يجب عليهن ستر وجوههن اتقاء للشر والفتنة والوقيعة في الاعراض .

هذه أحكام عامة لنساء المؤمنين، ولأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ـ أحكام خاصة بهن (1) على أنهن خير القدوة للنساء أجمعين .

تفرقـــة وتحذيـــر :

هنا سفور اسلامي وهو كشف المرأة وجهها ـ دون شعرها وعنقها ـ عند آمن الفتنة ، مع عدم اظهار الزينة ـ غير الوجه والكفين ، وعدم اثارة الفتنة بروائح الطيب وخشخشة الحلى ورنـــين الخلخـــال .

وهنالك سفور افرنجي فيه كشف الشعر والعنق والاطـــراف مع التبرج بالزينة وما اليها فعلينا ـ معشر المسلمين ـ أن نوجه قوتنا كلها الى منع السفور الافرنجي الذى قد طغى على نساء أمراء الشرق المسلمين ووزراته . وأن نحذر كل ما يؤدى اليه وأن نحافظ على الوضعية الاسلامية العفيفة الطاهرة بسفورها

---

(1) وفي الاصل : بهم .

ـ اذا كان سفور على ما فصلنا ـ فى دائرة محدودة ليس فيهـا اثارة ولا اغراء .

تـوصيـــة :

على المربين لأبنائنا وبناتنا أن يعلموهم ويعلموهن هـــذه الحقائق الشرعية ليتزودوا وليتزودن بها وبما يطبعهم ويطبعهن عليه من التربية الاسلامية العالية لميادين الحياة فيكونوا ويكن ـ ان شاء الله تعالى ـ مثال الطهر والعفاف والصون للاجيـال .

حقق الله الآمال ويسّر الصالح من الاعمال ، انه عظيم الفضل كريم النوال (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 13 ـ 1 محرم 1356 هـ ـ 14 مارس 1937 م .

خروج النساء إلى المساجد

(روى مسلم فى صحيحه بسنده عن سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : (سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (لا تمْنَعُوا نساءَكُم المسَاجدَ اذاَ اُستأْذَنَّكُمْ إليَهَا) قال : فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنَعُهُنَّ . قال : فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبًّا سيِّئاً ما سمعتُهُ سبَّه مثلَه قطُّ ، وقال : أخْبِرُك عن رسولِ اللَّه صلى اللهُ عليه وآله وسلم وتقول : واللَّه لنمنَعُهُنَّ) .

* * *

الشـــرح :

قد صح من السنة العملية والسنة القولية خروج النساء الى المساجد وحضورهن مشاهد الخير ، وثبت نهى الرجال عن منعهن من ذلك ، ومنه ما فى هذا الحديث . وعليهن قبل الخروج أن يستأذن الرجال كما هو مقتضى قوله : (إذاَ اُسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا) كما ثبت أيضا نهيهن عن مس الطيب اذا أردن الخروج ، وعليهن أن لا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وأن يضربن بخمرهن على جيوبهن ، وأن يدنين عليهن من جلابيبهن ، وهى ما يجعل فوق الثياب كلها كالملاءة ونحوها ، وأن لا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، فلا يسمع منها خشخشة الحلى ،

ولا رنين الخلخال ، وأن يمشين فى حافات الطريق ، ولا يحاققن الطريق ، أى لا يمشين فى وسطه . وهذه كلها مأخوذة من الآيات والاحاديث فى هذا الباب . ولما سمع بلال بن عبد الله أباه يحدث بهذا الحديث عن رسول الله قابله بالرد وقال والله لنمنعهن ، فغضب أبوه غضبا شديدا وسبه وشتمه سبا سيئا مقابلا لقوله السيء ومقابلته للحديث النبوى بالمعارضة .

نفي تعارض :

ثبت عن عائشة انها قالت لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى اسرائيل ، وهذا لا يعارض ما تقدم لان الذى احدثنه هو الطيب والزينة ، وهو نهى عن منعهن ونهاهن عن مس الطيب عند ارادة الخروج، فلو رأى ما احدثن لمنعهن لاخلالهن بالشرط حتى يلتزمنه ، ولا يمنعهن منعا يكون ابطالا لنهيه الاول عن منعهن .

قدوة :

لما سمع عبد الله بن عمر ابنه بلالا يصارحه بمعارضة السنة ومخالفتها لم يملك نفسه واشتاط غضبا حتى سبه سبا سيئا لم يكن من عادة ابن عمر صدور مثله منه .

وهكذا كل مسلم غيور على الاسلام والكتاب والسنة يسمع من أهل الاسلام التكذيب بهما أو التعدى عليهما أو المعارضة لهما بالرأى والهوى أو تحريفهما عن مواضعهما كذلك،فانه لا يملك نفسه ان يدافع عنهما ، وقد يملكه الغضب لله فيكون منه بعض ما ليس من عادته ان يصدر منه من قول .

تحذيـــر وارشـــاد :

هذا الذى وقع من بلال كثيرا ما يقع مثله أو نحوه من أهل الجهل والبدعة الذين شبوا عليهما وشاخوا حتى صارت البدعة عندهم سنة والسنة بدعة ، فاذا ذكرت لهم الحكم الشرعى بدليله من الكتاب والسنة صدوا ونفروا وأبوا واستكبروا وصارحوا بالمخالفة أو سكتوا وأضمروا الخلاف وما هذا شأن المؤمنين .

فحذار اذا سمعت حكما شرعيا ونصا قرآنيـا أو حديثـا صحيحا نبويا أن تقابل بالخلاف أو تضمر الخلاف ، بل انشرح بذلك صدرا ، ولا يكن فى صدرك من حرج مما قضى اللـــه ورسوله وسلم تسليما (1) .

(1) ش : ج 5 ، م 8 ـ غرة محرم 1351 هـ ـ ماى 1932 م .

تحريم الخلوة بالاجنبية
خصوصا على الاقارب

(اخرج مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إيَّاكم والدخولَ على النِّساء . فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسولَ الله أفرأَيْتَ الحَمْو . قال:الحَمْوُ المـــوتُ) .

* * *

المفـــردات :

الحمو على وزن دلو ، قال الليث بن سعد هو أخ الـزوج وما اشبهه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه ، فالاحماء أقارب الزوج ، والاختان أقارب الزوجة ، والاصهار يقال عليهما .

التـراكيـب :

نصب إياكم على التحذير . أفرأيت : معناه أخبرنى . الحمو الموت:تشبيه بليغ كزيد اسد وفى الموت استعارة تصريحية ، شبه فساد البيوت وخرابها وانحلال روابطها بالموت بجامـــع الهلاك والزوال فى كل . فجاء عليه وآله الصلاة والسلام بهذا التركيب البليغ البالغ للمبالغة فى التحذير والبلوغ الى غاية التأثير .

المعـــنى :

حذر عليه وآله الصلاة والسلام الرجال من الدخول عـلى النساء ـ وكانوا يتساهلون فى الدخول على نساء اقاربهم ـ فسأل هذا الانصارى رضى الله تعالى عنه عن اقارب الزوج ، فاجابه صلى الله عليه وآله وسلم بان الخوف منه أكثر والشر منه اقرب والفتنة به اشد لانه متمكن من الدخول الى بيت أخيه دون انكار عليه فيتوصل الى المرأة ويخلو بها دون كلفة ولا مراقبة ، بخلاف الاجنبي فهو بعيد عن الدار ينكر عليه دخولها ويخشى من مراقبة أهلها ، فاذا كان الاجنبي ممنوعا من الخلوة بالاجنبية فأحرى وأولى قريب زوجها وبين عليه وآله الصلاة والسلام ان الخلوة بالاحماء مؤدية الى الهلاك والفتنة فى الدين والى خراب البيت وفساد الاسرة واضمحلالها .

الاحكـــــام :

حرم الحديث الخلوة بالاجنبيــــة خصوصا على الاقـــارب اما المحرم كزوجة الابن أو زوجة الاب فلا تحرم الخلوة بهـا للمحرمية ، واما الدخول دون خلوة فاذا انتفت الريبة فهو غير ممنــــوع .

العمــــل بالحـــديث :

الناس ـ الا من شاء الله ـ بهذا الحديث جاهلون . وعـن سوء العاقبة التى حذر منها غافلون . وفى الهلاك الديـــنى والعرضى واقعون. فحق على من قرأ هذا الحديث ان يعلمه للناس وينشره فيهم ويحث نفسه واياهم على العمل به والسير عـلى أدبه، ولا يستعظمن ما يراه من جهل، فانه ما جاء الا من قلة نشر العلم فاذا نشر العلم ـ ولو كان في أوله قليلا ـ فانه لا يلبث باذن الله ان يصير كثيرا . « **وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** »[1].

(1) ش : ج 9 ، م 8 ـ غرة جمادى الاولى 1351 هـ ـ سبتمبر 1932 م .

على رسلكما ، انما هي صفية

عن صفيةَ أمّ المؤمنين (أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزُورُه في اعتِكافِهِ في المسجد في العشر الأَواخر من رمضان فتحدثَتْ عنده ساعةً ثم قامت تنقلب،فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقلِبُها حتى اذا بلغتْ بابَ المسجد عند باب أمّ سلَمة مرَّ رجُلاَن من الأنصار فسلَّماَ على رسولِ الله صلى اللّه عليه وآله وسلم فقال لهُما النبي صلى الله عليه وآله وسلم: عَلَى رَسْلِكُماَ إِنَّماَ هِيَ صَفِيَّةُ بنتُ حيي،فقالا سُبحانَ اللهِ يا رسولَ اللّه وكبُرَ عليهما ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:إن الشيطانَ يبلُغُ من الانسان مبلغَ الدم وإني خَشيتُ أن يَقذِفَ في قلوبِكُما شيئاً) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

* * *

الألفـــاظ :

تنقلب : ترجع الى بيتها ، يقلبها : يـــردها ويمشى معها . وما يزال هذا الفعل قلب بمعنى رد مستعملا في اللغة الدارجة بالقاف المعقودة ، على رسلكما : عــلى هينتكما أى مشيتكما ، الهينة التى لا عجلة فيها أى تسرعا . كبر عليهما : عظم وشق، يبلغ مبلغ الدم:يصل حيث يصل . ان يقذف:ان يرمى .

الاشخـــاص :

صفية بنت حيي بن اخطب تزوجها النبي ـ ص ـ سنة سبع من الهجرة سبيت في فتـح خيبـر فأعتقها النبي ـ ص ـ وتزوجها، توفيت في شهر رمضان سنة 50 .

المعـــنى :

كان النبي ـ ص ـ يواظب على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، فجاءته زوجته صفية ليلة تؤانسه وتحادثه ، فلما أرادت الانصراف الى بيتها قام معها النبي صلى الله عليه وآله يؤنسها الى بيتها،كما جـاءت هي اليـه،وبلـغ معهـا بـاب المسجد، فمر بهما رجلان من الأنصار فأسرعا في مشيهما واستحييا لما رأيا رسول الله ـ ص ـ ، فخشي النبي ـ ص ـ عليهما من وسوسة الشيطان المسلط على الانسان بأن يلقى في قلوبهمـا شيئا من وجود امرأة مع النبي ـ ص ـ ، والشيطان يقنـــع بالخطرة يلقيها في قلب المؤمن يؤلمه بها ولو كان صدق إيمانه يرد عنه كيد الشيطان ويدفعه،ويقنع باذاية المؤمن ولو بخطرة السوء تمر بالقلوب تمسه في دينه أو عرضه ، فأراد النبي(ص) أن يسد في وجه الشيطان باب الكيد لذينك الرجلين الصحابيين رضي الله عنهما ويقطع عليه طريق اذايتهما واذايته معهما ، فقال لهما تمهلا ولا تسرعا في مشيتكما وأعلمهما بأنها زوجته صفية . وكان الصحابيان الجليلان لم يقع في قلوبهما شيء ولم يخطر أدنى خاطر منه في بالهما،فاستعظما وكبر عليهما واشتد عليهما أن يظن النبي ـ ص ـ فيهما خطور مثل هذا ببالهما حتى يحتاج الى تعريفهما وهما كانا يريان انفسهما بصدق إيمانهما أبعد ما يكون عن هذا ، فبين لهما النبي ـ ص ـ الداعي الذي دعاه الى تعريفهما بالواقع وهو الخوف عليهما مما قد يكـون

بالغاء الشيطان دون قصد منهما لا شيء هو واقع منهما وبين لهما ما يعرفهما بامكان ذلك وسهولته بما جعل للشيطان من التمكن من القاء الوسواس للانسان وبلوغه منه فى الاحاطة والتمكن مبلغ الـدم .

الأسـوة ـ ولكم فى رسول الله اسوة حسنة :

حماية الاعراض من التهم : كما على المسلم أن يقى عرضه من طعنات الالسن بالسوء عليه أن يقيه من هواجس النفوس به فان الهواجس مبادىء الظنون ، والظنون مطايا الأقوال ، والأقوال سهام نافذة ، وقلما يثبت غرض على كثرة الرمي ، ومن خسر عرضه خسر قيمته وخسر كل شيء ، فلخطر هـذه النهاية لزم الاحتفاظ على العرض من تلك البداية .

فلا ينبغى للمسلم ان يرى حيث تقع فى امره شبهة وتتوجه عليه تهمة ولو كان عند نفسه بريئا ، وعما يرمى به بعيدا . فليس الانسان يعيش فى هذه الدنيا لنفسه بل يعيش لنفسه ولاخوانه ، واذا تعرض للمتهم خسر نفسه وخسره اخوانه وادخل على نفسه البلاء منهم وادخل البلاء عليهم به فكانت مصيبته على الجميع وضرره عائدا على الاسلام وجماعة المسلمين خصوصا اذا كان المرء ممن يقتدى به ويرجع اليه فان زوال الثقة بـه خسارة كبرى وهدم لاركان الدين وتعطيل لانتفاع الناس بالعلم وانتفاعه هو بعلمه ، واذا وقف الانسان موقفا مشروعا وخاف ان تتطرق اليه فى خواطر الناس شبهة كان عليه أن يبـادر للتصريح بحقيقة حاله والتعريف بمشروعية موقفه .

وليس لأحد ، بعد رسول الله ـ ص ـ ، ان يغتر بمنزلته عند الناس فلا يبالى بما قد يخطر لهم . بل ذو المنزلـة احـق

بالتبيين والتصريح لعظيم حاجة الناس الى بقاء ثقتهم به وتوقف استفادتهم منه وقيامه بما ينفعهم على تلك الثقة .

قال الامام ابن دقيق العيد رحمه الله : (فى الحديث دليل على التحرز مما يقع فى الوهم نسبة الانسان اليه مما لا ينبغى . وهذا متأكد فى حق العلماء ومن يقتدى بهم ، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب ظن السوء بهم وان كان لهم فيه مخلص ، لان ذلك سبب الى ابطال الانتفاع بعلمهم) .

مدافعة الشيطان عن القلوب :

علينا ــ وقد علمنا ان الشيطان متمكن من الوسوسة لنا من جميع نواحينا متصلا بنا اتصالا وقريبا منا قربا مثل اتصال وقرب الدم لا يمكننا الانفصال عنه كما لا يمكننا الانفصال عن الدم ــ ان نأخذ جميع الحيطة لرد كيده وابطال تدبيره واحباط وسوسته وذلك بالمبادرة الى الاستعاذة بالله منه بالاستعاذة الثابتة عن النبى ــ ص ــ فى الاحوال المختلفة وبمقابلة كل نوع من وسوسته بما يبطله من ذكر الله ، فاذا جاء من ناحية الايمان بادرنا الى لا اله الا الله ، واذا جاء من ناحية التنزيه بادرنا الى سبحان الله ، واذا جاء من ناحية الانعام بادرنا الى الحمد لله ، واذا جاء من ناحية التخويف من الخلق بادرنا الى الله أكبر ، وهكذا نبادر الى رد ما يوسوس به من كلمات الباطل الى ضدها من كلمات الحق ، وكما على المؤمن ان يدفع ذلك عن قلبه عليه ان يدفعه عن قلب أخيه بمصارحته بما يزيل اساءة الظن به أو حمل شىء عليه أو نفرة من ناحيته أو اشغال لامره ، وان يبين له ما يقصد بذلك من مدافعة الشيطان ورده عن نفسه

وعن أخيه ليكون عونا له على قصده فيرجع الشيطان عنهما مذؤما مدحورا .

وهذه المدافعة للشيطان وحماية القلوب منه من أعظم الجهاد وأوجبه وألزمه بل هي أصل الجهاد كله فانه هو أصل البلاء كله فالسلامة منه هي السلامة من كل سوء ، والتمكن من نيل كل خير والفوز بكل سعادة في الدنيا والآخرة (1) .

(1) ش : ج 2 ، م 10 ـ غرة شوال 1352 هـ ـ جانفي 1934 م .

أحاديث في أغراض مختلفة

1) العلـــم وفضلـــه

1 ــ عن سفيان بن عينية قال سمعت جعفر ابن محمد يقول : « وجدنا علم الناس كله في أربع أولها أن تعرف ربك ، والثاني أن تعرف مـــا صنع بك .. والثالث أن تعرف مـــا أراد منك ، والرابع أن تعرف ما تخرج به من ذنبك » .

ذكره الحافظ أبو عمر عبد البر (1 : 3) . وكل ما ننقله عنه من غير عزو الى كتاب فمن كتابه«جامع بيان العلم وفضله».

2 ــ عن ابن عباس (رض) عن النبـــي (ص) قـــال : « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة » . رواه ابن عبد البـــر (1.22) .

3 ــ عن جابر بن عبد اللـــه (رض) عن النبي (ص) قال : « يبعث الله العالم والعابد ، فيقال للعابد ادخل الجنة ، ويقال للعالم اشفع للناس كما احسنت أدبهم » رواه ابـــن عبد البـــر (1.22) (1) .

4 ــ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لموت ألف عابد قائم الليل صائم النهار اهون مـــن موت العاقل البصير بحلال اللـــه وحرامه . ذكره ابن عبد البر (1.26) .

---

(1) السنة ــ السنة الاولى ، العدد 3 ، 29 ذى الحجة 1351 هـ 24 ابريل 1933 م .

5 ـ قال عمر بن عبد العزيز (ض) من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح . رواه ابن عبد البر بسنده (27.I) .

2) السنة والبدعة

I ـ عن العرباض بن سارية (ض) قال : « وعظنا رسول الله (ص) موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال: أُوصيكُم بتقوَى اللَّهِ والسَّمعِ والطاعةِ وإن تأَمَّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ . وانه من يعشْ منكم فسَيَرَى اختلافاً كثيراً . فعليكُمْ بسنَّتي وسنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِين المهدِيِّينَ . عَضُّوا عليْهَا بالنَّوَاجِذِ ، وإياكم ومُحدَثاتِ الأمورِ فان كلَّ بدْعَةٍ ضَلاَلةٌ » . رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .

2 ـ عن جابر بن عبد الله (ض) قال : « خطب رسول الله (ص) الناسَ فحمِد اللّهَ وأثنَى علَيْهِ ثم قال : إنَّ أفضلَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم . وشرَّ الأمورِ محدثَاتُها ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ» رواه مسلم مطولا ، ورواه مختصرا بهذا اللفظ الحافظ محمد بن وضاح المالكى المتوفى سنة 286 فى كتابه « البدع والنهى عنها » (ص 23) وكل ما ننقله عنه من غير وعز الى كتاب فمنه .

3 ـ عن أبى هريرة (ض) أن رسول الله (ص) قال : « سيكونُ فى أمَّتِي دجَّالُون كذَّابونَ يأتوُنَكُم بِبِدَعٍ مِن الحَديثِ لم تسمعُوا أَنتُم ولاَ آباؤُكُم ، فإيَّاكُم وايَّاهُمْ لاَ يَفْتِنوُنَكُمْ » رواه ابن وضاح (27) واخرجه مسلم فى صحيحه (I) .

السنة : السنة الاولى العدد 5 ، 13 محرم 1352 هـ 8 ماى 1933 م .

3) من أسد الى أسد

روى ابن وضاح عن غير واحد أن أسد بن موسى كتب الى أسد بن الفرات : اعلم أى أخى أنما حملنى على الكتاب اليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من انصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة ، وعيبك لاهل البدعة وكثرة ذكرك لهم ، وطعنك عليهم ، فقمعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم باظهار عيبهم والطعن عليهم فأذلهم الله بذلك وصاروا ببدعتهم مستترين .

فأبشر أى أخى بثواب ذلك وأعتد به أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد وأين تقع هذه الاعمال من اقامة كتاب الله واحياء سنة رسوله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احيا شيئا من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » وضم بين اصبعيه .

وقال : « ايما داع دعا الى هذا فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه الى يوم القيامة » فمن يدرك أجر هذا بشيء من عمله ؟

وذكر أيضا أن لله عند كل بدعة كيد بها الاسلام وليا لله يذب عنها وينطق بعلاماتها .

فاغتنم يا أخى هذا الفضل وكن من أهله فان النبى صلى الله عليه وسلم ، قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن وأوصاه وقال : لأَنْ يهديَ اللّهُ بكَ رجُلاً خيرٌ لكَ من كذا وكذا ــ واعظم القول فيه ــ فاغتنم ذلك وادع الى السنة حتى يكون لك فى ذلك الفة وجماعة يقومون مقامك ان حدث بك حادث ، فيكونون ائمة بعدك فيكون ذلك ثواب لك الى يوم القيامة كما جاء الاثر .

فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فرد الله لك المبتدع المفتون الزائغ الحائر فتكون خلفا من نبيك صلى الله عليه وسلم فانك

لن تلقى الله بعمل يشبهه واياك ان يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب فانه جاء الاثر (من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل الى نفسه ومن مشى الى صاحب بدعة مشى فى هدم الاسلام) . وجاء « ما من اله يعبد من دون الله أبغض الى الله من صاحب هوى » . وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعا وكلما ازدادوا اجتهادا وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا ، فارفض مجالسهم واذلهم وابعدهم كما ابعدهم الله واذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وائمة الهدى بعده » .

هذا مثال من رسائل الاوائل يريك عناية السلف بالسنة والذب عنها ، وبغضهم للبدعة ومحاربتهم لاهلها،ومن عرف مقام الاسدين المخاطِب والمخاطَب عرف مكانة تلك الرسالة .

فالمخاطِب (بالكسر) هو أسد بن موسى بن ابراهيم ابن الخليفة الوليد بن عبد المالك بن مروان . كان ثقة حافظا يلقب بأسد السنة . استشهد به البخارى واحتج به أبو داود والنسائى .

وذكر الحافظ الذهبى فى الميزان أنه لا يعلم به بأسا وأن ابن حزم الظاهرى ضعفه وتضعيفه مردود ـ وكانت وفاته سنة 212 .

والمخاطَب (بالفتح) هو أسد بن الفرات بن سنان ، تفقه بأصحاب مالك ، ثم ارتحل فسمع من مالك موطأه وغيره وأخذ عن أصحاب أبى حنيفة . قال فى الديباج : « وكان ثقة لم يزن ببدعة » وتوفى غازيا بصقلية سنة 213 (1) .

---

(1) السنة ـ السنة الاولى العدد 7 ، محرم 1352 هـ ، ماى 1933 م .

4) العلـــمُ وتعلُّمُـــه :

1 ـ عن أبي الاحوص قال قال عبد الله : « ان الرجل لا يولد عالما . وانما العلم بالتعلم » رواه ابن عبد البر (1001) .

2 ـ عن عبد الله بن عباس (ض) قال قال رسول الله (ص): « من جاءَه أجلُه وهو يطلبُ علماً ليحيِي به الاسلامَ لم تفضلْـه النبيُّون الا بدَرَجَة ». رواه ابن عبد البر)1 : 90 (وروى نحوه من مرسل الحسن وسعيد بن المسيب (1٠46) .

3 ـ عن ابن عباس (ض) قال : « لما قبض رسول الله (ص) وأنا شاب قلت لشاب من الانصار يا فلان هلم فلنسأل أصحاب رسول الله (ص) ولنتعلم منهم فانهم كثير . قال العجب لك يا ابن عباس ! أترى الناس يحتاجون اليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول اللـه (ص) ، قال فتركت ذلك وأقبلت على المسألة ، وتتبع أصحاب رسول الله (ص) فان كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله (ص) فأجده قائلا ، فأتوَسَّد ردائي على بابه ، تسفي الريح على وجهي حتى يخرج فاذا خرج قال : يا ابن عم رسول الله (ص) مالك ؟ فأقول بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله (ص) فأحببت أن أسمعه منك . قال فيقول فهل بعثت الي حتى آتيك فأقول أنا أحق أن آتيـك ؟

فكان الرجل بعد ذلك يراني وقد ذهب أصحاب رسول الله (ص) ، واحتاج النـاس الى فيقول كنت أعقـل منـي . رواه ابن عبد البر (1 : 85 ـ 86) .

(السنة):ان هذا الخبر لجليل وانه ليشتمل على فوائد تنبـه القارىء الى اثنتين منها خشية أن يتنبه لهما .

أولاهما حسن أدب آل رسول الله صلى الله عليه وعليهم وسلم مع العلم وأهله وعدم اعتزازهم بشرفهم واغترارهم بقرابتهم القريبة المحققة .

ثانيهما سعي ابن عباس في العلم ذلك السعي وهو الذي روى عنه البخاري في صحيحه أنه قال : « ضمني النبي (ص) الى صدره وقال اللهم علمه الحكمة » فلم يتكل على دعاء رسول الله (ص) وهو يؤمن بقبوله لانه يفهم أن الدعاء بالشيء دعاء بتيسير أسبابه فالدعاء لا ينافي تعاطي الاسباب . بل من الداعي أو المدعو له أن لا يهمل الاسباب اكتفاء بالدعاء .

5) العلم وتعليمه

1 ــ عن أبي حنيفة عن حماد عن ابراهيم قال : « بلغني أنه اذا كان يوم القيامة توضع حسناتُ الرجلِ في كفةٍ وسيآتُه في الكفة الأخرى . فتشيلُ حسناته . فاذا أيس وظنَّ أنها النار جاء شيء مثل السحاب حتى يقع في حسناته . فتشيل سيآته . قال فيقال له أتعرف هذا من عملك ؟ فيقول لا . فيقال هذا ما علّمت الناس من الخير فعمل به من بعدك » .

رواه ابن عبد البر (1 : 46) وحماد هو ابن أبي سليمان وابراهيم هو النخعي .

2 ــ عن معاذ بن جبل (ض) مرفوعا وموقوفا : « تعلموا العلم فان تعليمَه لله خشيةٌ . وطلبَه عبادةٌ . ومذاكرتَه تسبيحٌ . والبحثَ عنه جهادٌ . وتعليمَه لمن لا يعلمه صدقةٌ . وبذلَه لأهله قربةٌ . لانه معالم الحلال والحرام . ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الانس في الوحشة . والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة . والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الاعداء ، والزين

عند الاخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأيمة تقتص آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى الى رأيهم ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه .

« لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الابصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الاخيار والدرجات العلا فى الدنيا والآخرة .

« التفكر فيه يعدل الصيام . ومدارسته تعدل القيام . به توصل الارحام . وبه يعرف الحلال من الحرام .

« هو امام العمل . والعمل تابعه ، ويلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء » . رواه ابن عبد البر (1-54-55) .

3 ــ عن كعب قال : « أوحى الله الى موسى (ص) تعلم الخير ، وعلمه الناس ، فانى منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم » . رواه ابن عبد البر (1 ــ 61) .

6) العلم وتعليمه بالمساجد :

1 ــ أواخر كتاب العلم :

« باب ذكر العلم والفتيا فى المسجد » .

2 ــ عن على الازدى ، قال : « سألت ابن عباس عن الجهاد ، فقال ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد ؟ تبنى مسجدا تعلم فيه القرآن وسنن النبى (ص) والفقه فى الدين » . رواه ابن عبد البر (1 : 62) وروى نحوه (1 : 31) .

3 ــ عن أبى بكر بن عبد الرحمن أنه كان يقول : « من غدا أوراح الى المسجد لا يريد غيره ليتعلم خبرا أو ليعلمه ، ثم رجع

الى بيته كان كالمجاهد فى سبيل الله رجع غانما » . رواه مالك فى الموطأ (١ : 34 ، ط مصر ١248) .

7) العلـم واحترام أهلـه :

١ ـ عن أبى الحسن المدائنى قال : « خطب زياد ذات يوم على منبر الكوفة ، فقال : أيهـا الناس،انى بـت ليلتى هذه مهتما بخلال ثلاث ، رأيت أن أتقدم اليكم فيهن بالنصيحة : « رأيت اعظام ذوى الشرف واجلال ذوى العلم وتوقير ذوى الاسنان ، والله لا أوتى برجل رد على ذى شرف ليضع بذلك منه الا عاقبته ولا أوتى برجل رد على ذى شيبة ليضعه بذلك الا عاقبته ، انما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوى أسنانهم » .

رواه ابن عبد البر (١ : 53) .

2 ـ عن الشعبى قال : « صلى زيد بن ثابت (ض) على جنازة ، ثم قربت له بغلة ليركبها ، فجاء ابن عباس (ض) فأخذ بركابه ، فقال له زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله (ص) فقال ابن عباس هكذا يفعل بالعلماء والكبراء » .

رواه ابن عبد البر (١ : ١28) .

3 ـ روى عن النبى (ص) أنـه قال : « ارحموا مـن الناس ثلاثة . عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر ، وعالما بين جهال » .

ذكره ابن عبد البر (١ : ١3١) (١) .

8) شكوى علماء الدين من الارذال المفسدين

روى ابن عبد البر فى (جامع بيان العلم وفضله) عن الحسن البصرى أحد كبار علماء التابعين أنه قال : (اللهم اليك نشكو

السنة الاولى . العدد 7 : محرم 1352 هـ ، ماى 1933 م .

هذا الغثاء الذى كنا نحدث عنه ، ان أجبناهم لم يفقهوا ، وان سكتنا عنهم وكلناهم الى عيى شديد . والله لولا ما أخذ الله على العلماء فى علمهم ما أنبأناهم بشىء أبدا) (١ : 6) .

تعليـــق :

الغثاء فى الاصل ما يخالط زبد السيل من أعشاب وأوراق ، والمراد به هنا أراذل الناس وسقطهم .

وقد أفاد الاثر أولا : أن علماء الدين المرشدين كانوا مـــن قديم الزمان يعانون متاعب فى الارشاد ، ويتحملون اذايـــات المفسدين ، ويتلقون اعتراضات من أدعياء العلم المفتونين .

وثانيـــا : أن تلك المتاعب والاذايات والاعتراضات لا تسقط عن العالم فريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا تنجيه من تبعة الكتمان الثابتة بقوله تعالى : « **إِنَّ ٱلَّذِيـنَ يَكْتُمُـونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَابِ أُوْلَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّاعِنُونَ** » وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (من سُئل علماً عَلمه فكتَمَهُ جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار) رواه ابن عبد الله فى الجامع وأبو داود والترمذى وابن حبان والحاكم والبيهقى وغيرهم بروايات متحدة المعـــنى متقاربة الالفاظ .

وثالثـــا : أن العلم أمانة عند العلماء ، وهم مكلفون بأدائها لمستحقيها ، وليس العلم ملكا لهم يستغلونه فيكتمونه ان رأوا الكتمان أوفق بمصالحهم الشخصية وينشرون منه ما لا يصادم أهواء العامة ، بل يزيدهم جاها لديهم . ولا ابخس صفقة ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة .

9) حكـم طلـب العلـم :

روى ابن عبد البر في جامعه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (اُطلُبُوا العلـمَ ولو بِالصِّينِ ، فانّ طلبَ العلمِ فَريضةٌ على كلِّ مُسْلِمٍ) (١ : 7) .

تعليـق :

أفاد الحديث أمرين : أحدهما وجوب طلب العلم ، وثانيهما عدم اعتبار المشقة في طلبه مانعا من وجوبه ، بلغت المشقـة ما بلغت . والحديث رواه ابن عبد البر من طرق متعددة ثـم قال : (... في أسانيده مقال لاهل العلم بالنقل ، ولكن معناه صحيح عندهم وان كانوا قد اختلفوا فيه اختلافا متقاربا) .

ومثار الخلاف الذي أشار اليه ابن عبد البر ما في لفظـة العلم من الاجمال ، فان المراد من العلم العلم الديني قطعا ، لكن مسائل الدين منها ما هو فرض ومنها ما هو غير فرض ، ومنهـا ما هو فرض عيني ومنها ما هو فرض كفائي .

وقد أورد ابن عبد البر أقوال الائمة في معنى الحديث ، فروى عن اسحاق بن راهويه أنه قال : (معناه أنه يلزمه طلب علم ما يحتاج اليه من وضوئه وصلاته وزكاته ان كان له مال وكذلك الحج وغيره ، وما وجب عليه من ذلك لم يستأذن أبويه في الخروج اليه وما كان فضيلة لم يخرج اليـه حتى يستأذ ابويـه) .

وروى عن مالك أنه سئل عن طلب العلم أهو فريضة عـلى الناس ؟ فقال : لا ، ولكن يطلب من المرء ما ينتفع به في دينه . وروى عن ابن المبارك أنه سئل عن معنى هذا الحديث فقـال : فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنـه حتى

يعلمــه . وروى عن ابن عيينة أنه قال : فريضة على جماعتهم ويجزىء فيه بعضهم عن بعض وتلا هذه الآية : « **فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** » . ثم أورد ابن عبد البر جملة من المسائل الواجبة وجوبا عينيا ، وجملة من الواجبات الكفائية ونحن لا نــرى لزوما للتفصيل فانه يلوح من كلام الائمة المتقدم أن طلب العلم على وجهين : أحدهما الاشتغال بتحصيل مسائله والانقطاع الى تعلم قواعده . وهذا هو الواجب كفاية . وثانيهما السؤال عن حكم ما نزل به من أمر دينه واستفتاء أهل العلم فيه ، وهــذا واجب عينا فاحفظ هذا الضابط واعتبر به مسائل دينك يسهل عليك الفرق بين ما هو واجب على عموم المسلمين يسقط عنهم بوجود عالم بينهم ، وما هو واجب عليك فى خاصة نفسك لا تبرأ منه ذمتك الا بمعرفته (1) .

10) براءةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممَّن غيَّرَ دينَه :

روى مالك في الموطأ ، وروى غيره أيضا عن أبي هريــرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج الى المقبرة فقال : (السلامُ عليكُمْ دارَ قومٍ مُؤمنِينَ ، وإنَّا ان شاء اللهُ بكُم لاحقُونَ ، وددتُ أني قــد رأيتُ إخوانَنَا) . فقالوا : يا رسول الله ألسنا بإخوانك ؟ قــال (كــلَّا ، أنتُم أصحَابى ، وإخوانُنَا الذينَ لم يأتوا بَعْدُ ، وأنا فرطهــم عــلى الحوض) . فقالوا : يا رسول الله ، كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ؟ قال : (أرأيتَ لو كان لرجل خيلٌ غرٌّ محجَّلةٌ فى خيل دهم بهم ألا يعرف خيلَه ؟) قالوا بلى يا رســول الله . قال : فانهم (يأتون يوم القيامة غُرًّا محجَّلين من أثَرِ الوضوء ، وأنــا

(1) الصراط ـ السنة الاولى العدد 12 ، شعبان 1352 هـ ديسمبر 1933 م .

فرطهم على الحوض . فليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم ، ألا هلم ، ألا هلم . فيقـال : انهـم قد بدّلوا بعدك . فأقول : ـ فسحقا ، فسحقا ، فسحقا) .

* * *

تعليـــق :

قد أتينا هذه المرة بحديث فيه طول . ولكن ما فيه من الفوائد نعتقد أنه يكون حافزا للقارىء الى حفظه . وليس حفظ الحديث الجليل بكثير على همة المستفيدين وفوائد هذا الحديث :

أولاها : جواز زيارة القبور ، غير أن الجواز مقيد بكونها على الصفة التي وقعت من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ . وصفة الزيارة فى هذا الحديث مركبة من ثلاثة أشياء :

أحدها حق الدعاء للموتى .

ثانيها الاعتبار بحالهم .

ثالثها دعاء الزائر لنفسه بحسن الخاتمة .

الاول مستفاد من جملة السلام عليكم. والثاني مستفاد من جملة وانا بكم لاحقون . والثالث مستفاد من جملة ان شاء اللـه . فقد قال أبو القاسم الجوهرى : معناه (لا نبدل ولا نغير ، نموت على ما متم عليه ان شاء الله تعالى) نقله الباجى فى شرح الموطأ.

الفائدة الثانية : تسميته ـ صلى الله عليه وآله وسلـم ـ لمن لم يره من أمته باخوانه ، فنحن من اخوانه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكفى بهذه النسبة شرفا ، فما على المسلم الا أن يعمل بسنة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى تتحقق فيه هذه النسبة، وليس من الادب ولا من الايمان أن يستضعف المسلم

هذه النسبة ويحاول تقويتها بنسبة أخرى الى شخص آخر ككونه خونى فلان أو حبيبه أو درويشه .

وعدم تسميته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لاصحابه بالاخوان يدل على فضل الصحبة وأن لها مزية زائدة على مطلق الاخوة ، وهذا لا خلاف فيه .

الفائدة الثالثة : عنايته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأمته فى الآخرة ، كما كان حريصا على هدايتهم فى الدنيا ، يدل على هذه العناية قوله : (وأنا فرطهم على الحوض) قال الباجى فى شرحه : يريد أن يتقدمهم اليه ويجدونه عنده . رواه ابن حبيب عن مالك . يقال فرطت القوم اذا تقدمتهم لترتاد لهم الماء وتهيىء لهم الماء والرشاء .

الفائدة الرابعة : ان عنايته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأمته فى الآخرة خاصة بالثابتين على سنته منهم ، فأما المبتدعون الذين بدلوا سنته وأحلوا محلها بدعتهم فانه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يبعدهم عنه بقوله : (فسحقا ، فسحقا ، فسحقا) .

ثم هذا الابعاد معناه الحرمان من ماء الحوض فى وقت شدة الحاجة اليه ، فان كان الابتداع والتبديل بالمروق من الدين فالابعاد حرمان من الشفاعة أيضا ، ويبقى ذلك المبتدع مخلدا فى النار ، وان كان الابتداع لا يخرج من الدين ، فالابعاد عن الحوض لا يمنع المبتدع أن تناله الشفاعة ، غير أن فى الابعاد عن الحوض عذابا بالظما وخزيا بالطرد . نسأل الله أن يحيينا على سنة رسوله الكريم ، وأن لا يحرمنا من ماء حوضه العذب ولا من شفاعته المرجوة (1) .

---

(1) الصراط : السنة الاولى العدد 13 ، شعبان 1352 هـ ديسمبر 1933 م .

11) الترغيب فى الذكـــر :

قال الحسن البصرى وأبو العالية والسدى والربيع بن أنس : « ان اللــه يذكر مـــن ذكره ، ويشكر مـــن شكره ، ويعذب من كفره » . نقله الحافظ ابن كثير فى تفسيره : (I : 360) .

* * *

تعليـــق :

الاحاديث والآثار فى فضـــل الذكر والترغيب فيه كثـــيرة ، وليس فيها ـ على كثرتها ـ ما يدل على احتياج الذاكر الى اذن فى ذكره من غيره ، وليس فيها ـ على كثرتها ـ ما يدل على أن اللــه قد نصب بعض عباده لاعطاء الاذن فى ذكره لمن يريده .

فاذكروا الله أيها المؤمنون ، ولا تتخذوا وسطاء بينكم وبين الله فى الاذن بالذكر ولا فى قبوله ، وما أصدق قول الناس : « باب الله ما عليه بواب » .

12) ما هو الذكر ؟ ومن هو الذاكر ؟

عن خالد بن أبى عمران قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلــه وسلم : « من أطاع اللـــه فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن . ومن عصى الله فقد نسى اللـــه وان كثرت صـــلاته وصيامه وتلاوتـــه القـــرآن » . اخرجه سعيـــد ابن منصور وابن المنذر والبيهقى فى شعب الايمان ، نقل ذلك السيوطى فى الدر المنثور (I : 149) .

وعن سعيد بن جبير أنه قال ـ فى جواب مسائل سأله عنها عبد الملك ابن مروان ـ : « وتسأل عن الذكر ، فالذكر طاعة اللـــه ، فمن أطاع الله فقد ذكر الله ، ومن لم يطعه فليس بذاكر وان أكثر

التسبيح وتلاوة القرآن » . ونقله ابن غيلان فى شرحه على حلية الابرار للنووى (I : I5) .

تعليـــق :

قــد جمعنا بين الحديث المرفوع والاثر الموقوف على سعيــد ابن جبــير مــن كبــار علماء التابعين لاتحادهما فى المعــنى وورودهما على غرض واحــد ، وقدمنا الحديث لانــه الاصل ، وأخرنا الاثر لانه الفرع الشاهد المقوى لسند ذلك الحديث ..

وقوله فى الحديث : وان قلت صلاته ... الخ . يريد صلاة التطوع وصيام التطوع . أما من قلت صلاته الواجبة أو صيامه الفرض فانه عاص لا يوصف بالطاعة .

وبهذا الحديث وذلك الاثر تعلم المراد من الآيات الآمرة بالذكر كقوله تعالى: «فاذكرونى اذكركم» وقوله : «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا » فليس المراد من الذكر فى أمثال هاتين الآيتين خصوصا الذكر اللسانى ، بل المراد الطاعة بجميع أنواعها من صــلاة وصيام وصدقة ونصيحة وتلاوة القرآن وتسبيح وتحميــد وتهليل وغير ذلك ، فان المطيع انما أطاع الله لكونه ذكره بقلبه أو بلسانه .

وغرضنا مــن تقديم هذين الحديث والاثــر الى القــراء أن يعلموا أولا : أن معنى الذكر أوسع مما يتخيلون ، وأن بعض من يعدونهم من العباد فى غير الذاكرين هم فى عرف الشرع من الذاكرين .

وأن يعلموا ثانيا : أن ما عليه كثير من العوام من الاعتماد على السبح (I) دون الطاعة هــو غرور فى غــرور ، وان كثيرا

(I) كذا فى الاصل . ولعل الصواب : التسبيح .

ممن يعد نفسه ويعده الناس من الذاكرين هو في عرف الشرع من الغافلين .

فيـا أيها المسلمون تثبتوا فى الحقائـق الشرعية واطلبوا تفسيرها من صاحب الشريعة أو ممن قرب زمنـه من زمنـه ، ولا تعتمدوا فى فهـم حقائق دينكم على عرفكم وعادتكم ، فان الجهل بالسنة وخروج أمر العامة من يد العاملين بها مما ابتليت به الامة الاسلامية قديما .

13) هل ينفع الذكر مع تعدى حدود الله ؟

عن أبى هند الدارىعن النبى (صلىالله عليه وآله وسلم) قال: « قال الله : **أذكرونى بطاعتى أَذكُرْكم بمغفرتى ، فمن ذكرنى وهو مطيعٌ فحق علي أن أذكرَه بمغفرتِي ، ومن ذكرَنِي وهو لى عاصٍ فحق علي أن أذكرَه بمقت** » . أخرجه الديلمى وابن عساكر ونقله السيوطى فى الدر المنثور (1 : 148) .

وعن ابن عمر ــ رضى الله عنه ــ أنه قيل له : أرأيت قاتل النفس وشارب الخمـر والزانى يـذكر اللـه وقد قال اللـه : « **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** » ؟ (اذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت) . أخرجه عبد الله بن حميد وابن أبى حاتم نقله فى الدر المنثور (1 : 149) .

تعليـــق :

ان فى ذلك الحديث وهذا الاثر لذكرى لقوم يؤمنون ، كثيرا ما يعظ المسلم أخـاه وينكر عليه تكاسله فى الواجبات ونشاطه فى المنهيات فيجيبه بقوله : ان الله غفور رحيم ، أو نحن أخذنا

الورد عن سيدى فلان ، وقد ضمن لمن يذكر ورده الجنة ، فليعلم المسلمون أن ذكر الله على هاته الصفة ونحوها مما يوجب مقت الله ولعنته . أيها المسلمون من وعظ منكم فليتعظ ، ومن نهي عن منكر فلينته ، ومن أمر بمعروف فليأتمر « **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** » (1) .

14) الحث على تعلّم القرآن :

عن عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : (خَيْرُكُم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وعَلَّمَهُ) . أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن .

تعليق :

قد تقاصرت همم المسلمين فى هذه المدة الاخيرة عن تعليم القرآن وتعلمه ، فقل الحافظون له ، فعلى كل من نصب نفسه لارشاد المسلمين فى دينهم أن يحثهم على العناية بحفظ كتاب ربهم ، وعلى الكتّاب أن يطرقوا هذا الموضوع الكثير النواحى. هذا يأتيه من ناحية فضيلة القرآن ، وذلك من ناحية اختيار المعلمين وما هى الصفات المطلوبة فيهم ، والآخر من ناحية أسلوب التعليم وما هو الاقرب الى التحصيل من أى الاساليب ، ورابع من ناحية تحسين حال المعلمين وتوفير أجرتهم ، وكل من هذه النواحى يلزم أن تتعدد فيها الكتابة حتى تحدث تأثيرا فى المجتمع وتكون رأيا عاما فى الموضوع . وحسبنا فى هذا الباب باب الآثار والاخبار ما أرشدنا اليه . والحديث صريح فى فضل من جمع بين تعلم القرآن وتعليمه لغيره وأنه خير من غيره ، وانما ثبتت له هذه المزية لان المراد من متعلمه من حفظه وفهمه وعمل

---

(1) الصراط : السنة الاولى العدد 14 ، رمضان 1352 هـ ديسمبر 1933 م .

بــه ، والمراد من معلمه من يلقنه غيره ويفسره له ويرشده الى العمل به . واذا كان هذا النوع الممدوح فى الحديث المفضل على غــيره بشهادة الصادق المصدق مفقــودا مــن بيننا أو كالمفقود فالواجب علينا السعى فى تكوينه ، ولهذا دعــونا الكتــاب الى العناية بهذا الموضوع .

قال الحافظ ابن حجر فى بيــان وجــه خيرية معلــم القرآن ومتعلمه : « ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره ، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى ، ولهذا كان أفضل ، وهو من جملة من عنى سبحانه وتعــالى بقولــه : « **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** » . والدعا الى اللــه يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن ، وهذا أشرف الجميع » . هذا كلام ابن حجر ، ثم أفاد أن ليس المراد بهذا الحديث من كان قارئا أو مقرئا محضا لا يفهم شيئا من معانى ما يقرأه أو يقرئه .

15) الاعتصــــام بكتــاب اللــه :

عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يقول : « أتانى جبريل فقال يا محمد أمتك مختلفة بعدك ، قال : فقلت لــه : فأين المخرج يا جبريل ؟ قال : فقال : فى كتاب الله ، به يقصم اللــه كل جبار ، من اعتصم به نجــا ، ومن تركه هلك (مرتين) قول فصل ، وليس بالهزل ، لا تخلقه الالسن، ولا تفنى عجائبه، فيه نبــأ من كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما هــو كائن بعدكم » . أخرجه الامام أحمد ، نقله الحافظ ابن كثــير أوائل كتابه فضائل القرآن الذى ختم به تفسيره .

تعليـــق :

صدق رسول اللــه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقد وقع الاختلاف ، وقد دعونا الناس الى المخرج ، وهو كتاب الله ، وسنة رسوله المبينة له ، فقال المعاندون ما قالوا ، الا مـن كان يؤمن بأن محمدا رسول الله فليمتثل ارشاده ، وقد أرشدنا الى المخرج من هذا الاختلاف ، فلنعمل بارشاده ، وهدانا الى طريق الحـق عند الالتباس فلنهتد . وقد وصف اللــه كتابه بقوله : « **هُـدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** » . فهــو هدى بين واضح ، لا يلتبس على مريد الحق التماس الهدى منه. واذا كانت طباعنا العربية وسلائقنا في فهم لسان العرب قد حالت وفسدت وصعب علينا أو تعذر فهم كلام ربنا ، فان في تعلم اللغة العربية وعلومها ما يجعل لنا سلائق مكتسبة ، وان فيما كتبه أئمة التفسير قبلنا ما يجبر نقص السليقة الكسبية عن السليقة الفطرية .

وقد أوصل الجهل بكتاب الله بعض أدعياء العلم الى أن جعلوا الدعوة الى تـوحيد اللــه ونبذ ضروب الشرك طريقة خاصـة بابن تيمية على معنى أنها بـدعة حصلت بعد انعقاد الاجماع ، فمن سلك هذه الطريقة فقد عرض دينه للخطر، ولو نظروا في كتاب الله وتأملوه لوجدوا جـل آياته دعوة الى التوحيد ونبذ الشرك .

واذا ذكرت لهم هذا قالــوا : تلك آيـات نزلت في مشركي مكة ، فكيف تطبقونها على من يشهد الشهادتين ؟ وهذا نوع آخر من جهالاتهم وتلبيس ابليس عليهم . فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقد قال الله تعالى: «**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** » . قال المفسرون : معناه من بلغه القرآن ، فتخصيص انذاره بمشركي مكة تعطيل للقرآن . قال الغزالي في الاحياء : « وينبغي للتالي أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في

القرآن ، فان سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهى والمأمور ، وكذا ان سمع وعدا أو وعيدا ، وكذا ما يقف عليه من القصص فالمقصود به الاعتبار . قال تعالى : « وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ » . وقال تعالى : « هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ » . وقال : « وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » قال محمد بن كعب القرظى : « من كلمه القرآن فكأنما كلمه الله عز وجل » اهـ كلام الغزالى (1) .

16) مدح العامل بالقرآن

عن أبى موسى الاشعرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « المؤمنُ الذِى يقرأُ القرْآن ويعملُ به كالأُترجة طعمُها طيبٌ وريحُها طيبٌ . والمؤمنُ الذى لا يقرأُ القرآنَ ويعملُ به كالتَّمرة طعمُها طيبٌ ولا ريحَ لها . ومثل المنافق الذى يقرأُ القرآن كالريْحانة ريحُها طيّبٌ وطعمها مرٌّ . ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كالحنظَلَة طعمُها مرٌّ وريحها مرٌّ » . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

* * *

تعليــــق :

جعل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طيب الطعم دائرا مع العمل ، وجعل طيب الرائحة صفة للتلاوة . والمجدى على المرء هو عمله . أما التلاوة وحدها فانها لا تجدى . فالمنافق يتلو القرآن ولكنه فى الدرك الاسفل من النار .

وقد دل الحديث على أن العمل بالقرآن درجتين (1) أعلاهما الجمع بين التلاوة والعمل . ودل على أن لمخالفة أوامره ونواهيه

---

(1) الصراط : السنة الاولى العدد 15 ، رمضان 1352 هـ ديسمبر 1933 م .
(1) كذا فى الاصل : والصواب (درجتان) .

دركتين أدناهما الجمع بين الاعراض عن حفظه والاضراب عما دعا اليه .

والعمل بالقرآن يقتضي فهم معانيه، وكذلك كان المخاطبون بهذا الحديث، فان القرآن بلغتهم نزل. ولهذا لم يقل في الحديث: «المؤمن الذى يقرأ القرآن ويفهمه ويعمل به » . لأن ذكر الفهم لأولئك المخاطبين حشو ، تتحاشى عنـه البلاغة النبوية فيا أيها القراء المؤمنون تطلبوا معاني ما تقرأون ، واعملوا بما تفهمون ، كي تكونوا أترجة ، ويا أيها المؤمنون الاميون ، اسألوا أهل الذكر والعلم بكتاب ربكم وتحروا العمل بما دعاكم اليـه كي تكونوا تمرة . وقـد دلت مقابلة القارىء العامل بالقارىء المنافق على تسمية من يخالف ما يقرأه منافقا ، والمنافقون في الدرك الاسفل من النار وهم أخس صنوف الكفار . ولكنا نجد من الناس من لا يختلف في ايمانه ثم هو يخالف ما يقرأه . وقد قال العلماء : ان هذا النوع من المؤمنين يسمى نفاقهم نفاق عمل لا نفاق كفر، ويسمون منافقين مجازا لان فيهم خصلة من خصالهم وهى المخالفة للاوامر . فالقارىء ان لم يعمل بما يقرأه فهو منافق حقيقة أو مجازا . أعاذنا الله واياكم من النفاق حقيقته ومجازه وجعلنا ممن يتلو كتابه عالما بمعانيه عاملا بما يفهمه منه .

17) ذم المُبَاهي والمتعيّش بالقرآن :

عن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « تعلموا القرآن واسألوا الله به قبل ان يتعلمه قوم يسألون بـه الدنيا . فان القرآن يتعلمه ثلاثة نفر : رجل يباهي به ، ورجل يستأكل به ، ورجل يقرأه لله » رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ، وصححه الحاكم ، نقلـه الحافظ فى فتح البارىء (9 : 82) .

* * *

تعليـــق :

حديث أبى سعيد أخرجه الامــام أحمد بلفظ آخــر ، وفى آخره : « ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ومنافق وفاجر » . وفسر الراوى عــن أبى سعيد الفاجر بمن يتآكل بالقرآن . فقوله فى رواية أبى عبيد : (ورجل يستآكل به) بمعنى الفاجــر فى رواية الامام أحمد . ويكون حينئذ قوله فى رواية أبى عبيد (رجل يباهى به) بمعنى قوله فى الرواية الاخرى : (ومنافق) .

وقد دل الحديث على ذم المباهى بتلاوته . وكثيرا مــا يقصد قراء زماننا المباهاة بأصواتهم والفخر بحفظهم ، ولا سيما اذا كانوا يتلون مجتمعين بصوت واحد ، فليحذر من يجد هذا مــن نفسه وليعلم أن كتاب الله هداية تخشع لها القلوب ، وتستسلم الجوارح . ودل أيضا على ذم المسترزق بالقــرآن ، وكثير مــن قراء زماننا لا يقصدون من حفظه الا التوسل به للتلاوة عــلى الموتى بأجرة ونحو ذلك من الاغراض الدنيوية المحضة .

ولا يتناول هذا الذم من يأخذ الاجرة على تعليم القرآن اذا كانت فى مقابلة تعبه ، وشغل وقته ، ولم يتخذ تعليمه صناعة مــن الصناعات المادية المحضة ، بــل على هذا المعلم ـــ ان أراد السلامة من ذلك الذم ـــ أن يكون هو نفسه عاملا بكتاب اللــه ، وأن يقصد من تعليمه الدعوة الى العمل به .

18) الغاية من قراءة القرآن :

عن ابن مسعود ـــ رضى الله عنه ـــ أنه كان يقول :

(أنزل عليهم القرآن ليعملوا به،فاتخذوا درسه عملا. ان أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته الى خاتمته ، ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به) .

نقله الثعالبى فى تفسيره (١ : 9) .

* * *

تعليـــق :

ذم ابن مسعود من اتخذ تلاوة القرآن عملا . فكيف حال من آجر نفسه للتلاوة ، وباع عمله ذلك ؟

وللفقهاء خلاف فى حصول الاجر الى يقرأ القرآن من غير فهم ولا تأمل . وهذا اذا قصد التالي بتلاوته وجه الله تعالى ، لان الاخلاص شرط شرعى لترتيب الشوارب الاخروى ، فهل هذا الذى يتلو القرآن من غير فهم يأجرة . مخلص لله فى تلاوته حتى يختلف في اثابته على التلاوة؟ وقد فتحنا بابا للبحث فى موضوع « الفداوي » واللبيب يكفيه ما اقتصرنا عليه (1) .

19) معـــى الليلـــة القـــدر

قال الشوكانى :

« قيـــل سميـــت ليلـــة القـــدر ، لان اللـــه سبحـــانه وتعـــالى يقدر فيها ما شاء من أميره الى السنة القابلة ، وقيـــل : لعظيم قدرها وشرفها ، وليل : لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا . وقال الخيل : لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعـــالى :

« وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ـ أى ضيق»

تفسير الشوكانى (5 : 469) .

تعليـــق :

هذا كلام الشوكانى حذفنا منه كلمات قليلة لا تؤثر فى فهم الـــرأى ، والاقوال الثلاثة ، الاول ذكره أيضا محيى السنـــة أبو محمد البغوى فى تفسيره .

---

(1) الصراط : السنة الاولى العدد 16 ، رمضان 1352 هـ جانفى 1934 م .

ولا أرى مانعا من صدق هذه الاقوال مجتمعة ، فهى ليلة قدر بمعنى تقدير الارزاق والآجال وغيرها ، لوقوع هذا التقدير فيها وهى ليلة قدر وشرف لنزول القرآن فيها وللطاعات فيها قدر وفضل على الطاعات فى غيرها ، وهى ليلة تكثر فيها الملائكة بالارض كثرة لا تكون فى غيرها لقوله تعالى : « تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا » .

وعلى تفسير القدر بمعنى تقدير أمور الخلق يقال كيف يتجدد هذا التقدير كل سنة وقدر الله أزلى ؟ وقد نقل البغوى جواب هذا السؤال فى تفسيره فقال : «قيل للحسن بن الفضل: أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال : نعم . قيل فما معنى ليلة القدر ؟ قال : سوق المقادير التى خلقها الى المواقيت تنفيذا للقضاء المقدر » . وقد استبان من هذا أن الليلة التى تقدر فيها أمور الخلق ، هى الليلة التى قال الله فيها : « خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ » . وسماها فى آية الدخان مباركة ، اذ قال : « إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ» . فليلة القدر والليلة المباركة اسمان لليلة واحدة ، وهى ليلة انزال القرآن . وهذه الليلة فى رمضان ، لقوله تعالى : « شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ » . وليست فى شعبان كما يظنه العوام الذين يفرقون بين ليلة القدر والليلة المباركة ، ويعتقدون اعتقادا مخالفا للقرآن ، ان الليلة المباركة ليلة النصف من شعبان ، وبعض العوام يسمون ليلة النصف من شعبان « ليلة قسام الارزاق » ولهم فى هذه الليلة خرافات يبنونها على أساس الجهالات ، وغرضنا من هذا التنبيه ، ارشاد المسلمين الى معرفة هذه الليلة معرفة صحيحة كما نطق الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وبهذه المعرفة على هذا الوجه، تتطهر عقولهم من خرافات وتزول عنهم جهالات .

20) معنى خيرية ليلة القدر

عن أنس قال: «العمَلُ في ليلةِ القدْر والصَّدقةُ والصَّلاةُ والزكاةُ أفضلُ مــن ألفِ شهْرٍ» . أخرجه عبد الله بن حميد ، نقله فى الدر المنثور (6 : 370) .

* * *

تعليــــق :

بين هذا الاثر ــ وفى معناه آثار كثيرة ــ أن خيرية ليلة القدر راجعة الى تفضيل الطاعة فيها والعمل الصالح عــلى غيرها مــن الليالى والايام . وهذا يفيد أن المسلم الذى يتطلب ليلة القدر انما يتطلبها ليعمل فيها صالحا ويجد في العبادة، فالمؤمن انما يطلبها للدين لا للدنيا . وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

21) الدعاء ليلة القدر :

عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أنها قالت : يا رسول اللــه ، ان وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال : قولى : « اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنــى » . رواه أحمــد والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم ، نقله ابن كثير فى تفسيره (9 : 261) .

* * *

تعليــــق :

ليلة القدر من أوقات الاستجابة ، فينبغى للمؤمن أن يكثــر فيها من الدعاء ، ولهذا سألت عائشة ــ رضى اللــه عنها ــ عن صيغة تدعو بها تلك الليلة ، وقد بين رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لزوجه الكريمة عليه صيغة الدعاء ــ فيتعين أن يكرر المسلم هذا الدعاء ليلــة القدر ، وأن يفضله على مــا

سواه ، لانه لفظ أفضل الخلق الذى علمه لاحب زوجاته . ثم هذا يؤكد ما قدمناه من أن ليلة القدر تراد للدين لا للدنيا ، وكثير من العوام يتمنى لو يعلم ليلة القدر ليطلب بها دنياه ، فليتب الى الله ، من وقع له هذا الخاطر السيء . فان الله يقول فى كتابه العزيز : « **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** » . وكثير من العوام يعتقدون فى بعض البيوتات الغنية أن مؤسس ذلك البيت رأى ليلة القدر ، فسأل الله أن يجعل ماله ونسله خيرا من مال الناس ونسلهم ، فكان ذلك . ثم يجعلون هذه الميزة الدنيوية دليلا على ولاية ذلك الداعي وصلاح ذريته . وحديث عائشة ــ رضى الله عنها ــ وآية « **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ** » وما فى معنى ذلك من الآيات والآثار شاهدة بفساد ذلك الاعتقاد ، وضلال تلك الافكار ، وأن الفرق بين التقى والفاجر هو الاقبال على الآخرة أو الاقبال على الدنيا . ولسنا ننكر على من يطلب الدنيا بأسبابها التى جعلها الله تعالى . وانما ننكر على من يكون همه الدنيا دون الآخرة حتى أنه يترصد ليلة القدر ليطلب فيها الدنيا غافلا عن الآخرة . ثم يعتقد أن من نال ثروة دنيوية بغير أسباب ظاهرة لديه، فانما ذلك لولايته ودعائه ليلة القدر .

22) علامات ليلة القدر

عن ابن عباس : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال فى ليلة القدر : « ليلةٌ سمحةٌ طلقةٌ ، لا حارة ولا باردة ، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفةً حمراءَ » . أخرجه أبو داود الطياليسى ، ونقله ابن كثير (9 : 257) .

* * *

تعليـــق :

الاحاديث في تعيين ليلة القدر كثيرة متضاربة ، والصحيح أنها في رمضان . والراجح أنها في العشر الاواخر منه .

وهذه العلامات التي ذكرها الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ليلة القدر ليس فيها أن السماء تنشق وأنه يظهر فيها ألوان من نور ، كل نور له لون خاص ، الى غير ذلك من خرافات العوام . وان ممـا يؤسف المؤمن أن الاوقات المفضلة في ديننا قـد غمرناها بالخرافات ، وصرفنا أنفسنا عما يراد فيها مـن الطاعات، فحرمنا من خير كثير، وقلما تجد وليا صالحا، أو وقتا فاضلا ، الا وهو محاط بخرافات تعين ابليس على ابراز قسمه في الاغراء ، وتقف حجر عثرة أمام الداعي المرشد الى الصراط المستقيم . وان مما يؤسف المؤمن ان هذا الشهر ، شهر رمضان الذي جمع الله لنا فيه بين الصيام والقيام ، وأودع فيه أفضل ليالي العام يقطعه أكثرنا في اللهو والقمار ، والنوم والشجار .

أيها المسلمون: طهروا عقولكم من الخرافات، ونوروا قلوبكم بالطاعات ، وانتهزوا فـرصة الاوقات المفضلات ، ولا تهملوها فتعود عليكم بالحسرات. اللهم صل وسلم على من أنزلت عليه : « **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** » (1) .

---

(1) الصراط : السنة الاولى العدد 17 ، رمضان 1352 هـ جانفي 1934 م .

موضوعات متصلة بالسّنة

الصلاة على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم

— 1 —

مكانتها ـ ثمرتها ـ القسم العلمي ـ معناها لغة ـ معناها شرعا ـ مزية لفظها ـ من تكون منه ـ من تكون عليه ـ نفي الاشتراك عنها ـ تفسيرها باللازم .

تمهيـــد :

الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من أصول الاذكار في الاسلام ومن أعظمها . فان الله تعالى أمر بها المؤمنين على أبلغ أسلوب في التأكيد ، وأكمل وجه في الترغيب ، وجعلها من الاذكار اليومية المتكررة في الصلوات ، وهي ذكر لساني بتلاوة لفظها ، وقلبي بتدبر معانيها ؛ ومثمرة لرسوخ الايمان وشدة المحبة وتمام التعظيم له صلى الله عليه وآله وسلم المثمرين لاتباعه ، المحصل لمحبة الله عبده . وتلك غاية سعادة المخلوق ونهاية كماله .

« قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

فمما يتأكد على كل مسلم أن يكون على شيء من العلم بهـذا الكنز العظيم . وسنأتي من ذلك بما يفتح الله تعالى به في هذا المقـــال .

القســـم العلـــمي :

الصلاة في لسان العرب قبل الاسلام وردت بمعنى الدعاء .

قال الاعشى :

وصهبـاء (1) طـاف يهوديها وأبـرزهـا وعليهـا ختـم
وقابلهـا الريـح في دنهـــا وصلى عـلى دنهـا وارتسـم

قال صاحب اللسان : دعا لها أن تحمض ولا تفسد .

وقال الاعشى أيضا :

عليـك مثــل الـذى صليت فاغتمـضى
نـومـا فـان لجنـب المـرء مضطجعـا

أى دعوت . فالدعاء هو معناها اللغوى الاصلى وعليه جاءت كلمات كثيرة في الكتاب والسنة فمنها « وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ » أى دعواته «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ» أى أدع لهم وحديث (اذا دعي أحدكم لطعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما فليصل) أى فليدع لأرباب الطعام و (الصلوات لله) أى الادعية التى يراد بها تعظيم الله هو مستحقها لا تليق بأحد سواه كما في (اللســـان) .

جاءت هذه الكلمات وأمثالها على المعنى اللغوى الاصلى . وجاء مثل قوله تعالى : « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ».

(1) الصبهاء : الخمر سميت بذلك للونها ، واللون الاصهب الذى يخالط بياضه حمرة .

قـوله ـ ص ـ (لا صلاة لجار المسجد فى غير المسجد) . مرادا بـه عبـادة مخصوصة ذات أقـوال وأفعــال وتـروك عـلى هيئة خاصة من جملة اجزائها الدعاء . ولا شك أن اطلاقها على هذا المعنى انما هو اطلاق شرعى ولكنه غير خارج عن آساليب كلام العرب ، فانه من باب تسمية الشىء باسم جزئه ، فاطلاق هذا اللفظ على هذه العبادة المخصوصة حقيقة شرعية،مجـاز لغوي،وليس هذا هو مرادنا هنا .

وقد كان الظاهر لما كانت بمعنى الدعاء ان تتعدى بالـلام ولكنها تعدت بعـلى لما فيها من معنى العطف ، فصلى عليه يؤدى معني قولنا : دعا له عاطفا عليه وهذا هو السر فى اختيار لفظها على لفظه لتؤدى المعنيين : الدعاء والعطف . وان كان لفظ الدعاء يقتضى عطفا فذلك بطريق الاستلزام وهو دون دلالة التضمن .

تكون هذه الصلاة من المخلوق على المخلوق ومن الخالـق على المخلوق . فمن الأول صلاة النبـي ـ ص ـ على المؤمنين كما فى آيتي سورة التوبة المتقدمتين ومنها قوله ـ ص ـ اللهم صلِّ على آل أبى أوفى فقد دعا لهم وسأل الله تعالى أن يصلى عليهم .

وصلاته على نفسه فى تشهده فى الصلاة . ومنه صلاة الملائكة على النبى ـ ص ـ كما فى آية الصلاة من سورة الاحـزاب ، وصلاتهم على المؤمنين كما فى قوله تعالى : « **هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ** » ، ويفسر هذه الآية قوله تعالى : « **وَٱلْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى ٱلْأَرْضِ** » ، وهذا منهم دعاء عام ، وقوله تعالى : « **ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** » ، وهذا دعاء خاص . وكما فى حديث من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة عشرا ، وحديث (اذا صلى أحدكم ثم جلس فى مصلاه لم تزل الملائكة تصلي عليه،اللهم اغفر له اللهم أرحمه)

ومنه صلاة المؤمنين على النبي ـ ص ـ وعلى الانبياء وعلى الملائكة وعلى عامة المؤمنين بطريق التبع فهي سؤالهم من الله تعالى ودعاؤهم اياه أن يصلي على نبيه ومن ذكر قبل معه ، فهذه كلها من القسم الاول وهو صلاة المخلوق على المخلوق وكلها لم تخرج عن معنى الدعاء .

وأما القسم الثاني وهو صلاة الخالق على المخلوق فمنها صلاته على المؤمنين في قوله تعالى : « **هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** » وصلاته على الصابرين في قوله تعالى : « **أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ** » . وعلى نبيه محمد (ص) في قوله تعالى : « **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** » .

قد تنوعت عبارات العلماء سلفا وخلفا في تفسير صلاته تعالى على من ذكر من خلقه ففسرت بالرحمة ـ والجمع في قوله « **صَلَوَاتٌ** » باعتبار أنواع آثارها ومواقعها ، وقوله بعدها « **وَرَحْمَةٌ** » نوع منها خاص ـ وفسرت بالمغفرة ، وفسرت بثنائه عند ملائكته على المصلى عليه ـ من باب ذكرته في ملا خير منه ـ وفسرت باعطائه واحسانه ، وفسرت بتعظيمه ، ولا خلاف في الحقيقة بين هذه التفاسير فان مغفرته من رحمته وان ثناءه من رحمته وان اعطاءه واحسانه من رحمته وان تعظيمه من رحمته ، فرجعت كلها الى تفسيرها بالرحمة .

لو قلنا بعد هذا ان الصلاة لها معنيان الدعاء والرحمة لكانت من باب المشترك ، والاشتراك خلاف الاصل ، فلذا نقول ـ كما قال جماعة من المحققين ـ ان الصلاة معناها واحد وهو الدعاء فاما من المخلوق فبدعائه الخالق وهو ظاهر ، واما من الخالق

فبدعائه ذاته لإيصال الخير والنعمة للمصلى عليه على تفـاوت المراتب ، ومن لازم هذا رحمته له بالمغفرة والثناء والتعظيم وأنواع العطاء والاحسان ، فالذين فسروا الصلاة مـــن الله بالرحمة فسروها باللازم ، والذين فسروا بغير الرحمة فسروا بمقتضيات ذلك اللازم فلها اذن معنى واحد وهو الدعاء ولكنه يحمل فى كل واحد من الجانبين على ما يليق به (1) .

---

(1) ش : ج 5 ، م 5 ـ غرة محرم 1348 هـ ـ جوان 1929 م .

الصلاة على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم

– 2 –

تاريخ مشروعيتها – آية مشروعيتها – شيء من تفسير الآية .

الصلاة على النبي – ص – من أذكار الصلاة ولكنها لم تشرع يوم شرعت الصلاة بمكة بل كانت مشروعيتها بعد بضع سنوات من الهجرة ، وذلك يوم نزلت آية الأمر بها من سورة الأحزاب وهي سورة مدنية ، ففي الترمذي وغيره – عن كعب ابن عجرة – لما نزلت إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا السلامَ فكيف الصلاةُ) فعلّمهم حينئذ كيفيتها كما سيأتي بيانه .

قوله تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً » – هو آية الامر بالصلاة على ابلغ أسلوب في التأكيد وأكمل وجه في الترغيب فمن التأكيد للامر التوطئة له بجملتين : الجملة الاسمية المصدرة بحرف التأكيد ، والجملة الفعلية الندائية ، ومن أعظم الترغيب في امتثال هذا الامر جعل امتثاله اقتداء بالله وملائكته .

وفى عطف الملائكة عليه تعالى تنبيه على ثمرة الامتثال والاقتداء وهى نيل اشرف المنازل العليا ـ فان الملائكة ـ عليهم السلام بامتثالهم أمر ربهم واقتدائهم به ـ جل اسمه فى الصلاة على أكرم خلقه صلى الله عليه وآله وسلم نالوا شرف اقتران أسمهم باسمه، وفى هذا ووراءه من الشرف والسعادة ما فيه . وقوله تعالى : « يُصَلُّونَ » على معناه اللغوى الاصلى وهو الدعاء. غير أن الملائكة يدعون ربهم له صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى يدعو نفسه ، والمراد ـ وتذكر ما قدمنا ـ لازم ذلك وهو انعامه الخاص الذى يرضاه لاكرم خلقه ، وتقصر عقولنا عن الاحاطة بـه ، وقد عبر الناس عنه بعبارات نقلنا بعضها فى القسم الاول .

وفى صيغة الفعل المضارع دليل على تجدد هذه الصلاة ، فالملائكة ـ س ـ لا يفتؤون يصلون ويدعون ، والله تعالى ـ لا تنقطع انعاماته على هذا النبى الكريم وهو (ص) بتلك الانعامات الربانية لا يزال أبدا مترقيا في درجات الكمال ، ويؤيد هذا عموم قوله ـ تعالى ـ : « وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى » ، وفى هذا ترغيب للمؤمنين فى مداومة الصلاة عليه حسب الجهد والطاقة فى الصلاة وغيرها .

وقيل هنا « عَلَى النَّبِيِّ » ولم يقل على الرسول وهو ـ ص ـ نبى ورسول ، ذلك لانّ الرسول هو المبعوث لاداء الرسالة من الخالق الى الخلق ، فالجانب الاول الاساسى لمعناه يرجع الى معنى التلقى والاخذ عن الذى أرسله ، والنبى هو المخبر المبلغ للرسالة الى الخلق من الخالق ، والجانب الاول الاساسى لمعناه يرجع الى معنى اعلام الخلق وارشادهم وهدايتهم بما جاء بـه من عند خالقهم . فاختير اسم النبى هنا على اسم الرسول لوجهين:

الاول ــ التنبيه على أنه قام باعباء الرسالة وبلغ الامانة ونصح الخلق ونفعهم فجزاه الله على هذا العمل العظيم بهذا الجزاء العظيم ، وكما كان هو ــ ص ــ معلنا بتوحيد الله وتسبيحه وتقديسه وحمده أمام العالم بأسره ، كذلك أعلن الله فضله ومكانته بصلاته عليه أمام جميع خلقه ، وفي هذا تنبيه للمؤمنين علىعظم الجزاء عند عظم العمل، وعلى اعلائه ــ تعالى ــ شأن العاملين على اعلاء كلمته على قدر جهادهم فى سبيله واخلاصهم فى ابتغاء مرضاته .

الثانى : ــ أنه بذلك التبليغ قد جلب للمؤمنين اعظم النفع وأكمل الخير وهو سعادة الايمان فى العاجل والآجل . فمن بعض حقه عليهم أن يقوموا ــ لتعظيمه وتكريمه ــ بالصلاة عليه . فتكون صلاتهم عليه ــ وهى سبب أجر عظيم ونفع كبير لهم كالجزاء لعظيم احسانه والاعتراف بجزيل جميله .

فاسم « النبى » بهذين الوجهين ــ انسب بالمقام ، وادخل فى التأكيد والترغيب ، ولهذا اختير .

وقوله ــ تعالى ــ : « **وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** » امر ثان معطوف على الامر الاول ، فيفيد النسق طلب الجمع بين مدلوليهما فى الامتثال ، ولذا كره العلماء افراد الصلاة عن السلام .

وسلم يأتى بمعنى الانقياد ويتعدى باللام ومنه قوله ــ تعالى ــ : « **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** » ويأتى بمعنى قال له السلام عليكم ، ويتعدى بعلى ومنه قوله ــ تعالى ــ : « **فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً** »، ومنه هنا « **وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** » أى حيوه بتحية الاسلام . وقد ثبت عن الصحابة ــ ض ــ انهم لما

سألوه عن كيفية الصلاة قالوا لـه : السلام قد علمناه فبين لهم كيفيتها ، وقال لهم والسلام كما قـد علمتم ، وقد كان علمهم كيفية السلام فى التشهد وهى « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » كما فى حديث ابن مسعود الثابت فى الصحيح . وبعد هذا لا يبقى وجه لتجويز حمل التسليم هنا على معـــنى الانقياد كما زعمه الجصاص وغيره ، ويالله من الجرى وراء الاحتمالات والغفلة عن التفسير النبوى الصحيح الثابت المأثور .

وقوله ـ تعالى ـ : « **تسليما** » مصدر مؤكد. والتأكيد بالمصدر يكون لرفع احتمال المجاز كما فى « قتلته قتلا » دفعا لتوهـم المجاز عن الضرب الشديد ، ويكون لتثبيت معنى الفعل من جهة الحدث ببيان أنه فرد كامل من نوعـــه لا نقص فيه كما فى « اكرمت زيدا اكراما » بمعنى أن الذى كان منك له هو اكرام لا شبهة فيـــه ، والتأكيد هنـــا من هذا النوع ، فان المسلِّم عـلى النبى (ص) لا يكمل سلامه الا اذا طابق قلبه لسانه وجرى على مقتضاهما عمله ، فلم تكن منه للنبـــى ـ ص ـ الا السلامة فى دينه وكتابه وأمته ، وهذا هو الذى يقال فيه أنه سلم تسليما .

ونظير هذا ما فى الآية الاخرى : « **وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** » فيكون منهم الانقياد التام لحكمه فى الظاهر والباطن بلا ادنى شبهة فى العقل ولا أدنى حزازة فى القلب ولا أدنى توقف فى العمل .

فقد أمرنا فى الآيتين بالتسليم الكامل بمعنييه ، ليكون هو الغاية التى نرمى اليها ونسعى فى تحصيلها ، حتى اذا أخطأنا مرة أصبنا مرات ، واذا انحرفنا رجعنا الى الجادة من قريب ، ومن داوم على القصد أعين على الوصول « **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** » .

ومن لازم التوبة اتحف بالقبول « إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ » ، وفى قول المربى الاكبر ـ عليه ـ وآله الصلاة والسلام (استقيموا ولن تحصوا) وقوله : (سددوا وقاربوا) جماع السلوك الاسلامى كله الى غايات الكمال والله المستعان (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 5 ـ غرة صفر 1348 هـ ـ جوليت 1929 م .

الصلاة على النبى
صلى الله عليه وآله وسلم

— 3 —

توقف الصحابة (ض) — وجوه توقفهم — سؤالهم — أولا من سأل منهم — مما يستفاد من هديهم فى هذا المقام — لزوم الاقتداء بهم — حديث بيان الكيفية — رواته — الفاظه — الجمع بينها — الاقتصار على الصحيح من الروايات — كلام الحافظ ابن العمادى ·

لما سمع الصحابة — رضى الله عنهم — الامر بالصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الآية المتقدمة فهموا أنهم أمروا بالدعاء له لان الدعاء هو معنى الصلاة لغة كما قدمنا .

وانما الذى اشكل عليهم هو كيفية هذا الدعاء ووجه هذا الاشكال أمـور :

الاول : علمهم بكمال حال النبى — ص — ورفعة مقامه عند ربه وجزيل انعامه لديه ، فلم يدروا ما هو النوع الاكمل من الانعام اللائق بمنصبه الرفيع ليدعوا له به .

الثـانى : أن ألفاظ الدعاء كثيرة ، وصفاتها مختلفة فما هو أنسبها بمقامه الشريف ؟

الثـالث : ان الصلاة عليه ــ ص ــ أمر تعبدى ، والعبادات لا سبيل اليها الا التوقيف ، وأكد لهم هذا أن الصلاة قد قرنت بالسلام وقد تقدم لهم التوقيف فى السلام فتوقعوا مثله فى الصـــلاة .

فلما اشكل عليهم الامر طلبوا منه ــ ص ــ البيان . ففى الترمذى عن كعب بن عجرة (لما نزلت : ان الله وملائكته الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة) وقوله : «لما» يفيد أن سؤالهم كان عند النزول ، وقوله : « قلنا » يفيد أن السؤال كان من جميعهم ولو كان السائل المتكلم واحدا فانـــه يتكلم بلسان الجميع لانهم له موافقون ، ومثل هذا قول أبى حميد (انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك) وقول أبى سعيد : (قلنا يـــا رسول اللـــه هذا السلام عليك فكيف نصـــلى) وأول من سأله فيما أرى ، بشير بن سعد الانصارى لانه لما سأله (ص) كيف نصلى عليك) سكت ثم اجابه بالبيان . والظاهر ان سكوته كان لانتظار الوحى اليه . فلما أوحى اليه بالبيان بين . وجاء البيان متأخرا عن نزول الآية واقعا بعد سؤالهم لانه من البيان التفسيرى وجائز تأخره على الصحيح وهذا من امثلته .

وهنا نكت من هدى الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ فى هذا المقام ينبغى التنبه لها والتدبر فيها . فمنها شدة تعظيمهم للنبى صلى اللـــه عليه وآلـــه وسلم وتمـــام تحريهم فى اجـــلال ذكره واحترام كل ما يتصل بجنابه . ومنها حرصهم على الاتيان بعين ما يختاره الله لهم ويرضاه منهم من اللفظ الاكمل الافضـــل الذى يتقربون به اليه فى تعظيم حبيبه ومصطفاه صلى اللـــه عليه وآله وسلم . ومنها شدة تحريهم لدينهم بتوقفهم فيما كان عندهم محتملا، ولم يقطعوا فيه بشىء . ومنها شدة عنايتهم بالعلم

فبادروا الى طلب البيان . ومنها وقوفهم فى باب العبادة عند حد التوقيف، لانه لا مجال فيها للرأي ولا مدخل فيها للقياس .

كل هذا من هديهم ـ رضوان الله عليهم ـ حق على المسلمين أن يتدبروه ويتبعوهم فيه وينظروا فى أمورهم ما هو منها موافق لهديهم أو قريب منه وما هو مباين له بعيد عنه ، فلا وربك لا يكون الخير الا فى موافقتهم ولا غيره الا فى مخالفتهم . وكل امرىء ـ بعد هذا ـ بنفسه بصير .

عدنا الى حديث بيان كيفية الصلاة . ونقتصر من متونه على الصحيح الثابت المتفق عليه مما فى الموطا والصحيحين .

وقد جاء فيها عن أربعة من الصحابة ـ ض ـ :

الاول : أبو حميد الساعدى عند الثلاثة ، والشيخان خرجاه عنه من طريق مالك . قال ـ ض ـ انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا : (اللّهم صلِّ على محمّدٍ وأزواجِه وذريتِهِ كما صلَّيت على آلِ ابراهيم، وبارِكْ على محمّدٍ وأزواجه وذريتهِ كما باركْت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ) وفى رواية مسلم (وعلى أزواجه) بزيادة (على) فى الموضعين .

الثانى : أبو مسعود الانصارى فى الموطأ وصحيح مسلم ، ومن طريق مالك رواه مسلم قال ـ ض ـ : اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير ابن سعد (ابن ثعلبة) أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك ؟ قال فسكت رسول الله ـ ص ـ حتى تمنينا انه لم يسأله (لانهم كانوا يكرهون كل ما يرونه أنه يكرهه أو يشق عليه) ثم قال قولوا : أللّهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمّدٍ كما صليت على آلِ إبرَاهِيمَ وبارِكْ على مُحمدٍ وعلى آلِ محمّدٍ كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد . والسلام

كما قد علمتم) وفي بعض روايات الموطا (كما صليت على ابراهيم) و (كما باركت على ابراهيم) بدون لفظ (آل) في الموضعين وفي بعضها بدونها في الأول .

الثالث : كعب بن عجرة في الصحيحين قال ـ ض ـ سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم، قال قولوا : اللّهمّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللّهمّ بارِكْ علَى محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ كما باركت على إبراهيمَ وعلى آلِ ابراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ) ، هكذا خرجه البخارى في أحاديث الانبياء من كتاب بدئى الخلق . وخرجه في سورة الاحزاب من كتاب التفسير وفي كتاب الدعوات هكذا : (كما صليت على آل ابراهيم) و (كما باركت على آل ابراهيم) بدون (على ابراهيم) في الموضعين وعلى هذا الوجه خرجه مسلم .

الرابع : أبو سعيد الخدرى عند البخارى في أحاديث الانبياء والتفسير قال ـ ض ـ : (قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلى : ـ قال قولوا: أللهم صلِّ على محمَّدٍ عبدِكَ ورسولِك كما صليتَ على إبراهيمَ وبارِكْ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ كما باركتَ على إبراهيم وآل ابراهيمَ . وفي رواية أخرى للبخارى (كما صليتَ على آلِ ابراهيمَ) بزيادة لفظة (آل) وليس في آخرها وعلى آل ابراهيم .

وهذه المتون الصحيحة كلها قد اتفقت ، واختلفت ، اتفقت في عمود الكلام وصلب المعنى ومعظم الكلمات ، واختلفت في كلمات قليلة . فمنها لفظة على كما في حديث أبي حميد وهي كلمة ذكرها كحذفها من جهة المعنى لان حرف العطف مغن عنها ، فقد تكون في الاصل واسقطها الراوى نسيانا واختصارا ، وقد

لا تكون وزادها من زادها نسيانا أو بيانا ، ومنها لفظة الآل في حديث أبي مسعود فهي ثابتة في رواية من اثبتها وتحتمل السقوط على وجه النسيان في رواية من اسقطها ، ويحتمل أنه كذلك سمع بدونها ، وان النبي ـ ص ـ مرة ذكرها ومرة حذفها . ومنها زيادة عبدك ورسولك في حديث أبي سعيد وزيادة في العالمين في حديث أبي مسعود وذكر الازواج والذرية بدل الآل في حديث أبي حميد ، والظاهر في هذه أن النبي (ص) تنوع بيانه في المقامات فاختلفت الروايات وهي مختلفة غير متناقضة فتفيد المعاني المتغايرة غير المتضاربة وهي بهذا نظير اختلاف القراءات في صحيح الروايات .

هذا الذي ذكرناه من الروايات هو الصحيح المتفق على صحته وثبوته ، ووراءها روايات ليست في درجتها رأينا الاكتفاء بالصحيح عنها . وقد قال الامام الحافظ بن العربي في تفسير سورة الاحزاب من احكامه بعد ما ذكر ثماني روايات ـ : (من هذه الروايات صحيح ومنها سقيم ، واصحها ما روى مالك (حديث أبي حميد وحديث أبي مسعود فاعتمدوه) . ورواية من روى غير مالك من زيادة الرحمة مع الصلاة وغيرها (غير الرحمة) لا يقوى . وانما على الناس أن ينظروا في اديانهم نظرهم في أموالهم وهم لا يأخذون في البيع دينارا معيبا وانما يختارون السالم الطيب ، كذلك في الدين لا يؤخذ من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ما صح سنده لئلا يدخل في خبر الكذب على النبي ـ ص ـ . فبينما هو يطلب الفضل اذا به قد أصاب النقص بل ربما أصاب الخسران المبين) (1) .

(1) ش : ج 7 . م 5 ـ غرة ربيع الاول 1348 هـ ـ أوت 1929 م

الصـــلاة عــلى النــبى

صــلى اللــه عليــه وآلــه وسلــم

ـ 4 ـ

صيغ الصلاة الثانيـــة :

تفسير الصيغ : لفظ البركة ـ الازواج ـ الذريـــة ـ الآل ، معناه اشتقاقه ـ موارد استعماله ـ توجيه الخلاف في تفسيره الراجح منها ـ آل ابراهيم ـ تفسيره ، دخول ابراهيم فيه ـ توجيه ذلك .

قد حصل لنا مما تقدم في روايات حديث بيان الصلاة أربع صيغ لهـــا .

الاولى :

(أللَّهم صلِّ على محمَّدٍ وأزواجه وذريَّتِهِ كما صليتَ على آل إبراهيمَ،وبارِكْ على مُحمَّدٍ وأزواجِهِ وذريتِهِ كما باركت على آلِ إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ) .

الثانيـــة :

(أَللهمَّ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ كما صلَّيْـــتَ على آلِ إبراهيمَ وبارِكْ علىٰ محمَّدٍ وعلى آلِ محمـَّدٍ كماَ بَاركْتَ عـلىٰ آل إِبراهيمَ فى الْعَالَمِينَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ) .

الثـالثـة :

(أَللَّهمَّ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ كما صلَّيْتَ علىٰ إبراهِيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ . أَللَّهمَّ بارِكْ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ كما باركْتَ علىٰ إِبراهيم وعلىٰ آلِ إِبراهيمَ إِنَّكَ حَميدٌ مَجيــدٌ) .

الــرابعـــة :

(أَللَّهُمَّ صلِّ علىٰ محمَّدٍ عبدِكَ ورسُولِكَ كما صلَّيتَ علىٰ إِبراهيمَ. وبارِكْ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ كماَ بارَكْتَ علىٰ إبراهيــمَ وآلِ إبرَاهيــمَ) .

فأما الصلاة المطلوبة من الله تعالى فى جميع هذه الصيغ فهى مغفرته وثناؤه وتعظيمه وإحسانه واعطاؤه وكلها ترجع الى رحمته كما تقدم .

وأما البركة المطلوبة فى جميعها أيضًا فهى ــ لغة ــ النماء والزيادة . والمقصود هنا زيادة الخير والكرامة وتكثير الأجــر والمثوبة . وفسرت بدوام ذلك وثباته لان أصل مادة ــ ب ر ك يدل على الثبوت ومنها بروك الابل وثبوتها علي الارض وقــد يعتبر فى الشىء الثابت قوته وزكاوة أصله فيستلزم ذلك كثرته ونماءه وعلى هذا الاعتبار جاء لفظ البرك (كحبل) اسما للابل الكثيرة فى قول متمم بن نويرة :

اذا شـــارف منهـــن قامــت ورجعــــت
حنينـــا فابــكى شجوهــا البــرك أجمعا

فتفسيرها بالنماء والزيادة ما خوذ فيــه ثباتها ورسوخهــا فلا يكون خارجا عن المعنى الاصلى للمادة .

واما أزواجه فى الصيغة الاولى فهن امهات المؤمنين الطيبات، الطاهرات،عليهن الرضوان ، وأما ذريته فيها أيضا فهم من كان للنبى ـ ص ـ ولادة عليه من ولده وولد ولده ممن آمن به .

وأما الآل فى جميعها فهو ـ لغة ـ أهل الرجل وعياله،وهو أيضا الاتباع،ومن الاول قوله ـ ص ـ «إن الصدقةَ لا تحلُّ لآلِ محمدٍ انما هي أوساخ الناس»، ولا خلاف أن المراد بالآل هنــا ذوو قرابته من بنى هاشم والمطلب أو من بنى هاشم فقط أو من بنى قصى أو قريش كلها على اختلاف بين الفقهاء فى تحديد القرابة المرادة . ومن الثانى قوله تعالى : « **أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ** » ، والمراد هنا اتباعه فى ملته وملكه وسلطانه .

ومنه قول الاعشى :

فكذبــوهــا بمـــا قـــالــت فصبحهـــــم
ذو آل حســـان يزجــى السم والسلعــا

قال فى اللسان يعنى جيش تبع ،

وفسر هنا بجميع أمته ممن آمن به ، واليه ذهب مالك . قال النووى وهو اختيار الازهرى وغيره من المحققين .

وفسر بقرابته ، وفسر بأهل بيته صلى الله عليه وسلـــم أزواجه وذريته ، وتحقيق هذه المسألة ان لفظة (آل) أصلــه

أول ، من مادة ـ أ ـ و ـ ل . وقد ثبت تصغيره على أويل فرد التصغير ألفه الى الواو أصلها فعرفت بذلك مادته المذكورة .

وزعم بعضهم ان أصله أهل وادعوا انه صغر على أهيل ولا حجة لهم فى ذلك لاننا نسلم مجيء لفظ أهيل عن العرب ونمنع أن يكون تصغير لآل بل هو تصغير لاهل . وكونه تصغير الاهل ظاهر ملفوظ وكونه تصغير الآل دعوى لا دليل عليها ، وما كان فى نفسه دعوة بلا دليل لا يصلح أن يكون دليلا لدعوى أخرى فلم يقم حينئذ دليل على أن آل أصله أهل يعارض الدليل الذى قام على ان أصله أول .

واذا ثبت ان آل من مادة أ ـ و ـ ل ، وهى بمعنى الرجوع، تقول آل الى خير بمعنى رجع الى خير ـ فآل الشيء هو ما يرجع الى ذلك الشيء وينتهى اليه بوجه من الوجوه .

وعلى هذا جاء استعماله فى كلام العرب .

قال الفرزدق :

نجـوت ولـم يمنـن عليـك طـلاقـة
سـوى ربـة التقريـب مـن آل اعـوجـا

عنى فرسا من نسل اعوج وهو فحل مشهور فى خيل العـرب تنسب اليه الاعوجيات فناله نسله لانه يرجع اليه بالنسب .

وقال عبد المطلب بن هاشم ـ فى قصة أبرهة الحبشى لما جاء لهدم البيت داعيا ومستنصرا الله على ابرهة وجنده :

لا هـم ان العبـد يمـ ـنـع رحلـه فامنـع رحالـك
لا يغلبـن صليبهـم ومحـالهـم غـدوا محالـك
وانصر عـلى آل الصليـ ـب وعـابديـه اليـوم آلـك

فآل الصليب هم الحبشة النصارى عباد الصليب فرجعوا اليه بوجه العبادة والتعظيم .

وآل اللـه هم قريش سدنة بيته وقطان حرمه وأواة حجيجه فرجعوا الى الله تعالى بهذه الاسباب .

فأتباعهُ ـ ص ـ وأقاربه وأزواجه وذريته ـ كل يصدق عليه آل لانهم كلهم يرجعون اليه .

وانما الخلاف فى ترجيح المعنى الذى ينبغى حمل اللفظ عليـه .

فى احاديث الصلاة ، فمن فسره بالازواج والذرية قال لانهم هم المصرح بهم فى الرواية الاولى فحمل احدى الروايتين على الاخـرى .

ومن فسره بالاقارب حمل حديث الصلاة على حديث تحريم الصدقة . والآل هنالك بمعنى الاقارب فلا خلاف . فرجـع بالمختلف فيه الى المتفق عليه .

ومن فسره بالاتباع رآى ان اتباعه بالإيمان به أمر لابد منه فى الدخول تحت لفظ الآل هنا . فان من كان من اقاربه غير متبع له ـ كأبى لهب ـ غير داخل فى لفظ الآل هنا قطعا . فحمل اللفظ على الاتباع لانه المعنى المشتمل على الوصف الذى لابد منه فى هذا المقام . ورأى أيضا أن هذا المعنى أعـم فهـو الانسب بمقام الدعاء وكما ان مساق حديث الصدقة عين معنى الاقارب هنالك كذلك مقام الدعاء يرجح معنى الاتباع هنا . ولا معارضة بين الروايات التى فيها لفظ الآل مرادا به الاتباع ، والرواية التى فيها الازواج والذرية ، لان تلك جاءت بالمعنى العام وهذه خصصت بالذكر نوعا من ذلك العام لمزية فيه .

فأزواجه وذريته ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ مصلى عليهم في اللفظ العام على وجه العموم ، وباللفظ الخاص على وجه الخصوص لما لهم من مزيد الاختصاص . ولهذه الادلة نرى هذا التفسير أرجحها .

وأما آل ابراهيم فقد قال قوم هم ذريته ، وقال ابن عباس رضي الله عنه هم اتباعه على ملته . ونزع بقوله تعالى : « **إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ** » واقتصر على قوله ابن جرير الطبري في تفسير الآية من تفسيره الكبير .

فابن عباس في تفسيره الآل بالاتباع هو سلف مالك في تفسيره له بذلك . وابن جرير في ترجيحه لقوله هو سلفنا في الترجيح .

قال الامام ابن عبد البر : (آل ابراهيم يدخل فيه ابراهيم وآل محمد يدخل فيه محمد) . ومن هنا جاءت الآثار مرة بابراهيم ومرة بآل ابراهيم وربما جاء ذلك في حديث واحد . ومعلوم ان قوله تعالى : « **أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ** » ، ان فرعون داخل فيهم) .

وهذا من طريق مفهوم الاضافة الاخروى لان المضاف اذا تعلق به حكم بعلة الاضافة فالمضاف اليه احرى بذلك الحكم وأولى كما تقول : ما ثبت للتابع بعلة التابعية فالمتبوع أحرى به وأولى ، فاذا كان آل ابراهيم مصطفين ومصلى عليهم لانهم آله أي اتباعه ـ فهو مصطفى ومصلى عليه الاحرى للوجه الذى ذكرنا (1) .

---

(1) ش : ج 8 ، م 5 ـ غرة ربيع الثاني 1348 هـ ـ سبتمبر 1929 م .

الصلاة على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم
ـ 5 ـ

معنى العبد في اللغة ـ استعماله فيها ـ ما اقره الاسلام وما ابطله ـ معنيا الملك ـ عموم العبودية ـ وجها اضافة العبد لله ـ معنى العبادة ـ لمن تكون ؟ ـ مقام العبودية ـ اكمل العباد ـ أصدق وصف المخلوق ـ تواضعه ـ معنى الرسول ـ توجيه الترتيب ـ حديث الاطراء ومعناه ·

أما قوله « عبدك » في حديث أبي سعيد عند البخاري فالعبد قال الائمة (خلاف الحر) والحر من لا ملك لأحد عليه. فالعبد هو المملوك. والعبودية هي طاعته مع الخضوع والتذلل (I) ، والملوكية التي هي أصل لمعنى مستلزمة لها . وجاء في كلامهم مضافا اضافة ملك للبشر فقالوا عبد زيد أي مملوكه ، والى الخالق تعالى مالك الجميع فقالوا عبد الله، والى معبوداتهم الباطلة فقالوا عبد العزى وعبد اللات بناء على شركهم وزعمهم أن

(I) قال بعضهم : ان العبد ماخوذ من الطريق المعبد اى المذلل يوطىء الاقدام وهذا ليجعلوا الذل من مفهوم العبد · وانا ارى ان الذل لازم لمفهوم العبد وهو المملوك ، وأنه هو أصل المادة ، وان المعبد ـ اسم مفعول مشتق ـ هو المأخوذ منه معناه مذلل كما يذلل العبد ·

طواغيتهم تملك مع الله وان كان هو مالك الجميع . كما كانوا يقولون في تلبيتهم : (لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك تملكه وما ملك) .

جاء الاسلام فأقر اضافتين وابطل واحدة ، وذلك أن الملك اما ملك حقيقى ثابت بالخلق والحفظ والانعام وهــذا ليس الا الله ، فكل احد فهو عبد الله . واما ملك مجازى متنقل بسبب معاوضة أو عطية أو ارث وهذا هو ملك العباد وعلى هذا المعنى يقال عبد زيد أى مملوكه . وأما الطواغيث فلا ملك لها بالوجهين فلا تجوز اضافة العبد اليها . وقد جاء فى اضافة الملك المجازى قوله ـ ص ـ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة ـ ض ـ«لا يقولَن أحدُكم عبدي فكلُّكُم عبيدُ الله، ولكن ليقلْ فتايَ، ولا يقُلِ العبدُ ربِّي ولكن ليقل سيدى» .

والنهى عن هذا لما فيه من التطاول والتعاظم والارتفاع ، ولا بأس به اذا كان فى النادر للبيان والتعريف .

العبودية لله وصف عام ثابت فى كل مخلوق ، فكل مخلوق هو عبد الله مملوك له ، فى دائرة خلقه وقبضة أمره ، خاضع ذليل منقاد لتصرفات قدره .

والعبد يضاف لله تعالى بهذا المعنى اضافة عامة لا فرق فيها بين بر وفاجر . وقد قال تعالى : « إِنْ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ آتِي ٱلرَّحْمَنِ عَبْدًا » .

ويضاف اليه اضافة خاصة اذا كان العبد قد عرف عبوديته لربه علما ، وقام بواجبها عملا ، فاطاع مولاه طاعة المملـوك لمالكه عن علم واختيار ، بذل وخضوع وانكسار ، بلا امتنـاع ولا اعتراض ولا استكبار ، وقد جاء على هـذا قوله تعـالى : « فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ » ، « سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ

لَيْلاً »،« وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ » ، « وَإِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ »، « قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ » ، « وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ » ، ومنه قوله : « عَبْدُكَ » هنا .

والعبد المضاف الى الله تعالى بهذا الوجه هو المملوك المطيع، وطاعته بذل وخضوع هي عبادته . ولما كان ليس مملوكا الا لله فلا تكون طاعته الا لله فلا يجوز لأحد أن يطيع أحدا الا فى طاعة الله فتكون طاعته فى الحقيقة لله . فطاعتنا للنبى ــ ص ــ هى بالقطع طاعة لله، وطاعتنا لغيره لا تجوز الا اذا عرفنا أنها في مرضاة الله ، وقد قال ــ ص ــ : (لا طاعة لأحد فى معصية الله، انما الطاعة فى المعروف) رواه الشيخان وأبو داوود والنسائى عن علي كرم الله وجهه وقال : ــ ص ــ : (لا طاعة لمخلوقٍ فى معصية الخالِقِ) رواه أحمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه عن عمران والحكم بن عمر والغفارى ــ ض ــ .

ولما كانت الطاعة ــ التى هى العبادة ــ بها يحصل الكمال الانسانى للفرد فى عقله واخلاقه واعماله ، وللنوع فى اجتماعه وعمرانه ، وهذا الكمال هو سعادة الدنيا المفضية الى السعادة الكبرى في الحياة الاخرى ــ كانت العبودية اشرف حال واعظم مقام وافضل وصف للانسان وكان افضل انسان أرسخ الناس قدما فى هذا المقام . ولما كان النبى(ص) كذلك كان افضل الخلق، وكان ــ كما قال ــ ص ــ : (سيدَ ولدِ آدمَ ولا فخرَ) ــ ولهذا ذكر بوصف العبودية فى مقام التقريب والتكريم فى قوله تعالى : « فَأَوْحَى إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ » ، وفى مقام الترفيع والتعظيم فى آية الاسراء ، وجاء على مقتضى ذلك وصفه به في ذكر الصلاة ومقام الثناء والدعاء .

ولفظ العبد كما أنه أكمل وصف للانسان على ما بينا ــ هو اصدق وصف له ــ واشده بعدا عن الكبرياء والعظمة والترفع .

ولذا لما خير النبى ـ ص ـ بين أن يكون نبياً ملكاً وان يكون نبيًّا عبْدًا أُختار أن يكون نبيا عبدا ، فان الملك لابد له من مظاهر السيادة والسلطان ، وان كان بعدل وحق كملك داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام . فاختار ـ ص ـ أن يكون نبيا بدون هذه المظاهر وكان الذى اختار أفضل .

وكان ـ ص ـ فى جميع حياته على أكمل حال فى التواضع الذى هو من مظاهر كمال عبوديته لربه ، وكان يقول صلى الله عليه وآله وسلم : (إنما أناَ عبدٌ آكُلُ كماَ ياكُلُ العَبدُ وأجلسُ كماَ يجلسُ العبْدُ) .

واما قوله : (ورسولك فى الحديث المذكور فان الرسول هو من بعثه الله تعالى ـ فضلا منه ـ ليبلغ شريعة . وقيامه باعباء الرسالة هو من طاعته وعبوديته لربه . فقدم لفظ العبد على لفظ الرسول تقديم العام على الخاص وتقديم (1) الشرط على المشروط ، فان الرسالة لا يفضل بها الله تعالى الا أكمل عباده ، و « **اَللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتِهِ** » وتقديم الترتيب لانه كان عبدا قبل ان كان رسولا ولان العبودية للخالق ، والرسالة فيها انصراف ـ بأمر الله ـ للخلق .

والعبودية والرسالة هما الوصفان اللذان أمرنا النبى ـ ص ـ ان لا نتجاوز حدهما في الثناء عليه، فقد قال (ص): (لَا تُطْرونِى كما أَطْرَتِ النّصارى عيسَى،إنما أنا عبدٌ وقولوا عبد الله ورسوله) ، فنهانا عن اطرائه فى المدح وهو المبالغة والغلو

---

(1) لا تنس ان الشرط لا يلزم من وجوده الوجود فلا يلزم من وجود كمال العبادة ـ فرضا ـ وجود الرسالة . لان النبوة لا تكتسب .

بوصفه بما لا يجوز كما غلت النصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام فادعت فيه الألوهية ونسبت اليه ما لا يكون إلا لله . وبيّن لنا طريق مدحه ـ ص ـ بذكر كل ما لا يخرج به عن كونه عبدا من كل كمال ، وبذكر كل ما يليق برسالته من عظيم الخصال ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام (2) .

---

(2) ش : ج 9 ، م 5 ـ غرة جمادى الاولى 1348 هـ ـ أكتوبر 1929 م .

الصلاة على النبى
صلى الله عليه وآله وسلم

— 6 —

مبلغ صلاة الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم — وجهان فى معنى التشبيه — نكتة التشبيه — سؤال على الوجه الثانى وجوابه — نكتة أخرى فى التشبيه — معنى فى العالمين — معنى حميد مجيد — نكتة الختم بهذه الجملة.

وقوله : (كما صلّيتَ على آلِ إبراهيم) و (كما باركت على آلِ إبراهيم) فى حديث أبى حميد وابى مسعود (وكما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) و (كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) فى حديث كعب بن عجرة — يفيد أن المصليَّ يسأل من الله تعالى صلاة وبركة لمحمد وآله فى المستقبل مثل ما كان منه تعالى من صلاة وبركة على إبراهيم وآله فى الماضى . هذا يسأله المصلى فى كل مرة من صلاته ويستجاب سؤاله كلما سأل . فكم تكون صلوات الله تعالى وبركاته على محمد وآله فى المستقبل ، وهى اثر كل صلاة مصل تكون مثل ما حصل فى الماضى منه تعالى لابراهيم وآله . ان مقاديرها — على هذا — تبلغ الى ما تعجز عن حصره العقول وهى لا تزال متزايدة بقدر صلاة المصلين تزايدا فوق متصور البشر.

والكاف في قوله : (كما) تفيد التشبيه والالحاق وهذا يحتمل وجهين :

الاول : أن يكون ذلك فيأصل الصلاة بقطع النظر عن مقدارها فلكل ما يناسب مقامه في الفضل والافضلية من المقدار ، كما تقول لمن تقدمت منه عطية لبعض اقاربه : اعط هذا القريب الاقرب كما أعطيت ذاك القريب . تقصد أصل العطاء دون مقداره ضرورة ان ما يستحقه القريب الاقرب أكثر مما يستحقه القريب . وجاء على هذا الاسلوب قوله تعالى : « **وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ** » ، فالمقصود أن يكون منه احسان كما كان من الله تعالى اليه . ولا يمكن أن يكون ما يصدر منه من احسان مماثلا لما لله عليه منه .

وتكون نكتة التشبيه الحاق المتأخر وهو الصلاة والبركة المسؤولتان لمحمد وآله بالسابق المشتهر وهو الصلاة والبركة المعطاتان لابراهيم وآله . فالمقصود أن تكون هاته ظاهرة مشتهرة في الخلق كما كانت تلك فيهم .

الوجه الثاني أن يكون التشبيه في مقدار الصلاة والبركة ويكون المطلوب هو المقدار المماثل ، كما تقول لمن اعطى زيدا عشرة دراهم : اعط عمر كما اعطيت زيدا . ونكتة التشبيه في هذا الوجه هي نكتته في الاول .

وعلى هذا الوجه يقال كيف يطلب له ـ ص ـ صلاة وبركة مثلما حصل لغيره وهو أفضل من غيره ، وبمقتضى كونه أفضل لا يطلب له الا ما هو أفضل . ويجاب بان النبي ـ ص ـ كان شديد التعظيم لابيه ابراهيم عليه السلام والتواضع في جانبه، فكان هذا الطلب على مقتضى ذلك التعظيم وذلك التواضع . وفي هذا تعليم وتأديب لأمته

ثم فى هذا التشبيه اشارة بذكر ابراهيم عليه السلام وابقاء له على ألسنة هذه الامة . وفى هذا اعتراف بفضل هذا النبى القانت الحنيف الذى هى على ملته . واحتجاج على أهل الكتاب الذين يعظمونه مثلنا وقد حادوا عن ملته الحنيفية بذهابهم فى أودية الشرك واتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله. وجزاء له عليه السلام فى دعوته لنبينا فيما حكاه القرآن بقوله : « **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ . إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** » .

وقوله « فى العالمين » أى فى أجناس الخلق يفيد ان صلاته تعالى وبركاته على ابراهيم وآله كانت ظاهرة مشتهرة ــ علما وأثرا ــ فى أجناس المخلوقات . وقد سئل فى صيغة الصلاة أن تكون صلاته وبركاته على محمد وآله مثل ذلك .

ولفظ « فى العالمين » مذكور فى القسم الثانى قسم البركة دون القسم الاول قسم الصلاة ، وأرى ذلك من الايجاز بالحذف من الاوائل لدلالة الاواخر .

وقوله « حميد » من الحمد اما بمعنى حامد ، حول ليفيد التكثير وهو جل جلاله يحمد فعل الخير من عباده ويثيبهم على القليل بالكثير .

ومناسبة اسم حميد لختم هذه الصلاة ان هؤلاء من عبادك المتقين الذين تتفضل عليهم بحمدك . فمن حمدك لهم أن تصلى وتبارك عليهم .

واما بمعنى محمود ومناسبته حينئذ أنك ذو الكمال والانعام اللذين تحمد عليهما ، فمن انعامك واحسانك صلاتك وبركتك .

وقوله « مجيد » من المجد والشرف بمعنى ماجد يفيد عظمة مجده وشرفه في ذاته وصفاته وافعاله .

ومناسبته للاسم السابق ان حمده لخلقه ـ وطاعتهم بفضله وتيسيره ـ من مجده وشرفه ، أو أن كماله وانعامه اللذيـن يحمد عليهما،هما فوق كل كمال وكل انعام على ما يليق بمجده وشرفه ومناسبة ختم الصلاة بهذا الاسم ان من مجده وشرفـه ـ جـل جـلاله ـ هـذه الانعامات العظيمة والخـيرات الجسيمة المتوالية على مخلوقاته ومنها هذه الصلاة والبركة المسؤولتان لاكرم خلقه وجميع آله .

وبهذا التقرير يظهر أن جملة « انك حميـد مجيـد » هي تذييل للكلام السابق وتأكيد له بما هو عام ومشتمل على معناه ـ فان الصلاة والبركة من مقتضى الحمد والمجد ـ نظير قوله تعالى : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » (1)

(1) ش : ج 10 ، م 5 ـ غرة جمادى الثانية 1348 هـ ـ نفمبر 1929 م .

الصـــلاة عــلى النــبى
صــلى اللــه عليــه وآلــه وسلــم
القســـم العمـــلى

ـ 7 ـ

> القسم العملي : ـ حكمها ـ القصد بها ـ افضلها ـ استعمال صيغها ـ المحافظة على الوارد منها ـ التحذير : من الغفلة ـ من اللحن ـ من تركها عند ذكره ـ من ذكرها للغضبان ـ من ذكرها للزغرته ـ من هجر الوارد ـ من كتاب التنبيه ٠

الصلاة عليه ـ ص ـ واجبة مرة في العمر ـ وذهب الشافعي الى وجوبها فى التشهد الثانى من الصلاة ، وقيل بوجوبها عند ذكره ، وثبت الترغيب فيها اثر حكاية الأذان ويوم الجمعـة وليلتها عند الدعاء ثم ما شاء حسب الطاقة .

ويقصد المصلي بصلاته امتثال أمر الله ورجاء ثوابه والتقرب اليه بذكر نبيه على وفق أمره وقضاء بعض حقه والمكافأة بقدر جهدنا لبعض احسانه واظهار تمام المحبة فيه والاحترام لـه وصحة العقيدة في دينه .

وصيغ الصلاة كثيرة والامر فيها واســع وأرفعها قـدرا وأعظمها نفعا هى الصيغة التى قالها النبى صلى الله عليه وسلم

لاصحابه ـ وقد سألوه ـ في معرض البيان ، وبيانه لهم بيان لجميع الامة بعدهم ، وهو أعلم الناس بما ينفع وأحرص الناس على جلبه لامته فلا انفع ولا أرفع مما جاء به من عند ربه ، واختاره لأمته ، والأكمل أن يحفظ الصيغة النبوية بروايتها ويستعملها مرة برواية ومرة بغيرها حتى يكون قد استعملها كلها ولو اقتصر على بعضها لكان كافيا .

وعندما يأتي بالصلاة النبوية بإحدى رواياتها يحافظ على لفظها بدون زيادة شيء من عنده عليها ولا أن ينقص شيئا منها، لان الصيغة الواردة توقيفية متعبد بها ، والتوقفي في العبادات يؤتى بنص لفظه بلا زيادة ولا تنقيص ولا تبديل .

وأصل هذا حديثُ البراء بن عازب ـ ض ـ في الصحيح لما قال : (وبرسولك الذى أرسلت) قال له النبي ـ ص ـ : (لا وبنبيك الذى أرسلت) ، فلم يقره على تبديل لفظ النبي بلفظ الرسول على تقاربهما لأن الصيغة متعبد بها ، والحديث في باب:اذا بات طاهرا،من كتاب الدعوات من صحيح البخارى .

التحذير :

مظهر الصلاة على النبي ـ ص ـ كسائر الاذكار هو اللسان ، وثمرتها في الاعمال ، ومنبتها هو القلب ، فليحذر المصلي من الغفلة عند جريان الصلاة على لسانه .

والصلاة النبوية صيغة تعبدية فليحذر من اللحن فيها .

وجاء وعيد فيمن تركها عند ذكر النبي ـ ص ـ فليحذر من تركها عنده وخصوصا من اعتياد تركها .

وقد اعتاد بعضهم أن يقول لصاحبه عند الغضب (صل على النبي) وهذا وضع لها في غير محلها وتعريض للاسم الشريف

الى ما لا يليق،من قد يكون عند جنون الغضب من تقصير أو سوء أدب ، فليحذر من هذا .

وقد جرت عادة بعض الناس فى ليال زرداتهم أن يرفعوا أصواتهم مرة على مرة (الصلاة على النبى) فتجيبهم النساء من وراء الحجاب برفع أصواتهن بالزغرتة حتى يرتج المكان . ومن أبشع المنكر ان تستعمل عبادة من أشرف العبادات فى إثارة هذه المعصية النسوانية، فليحذر من ذلك وليغيره بما قدر عليه.

وقد هجر الناس الصلاة النبوية التوقيفية واقتصروا على غيرها وزاد بعضهم فقال ان غيرها انفع منها، فليحذر من هذا الهجر ومن هذا القول،فمحمد ـ ص ـ أنفع الخلق وأرفعهم . وفعله أرفع الأفعال وأنفعها ، وقولها أرفع الأقوال وأنفعها . فليجعل أصل صلاته الصلاة النبوية المروية وليجعل بعدها ما شاء .

ومن الكتب المشهورة بين الناس في الصلاة على النبي ـ ص ـ كتاب «تنبيه الأنام» وفيه موضوعات كثيرة لا أصل لها فبينما قارئه في عبادة الصلاة اذ هو فى معصية الكذب فليكن منه على حذر .

والله يفتح علينا فى العلم ويوفقنا فى العمل له الحمد فى الأولى والآخرة رب العالمين (1) .

(1) ش : ج 11 ، م 5 ـ غرة رجب 1348 هـ ـ ديسمبر 1529

الـــدعـــــاء

منـــه عـــادة ومنـــه عبـــادة

(الدعاء هو النداء لطلب شيء من المدعو ، ولذلك لا يـــدعى الا العاقل أو ما نزل منزلته مجازا من الجمادات ، أو ما كان له فهم لبعض الاصوات من العجماوات ، واذا كان لشيء معظـم ليطلب منه ما وراء الاسباب العادية وفوق الطاقة البشرية فهو عبادة ولا يكون الا من المخلوق لخالقه واذا لم يكن كذلك فهـو عادة وهو دعاء المخلوقين بعضهم بعضا لغرض من الاعراض) .

الشهاب ج 12 م 6 شعبان 1349هـ

* * *

يجب أن نمهد لمناقشته : (الشيخ الدجوى) ببيان معنى الاستغاثة وتقسيمها ، فالاستغاثة هى طلب الغوث وهو تخليص من شدة أو اعانة على دفع مشقة فهى من أقسام النداء والدعاء، وتكون من المخلوق لخالقه عبادة وتكون من المخلوق لمثله عادة فيدعو المخلوق ويستغيث به فيما هو من مقدوره كقولك يا زيد اسقنى ماء ، ويا عمرو ادعوك لتنصحنى ، وانني فى عسر مالى فأغثنى وفرج عنى بما تقرضنى .

وعلى هذا جاء قوله تعالى : « فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِى مِنْ شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ » فقد طلب منه ان ينصره عليه بما عنده مـــن

القــوة البدنية « فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ » ولم يطلب منـــه أن « يتصرف » له فيه بتصرف باطن وعليه جــاء قوله تعـالى : « وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ » أى طلبوا منكــم النصرة بالقوة التى فى يدكم من العدد والعدة لا أنهم طلبوا منكم أن تنصروهم بطريق الغيب و « التصرف » .

ويدعو المخلوق خالقه ويستغيثه فى تيسير الاسباب العادية فيما هو وراء تلك الاسباب من الالطاف الخفية وما هو فـوق الطاقة البشرية ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : « إِذْ تَسْتَغِيثُـونَ رَبَّكُــمْ » فتوجهوا اليه بالدعاء وطلب التخليص من المكــروه بالنصر على الاعداء . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم بـين ظهرانيهم فلم يستغيثوه لعلمهم أن الاستغاثـــة فيـــما وراء الاسباب لا تكون الا لله .

فعلم من هذا أن الاستغاثة قسمان : استغاثة بما هو فى طوق البشر ودائرة الاسباب وهذه تكون للمخلـــوق لانها عـــادة ، واستغاثة فيما هو خارج عن طوق البشر ودائرة الاسباب وهذه لا تكون الا للخالق لانها عبادة ، وعلى هذين القسمين نزلنــا آيات التنزيل .

أفخفي هذا على فضيلته حتي أخذ يستدل بآية الاستغاثــة العادية التى تكون بين المخلوقين على الاستغاثة التعبدية التى لا تكون الا لله . ان خفاء هذا على مثله لعجيب !

ثم هذا التقسيم الذى ذكرناه فى الاستغاثة هو بنفسه يجرى فى الدعاء ، وما الاستغاثة الا نوع منه ، فما كان منه لشيء معظم ليطلب منه ما هو وراء الاسباب العادية وفوق الطاقة البشرية فهو عبادة ولايكون من المخلوق الا لخالقه ، واذا لم يكن كذلك فهو عادة وهو دعاء المخلوقين بعضهم لبعض لغرض من الاغراض .

ومن الاول قوله تعالى : « فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ » فنصره الله تعالى بما ليس من صنع البشر ، ومن الثانى قوله تعالى : « يَا قَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ » ، فدعا موسى قومه وطلب منهم ما هو فى مكنتهم) .

ج 6 ، م 7 صفر 1350 هـ

جهل هذا كله من كلامنا أو تجاهله بعض الطلبة فادعى علينا بالباطل وكتب فى بعض الصحف يقول : (والملخص مما يدور عليه كلامهم هو كون الدعاء عبادة باطلاق) ثم أخذ بناء على دعواه هذه المبنية على جهله أو تجاهله يندد ويشنع ويتعجب ، وقد وجد مادة ــ د ع و ــ امامه واسعة فنقل معظمها فانتفــخ بها بطن المقال دون أن تكون به حاجة اليها فى المقام .

لا يجوز دعــاء غير الله ولا أحد مع الله :

الدعاء عبادة ، وكل عبادة فانها لا تكون الا لله : فالدعاء لا يكون الا لله ، هذا قياس من الضرب الاول من الشكل الاول مقدمته الصغرى دليلها من نفسها لانها من لفظ الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى وغيره ، ومقدمته الكبرى معلومة من الدين بالضرورة ومن أدلتها « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » فاذا كان سيدى الطالب له المام بقواعد المنطق الاولية فهذا يكفيه ، واذا أراد التوســع فليتفهم ما نقلناه سابقا من المجلد السادس والسابع ، وليراجع بقية ردنا على الشيخ الدجوى فى المجلد السابع وبقية مجالس التذكير فى المجلد السادس ، وليجد الفهم فيما كتبناه فى الدعاء بالمجلد الثامن .

من دعا غير الله فقد عبده :

لما كان الدعاء عبادة فمن دعا فقد عبد ومن دعى فقد عبد ، ولهذا تواردت نصوص الآيات والاحاديث على النهى عن دعاء

غير الله دون استثناء لشيء من مخلوقاته مثل قوله تعالى : « ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً »، « وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعاً »، « أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ » ، « وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ » ، « فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » . وقال عليه وآله الصلاة والسلام في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما : (وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ) رواه الترمذى وقال حسن صحيح . وهو فى الاربعين النووية . فاذا أراد سيدى الطالب أن يزداد بصيرة فليطالع شراحها .

فان قلت ان الداعي للمخلوقات لا يسمى دعاؤه عبادة . قلت ان من فعل ما يسميه الشرع عبادة كان فعله عبادة ، لان العبرة بتسمية الشرع لا بتسميته ، ولأن العبرة فى التسمية الشرعية بالعمل لا بتسمية العامل كمن حلف بغير الله فقد أشرك بتسمية النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك منه شركا فى قوله : (مَنْ حَلَفَ بغَيرِ اللهِ فقدْ أَشْرَكَ) رواه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه ، وان لم يسم الحالف فعله ذلك شركا . وراجع ص : 20 ـ 721 من المجلد السادس من الشهاب تزدد علما .

التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم غير دعائه :

دعاؤه هو الطلب منه قضاء الحوائج وهذا ممنوع بالأدلة المتقدمة ، والتوسل به أن تطلب من الله وتسأله به صلى الله عليه وآله وسلم مثل أن تقول: اللهم اننى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، مثل ما فى حديث الاعمى الذى تكلمنا عليه فى الجزء الثالث من المجلد الثامن ، وذكرنا دلالته على جواز التوسل به عليه الصلاة والسلام ، ومن التوسل به التشفع أو الاستشفاع به وكله بمعنى الطلب من الله به ، فالله هو المدعو وهو المطلوب منه . وهذا كله جائز لا كلام لنا فيه ،

غير أن سيدى الطالب لم يفرق بين دعائه والتوسل به ، فذهب يستدل بالجائز على الممنوع مسويا بينهما ، وما ذكره عن البيهقى وعن العتبى – على تسليم صحته وعلى ما فى سنده – لا يخرج عن التوسل والاستشفاع به صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو غير دعائه وطلب الحوائج منه الذى قامت الادلة على منعه من كل مخلوق لانه من العبادة التى لا تكون الا للخالق ، وما نقله من كلام الشيخ ابن تيمية هو فى بيان ان استجابة دعاء الداعى لا تكون دليلا على أن دعاءه مشروع كما هو صريح كلامه، ويكفى دليلا على مراده هذا هذه العبارة الاخيرة مما نقله من كلامه وهى قوله (فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل على حسن حال السائل فلا) وكون السؤال وقع من بعض الناس له مخالفين أمره ، وقوله اذا سألت فاسأل الله – شىء ، وكونه شرعه لنا ودعانا اليه شىء آخر – وقد خفى على سيدى الطالب هذا القدر من الفرق ما بينهما فجعل سؤال بعض الناس دليلا على المشروعية ، ولو تأمل الفصل الطويل الذى نقل بعضه من كلام الشيخ ابن تيمية لظهر له الفرق جليا .

نصيحة بنصيحة :

نصحنى سيدى الطالب اذا يسر الله لى زيارة القبر الشريف أن أسأله عليه وآله الصلاة والسلام الشفاعة ، وقد يسر الله لى ذلك وله الحمد والمنة منذ عشرين سنة، وقد دعوت الله وحده، وتوسلت له بنبيه، وتوجهت اليه به أن يميتنى على ملته ويجعلنى من أنصار سنته وأهل شفاعته الى أشياء أخرى قد استجاب الله بعضه وأنا أرجو الاستجابة فى الباقى . وجزاء نصيحتك أيها الاخ أننى انصحك بالتأمل الجيد فيما تقرأ وتكتب ، والتثبت التام فيما تعزو وتنقل ، فاننا لا ندين الا بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آية قرآنية أو سنة نبوية

قولية أو فعلية وما كان عليه السابقون مما رواه الائمة فى كتب الاسلام المشهورة ، فعليك اذا نقلت ان تبين الكتاب وتعين المحل المنقول منه ليكون لنقولك قيمة في مقام البحث والنظر ، والله يتولى ارشادك وتسديد خطاك فى سنن العلم والدين .(1)

عبد الحميد بن باديس

---

(1) ش : ج 2 ، م 9 ـ غرة شوال 1351 هـ ـ فيفرى 1933 م .

تبليـــــغ الـرســـالـــة

ملخص المحاضرة التى القاها الاستاذ الامام عبد الحميد
ابن باديس بنادى الترقى بالعاصمة فى حفلة المولد الشريف.

مقـــدمـــــة :

« يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا » .

«سورة الاحزاب ، الآيات 46 ـ 47 ـ 48»

* * *

أيها السادة الحياة ماض ومستقبل وحال ، وماأقل حظنا من الحياة لو حظنا منها هو الحال خاصة . ذلك الجزء اليسير من الزمن الذى ما يجيء حتى يهذب ولا يثبت حتى يزول ولكن حظنا من الحياة كان عظيما بالماضى المديد والمستقبل البعيد . بالماضى اذا كانت لنا ذكريات نشعر بها ، وبالمستقبل اذا كانت لنا آمال نتوق الى تحقيقها ، وانه لتتسع حياة الشخص الماضية بقدر ما تمتد ذكرياته فى سوالف الازمان وتمتد آماله فى غابرها . حتى يكون كأنه ـ وهو شخص واحد ـ قد عاش أعمار الاجيال والامم من السابقين واللاحقين ، فالذكريات والآمال ـ أيها السادة ـ هى مقياس الاعمار .

ذكريات الشخص وآماله فى حياته الخاصة لا تجعله يتجاوز نطاق ما قدر له أن يعيش من أمد محدود قصيرا جدا جدا الى عمر التاريخ الطويل .

ولكن الذكريات والآمال الخارجة عن حياته الشخصية هى التى تجعله كأنه قد عاش الدهور الطوال .

فنحن فى حفلنا هذا بذكرى المولد النبوى الكريم التى هى الثانية بعد الاربعمائة والألف من ولادة محمد بن عبد اللـه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نشعر بالحياة الاسلامية فى هذه القرون كلها حتى كأننا عشناها فعلا .

ونريد أن نحلى شعورنا بهذه الذكرى بذكر ناحية من نواحى حياة هذا النبى الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ليبعث فينا العلم بتلك الناحية آمالا عظيمة فى المستقبل الاسلامى القريب والبعيد ، ويدفعنا الى تحقيق تلك الآمال بما استطعنا . فنكون كأننا نعيش مع الاجيال الآتية من أبناء الاسلام .

المقصـــــد :

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، جاء بالرسالة من الحق ، لهداية الخلق . فكيف بلغ هاته الرسالة ؟ هاتـه هى الناحيـــة التى نريد الكلام عليها .

فصـــل علـــمى :

قد بلغ صلى الله عليه وآله وسلم ، رسالة ربه بالقول والعمل الى آخر رمق من حياته ، وكان تبليغه كما أمره ربه على درجات حسب التدريج الذى هو من سنة الله فى خلقه وفى شرعه .

الدرجة الاولى الامر بالتبليغ المطلق :

بدىء رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الوحى بالرؤيا الصادقة التى هى تلقى الروح من عالم الملائكة عند تخليها بعض التخلى عن الجسد فى حالة النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح، ثم جاءه الملك بالوحى فكان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى : « **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** » ولم يكن فى هذا أمر بالتبليغ لغيره . فرجع الى بيته فأعلم زوجه خديجة رضوان الله عليها فصدقته . وقوته بذكر صفاته العالية وأخلاقه الكريمة الطيبة التى لا يجازى الله صاحبها الا بالكريم الطيب وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ، فقالت له: فوالله لا يخزيك الله أبدا ، فوالله انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكَل، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق ، فكانت هى أول مصدق له . ثم فتر الوحى، ثم رأى الملك المرة الثانية ولم يكن قد اعتادت بشريته رؤية الملائكة، فرجع الى أهله يقول لهم دثرونى دثرونى فدثروه أى غطوه بثياب فأنزل عليه قوله تعالى : « **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** » .

فكان هذا أول أمر بالتبليغ والانذار فكان تبليغه لزوجته وهى مصدقة له، وكان يبلغ الفرد والفردين، وكان أبو بكر الصديق أول من آمن من الناس، وكان علي كرم الله وجهه فى كفالته متمسكا بأذياله ما عرف الا باتباعه، فكان من أول من آمن به .

الدرجة الثانية ـ الأمر بتبليغ العشيرة :

ثم أمر بانذار قومه قريش بقوله تعالى : « **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** » فخرج حتى صعد الى الصفا ثم نادى يا صباحاه وكانت

العرب اذا دعا الرجل بيا صباحاه اجتمعت اليه عشيرته . فاجتمعت اليه قريش عن بكرة أبيها فقال لهم أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل وأن العدو مصبحكم أو ممسيكم . أكنتم مصدقي ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا. قال فانِّي نذيرٌ لكُم بيْنَ يدَىْ عَذَابٍ شدِيدٍ ، ثم قال يا آل كعب بن لؤى يا آل مرة بن لؤى يا آل قصى يا آل عبد شمس يا آل عبد مناف ، يا آل هاشم ، يا آل عبد المطلب ، يا صفية أم الزبير — وهى عمته — يا فاطمة بنت محمد انقذوا أنفسكم من النار انى لا أملك لكم من الله شيئا . فكانت هذه دعوته العامة لقومه من قريش .

الدرجة الثالثة — الامر بتبليغ العرب حوالى مكة :

ثم كان أمره بأن ينذر العرب خارج مكة بمثل قوله تعالى : « وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا» فكان يعرض نفسه على قبائل العرب فى مواسم الحج الى أن كانت بيعة العقبة وايمان الانصار .

الدرجة الرابعة — الامر بالتبليغ العام لمن فى عصره ولمن بعدهم:

ثم أمر بالتبليغ العام بمثل قوله تعالى : « قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » . فكاتب الملوك خارج جزيرة العرب كسرى وقيصر والمقوقس وغيرهم . وقد بلغ من جاء بعده من الامم بما ترك لهم من كتاب الله لقوله تعالى : « لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » ، أى لأنذركم بالقرآن وأنذر من بلغ القرآن فعم ذلك كل من بلغه .

فصل عملى :

كل من آمن بمحمد — صلى الله عليه وآله وسلم — فهو مأمور بتبليغ رسالته على الخصوص والعموم لمقتضى ما نطالب به من

التأسي والاقتداء به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولقوله تعالى : « قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيَ أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي» . فجعل من اتبعه داعيا معه الى الله على بصيرة ولقد عرف السلف هذا فكانوا دعاة الى الله بأقوالهم وأعمالهم المطابقة لها حتى انتشر الاسلام في أقل من ربع قرن في المعمورة ، أما نحن فقد قصرنا في هذا الواجب غاية التقصير . فتركنا تبليغ الدين الى الامم حتى لنخشى أن يكون من أوزارنا بقاء الامم الضالة على ضلالها لتقصيرنا في التبليغ اليها وأكبر من هذا تقصيرنا في تبليغ الدين الى أنفسنا باهمالنا جانب التعليم الديني والوعظ والارشاد .

اليوم وقد عرفنا كيف بلغ النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رسالة ربه فلنعقد العزم على الاجتهاد في التبليغ ولنبدأ بأهلينا ومن الينا ولنفكر ثم لنعمل في تبليغ الدين كما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الى أمة الاجابة وأمة الدعوة، وليكن تفكيرنا في هذا واهتمامنا به ثمرة احيائنا لهذه الذكرى الكريمة وعلمنا بهذا النزر اليسير من حياة ذلك النبي الكريم ولنا ـ بعد عون الله تعالى ـ من الإيمان به والمحبة فيه ما يعيننا على ذلك ويقوى أملنا فيه ويبلغنا اليه .

خاتمة :

أيها السادة قد عدنا من هذه الذكرى بمسألة تبليغ الرسالة وعدنا بأمل تبليغ الهداية وقد انبثق من هذه الذكرى في صدورنا نور وجددت منها في قلوبنا قوة ولن تستطيع ظلمات ظلم الحياة وان كثفت أن تطفىء ذلك النور ولن تستطيع نكبات الزمان وان جلت أن تبطل تلك القوى . أبداننا للايام فلابد لها من تصرفاتها ، أما قلوبنا فهي لنا ، مؤمنة مطمئنة

بدين الله ومحبة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وان قلوبا وضعنا فيها اسم الله واسم محمد لهى بمأمن من عمل الظالمين وكيد الخائنين . فجددوا نورها وقوتها بمثل هذه الذكرى واعملوا لتحقيق ما تحييه فيكم الذكريات من أمل ورجاء ، وأقصروا أعمالكم وجملوها بالاحسان والتقوى . « **إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** (1) .

(1) ش : ج 9 ، م 6 ـ جمادى الاولى 1349 هـ ـ أكتوبر 1930 م .

الــــرّاعـي

من هذا الغلام العربي في عباءته ؟ من هذا الراعي الصغير في غنيمته ؟ من هذا الصبي الناشيء على العمل والرعاية من طفولته ؟ من هذا اليافع الذى يأبى الا أن يعيش من كد يمينه ، ويأكل خبزه الا بعرق جبينه ؟

هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يتيم الابوين مكفول عمه أبى طالب ، الذى كان يرعى غنما لاهل مكة لقومه وأهل بلده بالقراريط حتى لا يكون كلا على عمه . هذا هو المهيـــأ برعايته الغنم ، لرعاية الامم ، هذا هو المنشأ على الكد فى العمل الصغير اعدادا له للنهوض بأعباء العمل الكبير ، هذا هو المربى على العمل بالفلس ، ليشب على خلق الاعتماد على النفس ، هذا هو المعد لختم النبوة والرسالة واظهار أكمل مثال للبشريـــة ، يحمل أعظم آية من وحى الله ، ويدعو الى السعادة الدنيويـــة والاخروية وأقصى ما يمكن أن يصل اليه الناس من كمال .

شبّ محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يتيما فى كفالـــة عمه ، وكان عمه مقترا فى شظف من العيش ، فأخذ محمـــد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يعمل بأجرة ليخفف على عمه ولما شب ضرب فى الارض تاجرا كعادة قومه ، فلما ولد لأبى طالب على كفله . وهو فى الثلاثين ، جزاء على كفالتـــه . فكان فى

طفولته وشبابه وكهولته كواحد من قومه في عيشته وكسبه وأميته . وان كان ممتازا بينهم لخلقه وفضله حتى بعثه الله نبيا ورسولا بما يستحيل — وقد عرفوا طفولته وشبابه وكهولته — أن يكون شيء منه من عنده ، ولذا أمره الله أن يحتج عليهم بقوله « قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ » .

كان محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — ميسرا من طفولته لما كان عليه اخوانه من الانبياء والمرسلين — صلوات الله عليهم — قبله محفوظا مما حفظوا ملهما ما ألهموا وقد ألهم الله الانبياء قبله لرعي الغنم وهي حيوان ضعيف تمرينا على القيام على الضعاف بالحلم والرفق والشفقة وحسن الرعاية باختيار مسارحها ودفع العوادي عنها ودوام تعهدها وذلك كله تهيئة لهم الى ما يوكل اليهم من سياسة أمتهم .

وقد ذكر هو — صلى الله عليه وآله وسلم — هذا العهد من طفولته وهذه العادة الربانية في مثله من اخوانه اعترافا بنعمة الله وتنبيها على ما في ذلك من الحكمة وما فيه من حسن القدوة فقال يوما لاصحابه : (ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : نعم كنت أرعاها على قراريط لاهل مكة) رواه البخاري من طريق أبي هريرة — رضي الله عنه (1).

---

(1) ش : ج 3 ، م 11 — ربيع الاول 1354 هـ — جوان 1935 م .

أعظـم قـائـد
يرجـع الى رأي جنـدي (1)

ارتحل النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من مبيته صبيحة يوم بدر حتى نزل على أدنى ماء اليه وبقى الماء أمامه لو جاء العدو لنزل عليه فيكون الجيشان على ماء . وكان الصحابة يعلمون أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يتصرف بالوحى فيكون تصرفه حتما ويتصرف بالنظر فى السياسة والحرب فيشاور ويراجع وهو المعصوم فلا يقر على الخطأ فانبرى الحباب بن المنذر بين الجموع يبدى رأيه وما يعتقده صوابا فى مكان النزول فقال : (يا رسول الله أرأيت المنزل هذا أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟) .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (بل هو الرأي والحرب والمكيدة) فقال الحباب : (ان هذا ليس بالمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القلب (2) ثم نبنى عليه حوضا نملؤه ماء ثم

(1) من سيرة ابن هشام وغيرها .

(2) القلب ج قليب وهو بئر غير مطوية أى مبنية وعور القليب اذا ردمه بالتراب .

نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون) . أراد أن يستولى الجيش على الماء ويمنع منه العدو فيكون ذلك أنكى فيه وأعون عليه وهذا هو الرأى الموافق لما تقتضيه الحرب من تضعيف العدو ومكايدته بالاسباب التى تسرع بقهره .

وظهر هذا للنبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال له : (لقد أشرت بالرأى) ونهض بالناس حتى نزل المنزل الذى أشار به الحباب وفعل ما أشار به ورجع أعظم قائد الى رأى جندى من جنوده لما ظهر له صواب اشارته .

قد عصم الله نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فلا يستقر أمره فى جميع سياسته وتدبيره الا على أحسن الوجوه بما يهدى اليه من نفسه ــ وهو الكثير ــ وما يرجع اليه مما يشير بــه أصحابه ــ وهو القليل ــ والحكمة فى هذا القليل أن يسن لامته حرية ابداء الرأى فى الشؤون العامة من الكبير والصغير ، والرجوع للصواب اذا ظهر من أى أحد كان .

هذان الاصلان : حرية ابداء الرأى من جميع أفراد الرعية والرجوع الى الصواب من رعاتها ، عليهما تبنى سعادة الامة وعظمتها ، وبهما تشعر الامة بالوحدة بين الرعية ورعاتها ، ومنهما تستمد الامة النظم اللازمة لها فى حياتها ، وقد قررهما الاسلام وبينهما النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ تبيينا عمليا فى هذه القصة (1) .

---

(1) ش : ج 1 ، م 11 ــ غرة محرم 1354 هـ ــ أفريل 1935 م .

خلـّـوا بيــني وبــينَ ناقــتي

كان الأعراب يجيئون للنبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يسألونه ويستجدونه فى غلظة وجفوة من القول فكان يعطيهم ويتجاوز عن جفائهم ويعذرهم ببداوتهم . فجاءه أعرابى يطلب منه شيئا فاعطاه اياه ثم قال له النبى ــ صلى الله عليه وآلــه وسلم ــ : (أأحسنت اليك) ليعرف ما عنده من الاعتــــراف بالاحسان أو ليعرف اكتفاءه بما أعطاه فقال له الاعــرابى : (لا ولا أجملت) أى ما أتيت لا بحسن ولا بجميل .

فغضب المسلمون وقاموا اليه ليوقعوا به جزاء سوء أدبــه فاشار اليهم النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أن كفــوا ثم قام النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ودخل منزله وأرسل الى الاعرابى وزاده شيئا ثم قال له : (أأحسنت اليك) فقــال الاعرابى : (نعم . فجازاك الله به من أهل وعشيرة خيرا) .

هكذا توسل النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الى تأديبه واستخراج الاعتراف بالجميل منه ليتربى عليه وحمله على النطق بالكلام الطيب بزيادة الاحسان اليه . فاعترف بالاحسان ودعا الله بالجزاء للنبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بسبب احسانه وشعر بأن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان له أهــلا وعشيرة ، وهذه كلها معارف وآداب وشعور طيب جاء بها هــذا

الاعرابى الجافى بسبب تربيته بزيادة الاحسان اليه . وأراد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن لا يتركه يرى بين الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ بالعين التى كانوا يرونه بها لجفائه وسوء أدبه وأن لا يترك فى قلوبهم شيئا عليه ، فقال له : (انك قلت ما قلت وفى أنفس أصحابى شىء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك) ، دعاه بألطف القول وألينه دون أمر ولا الزام فقال الاعرابى (نعم) فلما كان الغد أو العشى جاء الاعرابى لمجلس النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لاصحابه : (ان هذا الاعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى . أكذلك ، فقال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا) .

ثم أراد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يضرب مثلا لاصحابه ـ رضى الله عنهم ـ يبين لهم به كيف يكون رد الشارد وجذب النفور وتأليف الجافى ، وان المتصدى لتربية الناس أعرف من غيره بما يصلحهم وان الرئيس المتبوع أعرف بطباع أتباعه وأحق بتأليفهم وتربيتهم من الاتباع بعضهم فى بعض ، فقال لهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها : خلوا بينى وبين ناقتى فانى أوفق بها منكم وأعلم . فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت (بركت) وشد عليها رحلها واستوى عليها) ثم قال لهم : (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار » فقد استحق النار لو مات على تلك الحال فأشفق عليه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فعالجه بما

أنقذه منها وهكذا تكون رعاية الافراد والامم باللين والاحسان والانقاذ من مصارع السوء والحمل بالرفق والعلم على السير في أحسن السبل فصلى الله عليه وسلم من نبي حريص على الخير رفيق بالخلق عليم بطبعهم ، « بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » (1 ، 2) .

---

(1) ذكرها في الشفاء وأصلها في البزار كما ذكره الشراح .
(2) ش : ج 4 ، م 11 ــ غرة ربيع الثاني 1354 هـ ــ جوان 1935 م .

كُنْ خير آخذ

قام قائم الظهيرة و صهرت الارض شمس الصحراء ، فنزل الجيش ليقيل ، وتفرق الصحابة تحت أشجار البادية يستظلون بها ، وانتبذ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن أصحابه تحت ظل شجرة وانفرد بها فنزع سلاحه وعلق سيفه فى غصن من أغصانها ونام . كان غورث بن الحرث أحد شجعان العرب وفتاكهم يتتبع الجيش متخفيا ، يتحين فرصة انفراد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للفتك به،وقد واتته تلك الفرصة الآن ، فجاء حيث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نائم وسيفه معلق بالشجرة ، فاخترط السيف فانتبه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وغورث قائم على رأسه والسيف مصلتا بيده . فصاح الفاتك بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (أتخافنى » ؟ فقال له النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (لا) قال : (ومن يمنعك منى) ؟ فقال : (الله) .

* * *

الاسلام الأعظم ينطق بـه الرسول الاعظم ، وهو أعزل من سلاحه الا سلاح الإيمان ، فقد شهر الباطل سيفه بيد ضـال مغرور ، يريد أن يصيبه فى سيد أنصاره وأعظم أبطاله فلو كان هذا الفاتك جبلا وقد صدعت كلمة « الله » سمعـه لخشع وتصدع ، ولو كان قلبه من حديد لذاب وسال .

انخلع قلب الفاتك واضطربت يده وسقط السيف منها فتناول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ السيف ورفعه على رأسه وقال لغورث : (من يمنعك منى؟ فقال له غورث : كن خير آخذ .

التجأ الفاتك الى حلم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعفوه وكرمه ودعاه الى أن يكون خير آخذ لعدوه ، وخير الآخذين هو الذى يعفو بعد القدرة ، ويسمح بعد الغلب ، وما دعى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الى خير الا أجاب ولا وقع بين أمرين الا اختار افضلهما ، وما انتقم لنفسه قط ، فترك غورثا وعفا عنه فرجع الى قومه يقول لهم : جئتكم من عند خير الناس .

فى هذه القصة تجلت الثقة بالله فى أجلى مظاهرها واندحرت قوة السيف أمام قوة الايمان؛ ايمان من لا يخاف الا الله ولا يخاف غيره، ولو كان السيف مصلتا على رأسه، وضرب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المثل الكامل فى العفو والتجاوز وحسن التآلف للناس وجلبهم الى الايمان فلهذا العفو ولقول غورث لقومه : جئتكم من عند خير الناس ، من الاثر فى القلوب ما لا تفعله الجيوش من فتحها للاسلام أو كفها عن أذى المسلمين (1) .

رزقنا الله الاقتداء بهذا النبى الكريم ذى القلب الرحيم والخلق العظيم (2) .

---

(1) أصل القصة فى الصحيحين والشفاء ومسند أحمد وقد اختلف فى اسلام غورث .

(2) ش : ج 5 ، م 11 ـ غرة جمادى الاولى 1354 هـ ـ أوت 1935 م .

رقيـــة اللـــــه

كان ضماد ـ وهو رجل من ازد شنوءة ـ من أطباء العرب في الجاهلية وكان يعالج بالطب والرقية. قدم مرة مكة، وقد بلغه نبأ الدعوة الجديدة فلما قدمها سمع من سفهائها ما كانوا يرمون به صاحب هذه الدعوة من الجنون فود لو رآه فرقاه لعل الله يشفيه على يديه ، فعمل لذلك حتى لقيه ، فقال : يا محمد ، انى أرقى من هذه الريح ـ ريح الجنون ـ وأن اللـه يشفى على يدى من شاء فهل لك ؟ فما أجابه النبى ـ صلى اللـه عليه وآله وسلم ـ بكلمة ترد عليه ومـا زاد على أن قال : « ان الحمد للـه نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد » فما تركه ضماد يشرع فيما بعد أما بعد ، فقد عملت هذه الكلمات الجوامع عملها من نفسه وأثرت أثرها في قلبه فبادره بقوله : أعد على كلماتك هؤلاء،فأعادها عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثلاث مرات فتجلى لضماد من توحيد الله وتنزيهه والثقة به والاعتماد عليه والحمد لـه ما بهره منه المعنى الكبير الكثير ، فى اللفظ البين القليل ، وعرفه ان هذا لا يخرج من قلب مجنون . وكيف ؟ وهو لم يطرق سمعه مثلهن فيما سمـع من كـلام الناس فقال ، معلنا لايمانه

مبينا لدليله وبرهانه : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن قاعوس البحر (كقاموس ، عمق البحر ولجته) ثم قال : هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : وعلى قومك ؟ فقال : وعلى قومي (1) .

* * *

العبـــرة :

جاء الضماد لا يحمل في قلبه على محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حقدا ولا بغضا ، بل كان ينظر اليه بعين الشفقة نظر الطبيب الى المريض . فلما سمع الحق بلغ من قلبه ذلك المبلغ . فأعظم ما يحول بين الحق وبين الناس وما تنطوى عليه قلوبهم من بغض أو حقد على من دعاهم اليه . فعلى من يريد أن يعرف الحق أن يخلى قلبه ـ ما استطاع ـ من كل احنة على من يريد أن يعرف ما عنده من الحق عندما يريد أن يعرف ، وعلى كل داع الى الحق أن يبذل كل جهده أن لا يظهر بمظهر العدو أو المبغض لمن يدعوه . فانه اذا سلم القلب ، وحصل الفهم أثرت كلمة الحق أثرها لا محالة .

الاســوة :

كتاب الله ومثل هذا الكلام النبوى الوارد فى هذه القصة المأخوذة ، من كتاب الله ، هو الدواء الناجع من أدواء النفوس وأمراض القلوب ، وهو الرقية الشافية ، ـ رقية الله ـ من وساوس الاهواء وهواجس الضلال ، فان النبى ـ صلى الله عليه

---

(1) القصة فى صحيح مسلم .

وآله وسلم ـ لم يزد في استشفاء ضماد على إسماعه ذلك الكلام الجامع المختصر . فعلى الدعاة الى الحـق أن تكون دعوتهم بكلام الله ومثل هذه الكلمات من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فان في ذلك الاتباع والانتفاع ، وحصول الهداية ان شاء الله آمين (1) .

---

(1) ش : ج 3 ، م 13 ، غرة شعبان 1356 هـ ـ 2 ماى 1937 م

الفـــن الادبـــى

فى الحـديـث النبـــوى

(كان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم حادٍ يقال له أَنْجَشَة ، وكان حسَنَ الصوت . وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مسيرٍ له،فحدا الحادي وكان يحدُو بِهن ، فقال له النبىُّ صلى الله عليه وآله وسلم : (ويْحَكَ يَا أَنْجَشَة رُوَيْدَكَ سَوقَكَ بِالْقَوَارِيرِ) قال أبو قلابة فتكلم النبىُّ صلى الله عليه وآله وسلم بكلمـــة لو تكلم بها بعضُكم لعبتُمُوها عليه،قوله :(سوقَك بالقوَارِيرِ) رواه البخارى فى باب ما يجوز من الشعر والرجز والحـــداء وما يكره منه وفى باب المعاريض وغيرهما من طريق أبى قلابة وثابت البناني وقتادة ثلاثتهم عن أنس رضى الله تعالى عنهم وسقناه من مجموع ألفاظهم .

* * *

الأشخـــاص :

انجشة :غلام حبشى كان يحدو فى السفر بالنساء كما كان البراء بن ملك يحدو بالرجال . أبو قلابة:امام شهير من فقهاء التابعين نزل الشام ومات بها .

المفـــردات :

الحدو والحداء : سوق الابل والغناء لها لتنشط وتسرع في السير . ويح،كلمة تقال لمن وقع في بلية أو توقعت له رحمـــة له ، بخلاف ويل،فانها تقال لمن وقع في عذاب أو توقع له وهو يستحقه ولا يرحم فيه ، وانجشة هنا شارف ان يقع في بليـــة كسر القوارير ، فخوطب خطاب رحمة مـــن الوقوع في ذلك . رويدك : مصدر مصغّر بمعنى امهال، القوارير : جميع قارورة وهي الزجاجة ، سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها . القوارير النســـاء .

التـــراكيـــب :

ويحك منصوبه على المفعولية المطلقة بفعل محذوف لـــم يستعمل ، وتقدير الكلام هلكت هلاكك الذى تستحق عليـــه الرحمة . رويدك مثله وتقديره أمهل امهالك . ونصب سوقك على التوسع باسقاط الخافض أى في سوقك ، ولما كان يدعوه الى الرفق اقتضى الحال ان يعبر عن المطلوب الرفق به وهن النساء بالقوارير على طريق الاستعارة التصريحية ، حيث شبهن بها بجامع الرقة واللطف والضعف ، وحذف لفظ المشبه وذكر لفظ المشبه به . فكانت اللفظة المجازية بالغة غاية البيان عن حالة النساء وكان التركيب بها بالغاغاية البلاغة باشتماله على ما اقتضاه حال الدعاء الى الرفق مما صورهن بصورة تدعو الى الرفق وتستوجبه .

المعـــنى :

لما غنى انجشة للابل وعلى ظهورها النساء نشطت واعنقت في السير فاتعبتهن ، فاشفق النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليهن

فأمر أنجشة بالرفق بهن لانهن ضعيفات عن تحمـــل شـــدة الاضطراب فوق ظهور الابل المسرعة .

الفـــــن :

ادراك صفات الشيء على ما هى عليه من حسن وقبح ادراكا صحيحا ، والشعور بها كذلك شعورا صادقا . والتصوير لهـا تصويرا مطابقا ، بالتعبير عنها بعبارات بليغـــة فى الابانـة والمطابقة للحال ، ذلك هو الفن الادبى . والنفوس تميل الى الحسن وتنشرح له ، وتنفر من القبيح وتنقبض عنه ، ولذا كان أكثـر الفـن الادبى فى تصوير الحســن وعرضه عـلى الناس ليشاركوا الفنان في ادراك ذلك الحسن والشعور بـه والتذوق للذة ، ذلك الادراك والشعور ، وفي ذلك تربية لملكة الذوق الحسن في النفوس . وان النفوس لفى اشد الحاجة الى تلك الملكة لتنعم بصتور هذا الكون العظيم وما فيها من حسن فتقاوم بذلك ما تعانيه من متاعب الحياة وأوصابها وتدفع بلذة ذلك الشعور بالحسن ما تجده من آلامها ، واذا رجعت الى القرآن العظيـم فانك تجد العدد العديد من آياته الكريمة يعرض علينا أنواعا من مخلوقات الله تعالى فى صورها الحسنة الجذابة . واقرأ فى ذلك ــ مثلا ــ سورة الرحمن فانك واجد ما قلناه . وكذلك فى الاحاديث النبوية عدد كثير من مثل ذلك،ومنها هذا الحديث الشريف الذى بين ايدينا ، فقد صور النساء فى صورة حسنة جذابة بما فى القوارير من بياض ولمعان ودقة ولطف ، مـــع التصوير لحقيقة حالهن فى الضعف الخلقى وفى الضعف القلبى وسرعة انكسار قلوبهن وعسر انجبارها ، فكانت هذه العبارة آية من آيات الفن الادبى ، التى تدخل على النفوس بهجـــة وانشراحا وتثير فيها حاسة الذوق للحسن والجمال . وقد ألقى كعب بن زهير قصيدته المشهورة فى حضرة النبى صلى الله عليه

وآله وسلم فوصف المرأة والماء الذى مزجت به الخمرة ، والناقة وصورها تصويرا فنيا ولم ينكر عليها[1] لانه لم يكن يصف شخصا معينا يؤدى وصفه الى اثارة الشهوة البهيمية نحوه وانما كان يعرض صورا من محاسن تلك الاشياء التى تلذ للنفوس البشرية صورها الجمالية وتنمى فيها قوة الشعور والذوق .

الـرد على المتشددين :

علم أبو قلابة رضى الله تعالى عنه تشددا وتنطعا مما كان حدثهم بهذا الحديث يحملانهم على الامتناع من الكلمات التى فيها بعض وصف النساء ، فرد عليهم بتكلم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الكلمة التى لو تكلم بها احدهم لعابوها عليه وبين لهم ان لا عيب فيها وفى مثلها مما لا فحش فى لفظه ، ولا قبح فى معناه ولا غاية سوء من ذكره .

فـقــــه :

فى الحديث سماع النساء لصوت الحادى وفيه العناية بهن فى السفر والرفق بهن فيه ، وفيه التنبيه على المحافظة على قلوبهن وعواطفهن ليدوم ودهن وسلامتهن ويـــدوم الهناء معهـــن والاستمتاع بهـن لانهـن ضعيفات القلـوب رقيقـات العواطف شديدات الاحسان (2) ، يصبرن على كل شيء من الرجل الا على كسر قلوبهن ومس عواطفهن فهذا الحديث الشريف من الاحاديث

---

(1) كذا ورد فى الاصل وصوابه (عليه) .

(2) كذا فى الاصل ، وصوابه شديدات الاحساس .

الكثيرة التي جاءت في الوصاية بالنساء والمحافظة عليهن ومراعاة جانبهن ويمتاز هذا الحديث بما فيه من ذكر السبب الذى يوجب ذلك ويقتضيه ، على أبين تصوير وابلغه . فليكن دائما على بالنا في معاملتنا للنساء وحياتنا معهن والله المستعان (3) .

(3) ش : ج 2 ، م 8 ـ غرة شوال 1350 هـ ـ فيفرى 1932 م .

رسول الله يُشتَم بين أيْدينَا ويُهان

لقد تحملنا كل أنواع العذاب ، وصبرنا على كل مكروه نالنا في ديننا ودنيانا ، وعشنا عيشة الذل والهوان التي لا نعتقد أن غيرنا من الامم تحمل مثلها وصبر عليها، فقلنا تجاه كل ذلك : حسبنا الله ونعم الوكيل ، هذا ما قدره الله ولا مرد لقدر الله .

لكننا ان تحملنا عيشة الذل بصبر ، وتحملنا الفتنة في الدين بصبر ، فاننا لا نتحمل ولن نتحمل ، ولو رأينا أمامنا المـــوت الزؤام ، والبلاء الاعظم ، أن تمتد يد الاهانـــة والسوء الى الشخصية المقدسة التي هي أعز على كل مسلم ، منذ انبثق فجر الاسلام الى قيام الساعة ، شخصية محمد رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد انصف الكثير من المؤرخين هذا الرسول الذي هو سيد الوجود ، ودرسوا سيرته الطاهرة فاذا بهم يرونها المثل الاعـلى للاخلاق الفاضلة والنبل ، والشمـــم ، والهمة ، والوفـاء . والاخلاص ، والتضحية ، ولبعض الغربيين في ذلك تآليف جمة، وكتب قيمة .

لكن بعض المؤرخين الذين سفلت أخلاقهم ، وخربت ذممهم ، وأعمى التعصب المسيحي الممقوت بصيرتهم ، قد عمدوا للحقائق

فطمسوها ، وافتروا الاكاذيب حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فقالوا فى محمد بن عبد الله ما سولت لهم أنفسهم الخبيثة أن يتقولوه . والله من ورائهم محيط .

لكننا رغم علمنا بوجود كمية من هذه الحشرات السامة التى لا علم لها ولا فضل ولا شرف فى النفس ، لم نك نعلم أن منها من يتجرأ خبثا وشنآنا على مقام الرسول الاعظم ، وهو فى بلاد عربية اسلامية ، متينة الاسلام ، رغم كل سعى ، ورغم كل محاولة ، محتقرا بذلك دين خمسة ملايين ونيف من البشر الذين تعهدت لهم دولته باحترام دينهم ، وكف يد العدوان عنه ، دائسا بذلك ، وهو فى أرض هى أرضهم ـ وأنفه راغم ـ وهو بين ظهرانيهم ، كرامتهم وعواطفهم ومقدساتهم كلها .

سحقا ودفرا للنفس الخبيثة السافلة ، تسير مع الاغراض والهوى فتعمى عن الحقائق ، وتنكر المحسوس ، وتصادم العلم والتاريخ .

لجريدة « الايكو دالجى » اليومية فى الجزائر ، عبد من عبيد الاقلام المأجورة ، يدعى « روبير راندو » يحرر كل جمعة فصلا أدبيا فيه نقد الكتب الجديدة .

ففى عدد الجمعة 23 أوت 1935 م . أخذ ينقد كتابا ألفه أثنان من كبار الكتاب الفرنسيين ، هما الاخوان : « طاروا » واسم ذلك الكتاب : « فرسان الله » وقد حاول فيه مؤلفاه أن يسطرا تاريخ الاسلام بصفة روائية مستمدة من الحقائق التاريخية ووفقا فى ذلك بعض التوفيق .

لكن « روبير راندو » لم يكد يخط السطور الاولى من هجوه المقذع ، ولا أقول من نقده الادبى ، حتى تورط فى حملة طائشة خبيثة ضد الاسلام وضد التاريخ الاسلامى ، فالفتوحات

الاسلامية عنده كانت « وافدة كالاوبئة الفتاكة ، ماحقة مثل الطوفان » ولم تكن الا سلسلة من الفتك والظلم والارهاق ، وازهاق النفوس بدعوى جلب الناس لدين الله ، الى غير ذلك من الترهات التى لا تهمنا ، فاذا علم الناس أن شخصا مثل راندو يقول هذا ، وأن عالما من أساطين البيان والتفكير والتاريخ يدعى « سيديو » يقول : « لم يعرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب » وأن علما من أعلام البحث والفلسفة هو : « قوستاف لوبون » يقول عن الاسلام ما يقوله في كتابه « المدنيات العربية » علم الناس أى قول يأخذون ، وأى قول يرمون به محتقرين فى سلة القاذورات .

انما نفس « راندو » الخبيثة لم تقف به عند هذا الحد ، بل زادت رسوبا فى حمأة السقوط والدنس ، فتجرأ على مقام رسولنا الاعظم ، منقذ الانسانية ، وفخر السلالة البشرية ، بعبارات بذيئة قذرة ، تدل على نجاسة الاناء الخبيث الذى تدفقت منه .

لم يستح من العلم ، ولم يستح من التاريخ ، ولم يستح من جماعة المسلمين الذين يعيش عيشة الفاتح المتسيطر فى أرضهم فقال ــ قبحه الله من ما كر أشر ــ :

« هو رجل مظلم النواحى (1) فوق الرجال ، به ظاهر من الرحمة والبساطة ، انما له من التحيل والخداع (2) ومن الخيانة والنفاق (3) ما لا يدرك له غور » .

ثم يقول : ان الاخوين « طارو » قد استطاعا أن يصورا محمدا ــ عليه صلاة الله وسلامه ــ بمثل هذه الصورة ، ولهما بذلك أسوة بمن سبقهما من المؤرخين .

لقد دلس « راندو » على الاخوين تدليسا شنيعا . فهما على ما نعلم لم يستعملا فى كتابهما ولا فيما كتبا من قبل مثل هذه العبارات البذيئة التى يتنزه عنها الكاتب الذى يحترم مهنته ، ويحترم كرامته ، ويحترم القلم الموضوع بين يديه ، بل هما فوق ذلك لم يحاولا الحط من قيمة الرسول العربى الاعظم ، ولا من قيمة أصحابه . وان كانا قد وقعا فى أغلاط طالما وقع فيها قبلهم بعض المؤرخين ، وذلك لابتعادهم عن البحث والتنقيب فى كتب التاريخ الصحيحة ، واقدامهم على نقل ما يقع بين أيديهم من غث وسمين .

فكيف يتحمل من فى قلبه ذرة من كرامة ومروءة وشرف ، ولو كان غير مسلم ، ولو كان غير متقيد بدين على الاطلاق مثل هذه الكلمات الجارحة الخارجة عن حدود الادب واللياقة والمروءة والشرف .

ان مثل هذه الكلمات السافلة توشك أن تحدث فتنة نحن فى غنى عنها ، وشر الفتن ما كان مصدره الغضب للدين . واننا لتمنعنا آدابنا الاسلامية ، وتعاليمنا الراقية من أن ننحط لمثل هذا الميدان فنشتم دين الذى يشتم ديننا ، ونحقر اعتقاد الذى يحقر اعتقادنا ، ونصف رسل الامم الاخرى ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ بمثل ما يصف رجال الامم الاخرى رسولنا .

فنحن نستلفت بكل شدة أنظار ولاة الامور ، وخاصة السيد الوالى العام ، والسيد مدير الامور الاهلية ، لمثل هذه الحادثة المزرية بالمروءة ، والمخلة بالشرف ، ونحتج بكل قوانا وبكل ما فى أنفسنا من ألم وكدر وتقزز واشمئزاز على هؤلاء الذين يغتنمون فرصة ضعفنا ورضوخنا ، وأن لا حول ولا قوة بأيدينا فيوغلون فى احتقارنا وامتهان كرامتنا الى درجة شتم رسولنا وسبه ، ووصفه بأحقر الاوصاف .

اللهم انك لتعلم كيف أمسينا وكيف أصبحنا ، اللهم انك لتعلم أن لا قدرة لنا على تغيير هذا المنكر بأكثر من هذا ، اللهم انتقم لرسولك الذى بعثته هدى ورحمة للناس وأنت المهيمن الجبار (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 11 ـ جمادى الثانية 1354 هـ ـ سبتمبر 1935 م .

موضوعات متصلة بصاحب السنة

صلى الله عليه وسلم

ذكـرى المــولد النبــوى الكــريم
فـى (نــادي التّـَرَقِّي) بالعـاصمة

القى الاستاذ الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس فى هذه الذكرى خطابا ارتجله ارتجالا فى ذلك المقـام ونقدمه فيما يلى حسبما بقى فى الذهن فكان طبق أصله الا فى القليل :

بسم اللــه الرحمن الرحيم ، وعلى اسم الجزائر الراسخة فى اسلامها، المتمسكة بامجاد قوميتها وتاريخها ــ افتتح الذكرى (1) الاولى بعد الاربعمائة والالف من ذكريات مولد نبى الانسانية ورسول الرحمة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام ــ فى هذا النادى العظيم الذى هو وديعة الامة الجزائرية عند فضلاء هذه العاصمة ووجهائها .

لسنــا وحدنا فى هذا الموقف الشريف لاحيــاء هذه الذكرى العظيمة ، بل يشاركنا فيها نحو خمسمائة مليون من البشر فى اقطــار المعمور كلهم تخفــق أفئدتهم فــرحا وسرورا وتخضع أرواحهم اجلالا وتعظيما لمولد سيد العالمين .

---

(1) نحن فى سنة 1348 من الهجرة وعاش هو (ص) 53 سنة فى مكة قبل الهجرة فتلك : 1401 سنة فمولد هذه السنة هو الواحد بعد الاربعمائة والالف كما ذكرنا .

قلوب خمسمائة مليون ! هذه قوة كبيرة فى هذا العالم مرتبطة بالحب متدرعة بالايمان . فلــو شعرت حقيقة الشعور ببعضها لاثمرت للانسانية فوائد كبرى وعملت لها أعمالا عظيمة .

بــل تشاركنا في موقفنا هذا الانسانية كلها واذا لم يكــن بلسان مقالها فبلسان حالها . فمن الاسلام الذى جاء به صاحب هذه الذكرى عرفت الانسانية وذاقت حرية العقول والرقاب ، ومنه عرفت وذاقت العدل على اتم معناه ، ومنــه عرفت وذاقت المساواة بــين العباد فيما هــم متساوون فيــه ، وبهذه الاصول العظيمة امكن اشتراك أمم كثيرة تحت رايــة الاسلام فى خدمة العلــم والمــدنية حتى ازهرت رياضهما وسمت صروحهما فى الشرق والغرب واغترقت من معينهما أبناء الانسانية جمعاء .

نقلت المدنية الاسلامية أصول المدنيات السابقة نقل الامين ، ونخلتها نخل الناقد البصير ، وزادت عليها مــن نتائج أفكارها وثمار أعمالها ما كان الاساس المتين لمدنية اليوم .

هذا الذى نقوله يعترف بــه العلماء المنصفون من الغربيين أنفسهم ويشهد به مثل قانون ابن سينا الذى لا زال يدرس الى القرن الثامــن عشر فى جامعاتهم ومثــل مقدمة ابن خلــدون التونسى تلميذ مواطنينا شيوخ تلمسان ، واضع علم الاجتماع المترجمة الى جميع لغاتهم .

كنا نسمع هذا الاعتراف من الافراد ، ولكننا اليوم صرنــا نسمعه مــن الامم ففى العام الماضى كان احتفال اسبانيا أمتها وحكومتها بانقضاء ألف سنة عــلى تأسيس الخلافة الاسلامية فى قرطبة ، ومعنى ذلك الاعتراف لهذه الخلافة الاسلامية العربية بفضلها على مدنية اليوم ، ورفعها منار العلم والعمران أيــام كانت أمــم الغرب فى همجية عمياء ، وفى هذه السنــة كــان

الاحتفال فى جامعة المانيا ببرلين بذكرى أبى القاسم الزهراوى الاندلسى الطبيب الجراح الذى لا تـزال نظرياته واستنباطاته معتمدا عليها الى اليوم . وكان الاحتفال فى القاعة الكبرى التى لا يحتفل فيها الا باكابر العلماء الذين خدموا الانسانية خدمة جليلة . ومعنى هذا : الاعتراف لعلماء العرب بخـدمة العلـم والانسانية فى ظل الاسلام منذ قرون .

فالاسلام الذى جاء به صاحب هذه الذكرى هـو أبو المدنية أمس واليـوم ـ واعنى بمدنية اليـوم المدنية من جهة العلـم والعمران ، لا من جهة الاخلاق والاجتماع فهنالك ما يتبرأ منه الاسـلام .

لا عجب بعـد هذا البيان أن نقـول ان الانسانية تشاركنا بالاحتفال فى هذا المقام .

ما الداعى الى احياء هذه الذكرى ؟

المحبة فى صاحبها .

ان الشيء يحب لحسنه أو لاحسانه وصاحب هذه الذكرى قد جمع ـ على أكمل وجه ـ بينهما . فله من الحسن ما كان به أكمل الناس حتى اضطلع بالقيام باعباء ما جاء به ويعرف ذلك الكمال من درس أى خلق من اخلاقه واى يوم من أيامه . وله من الاحسان ما أنقذ به البشرية وكان رحمة خاصة وعامة ، وعم الانسانية جمعاء على ما قدمنا فى البيان .

فمن الحق والواجب ان يكون هذا النبى الكريم أحب الينا من أنفسنا وأموالنا ومن الناس اجمعين ولو لم يقل لنا فى حديثه الشريف : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين » وكم فينا من يحبه هذه المحبة ولم يسمع بهذا الحديث ؟

فهذه المحبة تدعونا الى تجديد ذكرى مولده فى كل عام .

ما الغاية من تجديد هذه الذكرى ؟

استثمار هذه المحبة .

ان محبتنا فيه تجعلنا نحب كل خلق من اخلاقه وكل عمل من أعماله ففي ذكريات مولده نذكر من اخلاقه ومن أعماله ما يزيدنا فيه محبة ويحملنا على الاقتداء به فنستثمر تلك المحبة بالهداية فى أنفسنا ، ونشرها فى غيرنا تلك الهداية التى لا يسعد العالم سعادة حقة الا اذا تمسك بها .

ماذا نريد ان نذكر في مجلسنا هذا منها ؟

عندما أصل الى هذا المقام وأقف أمام اخلاقه واعماله عليه وعلى آله الصلاة والسلام اجدنى أمام ما يتقاصر عنه علمي ويتضاءل أمامه شخصي وانشد ما قاله شاعرنا العربى :

هو البحر من أى الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله

ومن اين لعاجز مثلى ان يفى خلقا من اخلاقه أو عملا من أعماله حقه من البيان ؟

لكنني سأقول على كل حال حسب جهدى ، واقتصر على ذكر خلقين من اخلاقه أراهما ركنين أساسيين فى حياته وفى شريعته وهما : الرحمة ، والقوة .

اذا أراد الله تعالى شيئا هيأ أسبابه . فمع علمنا بان ما كان له (ص) من الرحمة والقوة هو من العطاء الرباني والفيض الالاهي الذى تقصر عنه وسائل العباد — فاننا لا نمتنع من ذكر ما هيأ الله له من أسباب مناسبة لهذين الخلقين . فمن العبادة الفكرية النظر فى صنع الحكيم العليم فى ربط الامور بعضها ببعض واقترانها في الوجود والتقدير . فلنبحث فى هذين

الخلقين وما هيء لهما من حال مناسب ، وما نشأ عنهما من اخلاق فاضلة ، وما كان لهما من ثمـــار محمودة ، ومظاهر فى حياتـــه وشريعته جليلة جليـــة ــ لنزداد بصيرة فى العلم ، وهداية فى الاقتداء فنقول :

مبـــدأ رحمته :

كان ــ صلى اللـــه عليه وآلـــه وسلم ــ يتيما فى صغره مات أبوه وهو حمل وماتت أمـــه وهو ابن بضع سنوات فاورثه ذلك اليتم رقة في قلبه . وما كانت كفالة جده ولا عمه ، ولا حضانة نسائهم بمغنية عن عطف آلام وحنانها . ولا جابرة صدع القلب من فقدها . وهذه الرقة هى فيه أساس الرحمة .

مبـــدأ قـــوته :

وكان (ص) ابن بيت عظيم ، يشهد مجالس جده عبد المطلب شيبة الحمـــد واعمامه من حـــوله . ويرى هيبتهم ومكانتهم فى قومهم فاورثه ذلك عظمة وعـــزة نفس : عـــزة أنفـــة وإباية ، وعظمة شرف وكرم وترفع عن الدنايا . ولا ينكر تأثير اســـم العائلة وتاريخها ومشاهدة حـــال أفرادها ــ فى ابنائها . وانا أعرف شخصا ما قرأ العلم ولا اجتهد فيه ــ فى أول أمره ــ الا لعلمه بان أجداده كانوا علماء . وهذه العظمة هى أساس القوة .

مظاهـــر رحمتـــه :

كانت رحمته بالمرسل اليهم : ماأدمى ساقه ، وشج وجهـــه وكسرت رباعيته ــ وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهـــم لا يعلمون . وقال تعالى في رحمته بمن أرسل اليهم : « **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ** (قاتل) **نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** » وكان كما قال تعالى : « **بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** » ورحمة للعالم كما قال تعـــالى :ــ « **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** » .

مظاهـــر قــوتـــه :

كانت قوته لتحمل اعباء الرسالة وتبليغها للخلق ، قوة أدبية وقوة حربية . فمن الاولى ثباته في مواقف التبليغ . كقوله لعمه أبي طالب ـ وقد فهم منه انه ضعف عن نصره وانـــه مسلمه ـ : (يا عم والله لو وضعُوا الشمسَ في يمِينِي والقمرَ في يسارِى على ان أترُكَ هذا الامرَ حتّى يُظهرَه اللـهُ أو أهلَك فيه ما تركتُهُ) .

ومن الثانية في ميادين القتال ومواقف البأس كما ولى عنه الناس يوم حنين ـ وهو يقول راكبا على البغلة التي لا يركبها الا من لا يفر ـ : (أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ) . معلنا مكانه مظهرا نفسه امام الاعداء الآتين من كل صوب .

آثار القوة والرحمة في اخلاقه :

كان صلى الله عليه وآله وسلم ـ صادقا أمينا عادلا ـ معروفا بهذه الصفات بين قومه قبل نبوته .

الامـــانـــــة :

هي حفظ الشخص مـــا استودع . وأول ذلك حفظه نفســه فيثق به الناس في حفظ ما يستودعونه .

وقد كانت قريش ـ وهي كافرة به ـ تودع عنده أموالها، ولما خرج مهاجرا ومعه الصديق رضى الله تعالى عنه خلـــف ابن عمه حيدرة على ابن ابي طالب كرم الله وجهه لينام عـــلى فراشه معرضا نفسه لسيوف قريش المتآمرين على قتل النـــبى صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة ، وليرد امانات الناس اليهم ، ويلحقه باهله .

الصدق :

هو قول الحق في جميع المواطن وقد شهد له أبو سفيان ـ وهو اذ ذاك أكبر عدو له ـ في مجلس قيصر بالصدق : سأله قيصر هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ؟ قال (أبو سفيان) لا . قال قيصر قد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

العدل :

وهو الانصاف في الحكم . وقد رضيت به قريش حكما بين كبرائها لما تنازعوا في رفع الحجر الاسود الى محله أيام جددوا بناء الكعبة . ذلك لما عرفوا من عدله .

والرحمة والقوة اساسان لهاته الاخلاق . فمن الرحمة بالنفس وبصاحب الشيء ، ومن القوة على النفس وعلى النزعات والعواطف تكون الامانة ، ومن الرحمة بالمظلوم والقوة على الظالم يكون الحكم العادل . فان القاسي العديم الرحمة لا يبالي بالمظلوم وان الضعيف تكسره رهبة الظالم عن الصدع بالحكم ويقصر عن تنفيذه ـ وضعيف القلب تؤثر عليه المؤثرات حتى مرققات العواطف ولهذا قال جمهور أئمة الاسلام : ان المرأة لا تصلح للحكم لرقة عواطفها وضعف قلبها . فقد تخدعها الدموع الكواذب ، وقد تميل بها عاطفة الحب والقرابة . والصدق ـ وهو مقتضيات الامانة لانه حفظ اللسان ـ لا يقوم به الا رحيم بالسامعين يشفق عليهم لا يخدعهم ، قوي شجاع لا يبالي في قول الحق بهم .

اهتمامه بالخلق :

كان هذا العظيم النفس الرقيق القلب ، الرجل القوي الرحيم ـ يرى انحطاط قومه في المعتقد والاخلاق والمجتمع

فتسمو به نفسه العظيمة عن البقاء فى تلك البيئة المنحطة والوسط المريض . وتأبى عليه رحمته ان يتركهم فيما هم عليه فكان دائم الاهتمام بهم ، دائم التفكير فى الطريق الذى يسلكه لانقاذهم .

انقباضه عنهم :

كان ينعزل عنهم ويذهب الى غار حراء الليالى العديدة حاملا عبء همه غارقا في تفكيره . ولم يكن اختلاؤه فى غار حراء مثل اختلاء متصوفة الهند الذين ينعزل احدهم عن الناس ويذهب فى أودية الخيال لتحصيل حالة نفسية خاصة به يعدها نعيما روحيا . بل كان اختلاؤه وانعزاله للتفكير فى طرق خلاص العالم من الضلال والقيام بخدمة عظيمة عامة للبشر . وشتان ما بين الحالتين .

نبوته :

جاءه جبريل بالوحى وهداه الله بالنبوة الى طريق الخلاص وشرح صدره لما جاءه من الحق ، ووضع عنه عبء ذلك الهم الثقيل وبعثه للعالمين بشيرا ونذيرا .

الرحمة والقوة فى شريعته :

ولو تتبعت أصول شريعته وفروعها وآدابها لوجدتها كلها مبنية على أساس الرحمة والقوة . فليس من الاسلام ذلك التماوت وذلك التمسكن الذى يتظاهر به بعض الناس . وقد قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وقد رأى قوما من هذا الصنف : (لاَ تُميتوُا علينا دينَنَا أَماتَكُم اللّـَه) وقالت عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ وقد رأت قوما يتماوتون فى مشيتهم

من هؤلاء ؟ فقيل لها قوم من القراء، فقالت : (لقد كان عمر سيد القراء وكان اذا مشى اسرع ، واذا تكلم اسمع واذا ضرب أوجع)

ولو بحثت عن أسباب انتشار المملكة الاسلامية المبنية على الشريعة المحمدية لوجدت أصل تلك الاسباب هذين الاساسين : الرحمة والقوة . فان الضعيف مغلوب ، وان القاسى مبغوض ، ولا يسود ويحب ــ كما كان للاسلام ــ الا القوى الرحيم .

رزقنا الله القوة فى قلوبنا وعقولنا وأرواحنا وابداننا . واشعرنا الرحمة بانفسنا وببعضنا وبغيرنا ، انه القوى المتين، الرحمن الرحيم (1) .

ش : ج 9 و 10 ، م 5 ، جمادى الاولى والثانية 1348 هـ اكتوبر نوفمبر 1929 م

على ذكـرى المـولد النبـوي الشريف
التجـدُّدُ في كـل مـولد

ما كانت هذه الدار الدنيا دار بقاء وانما هي دار فناء . وما بقيت عناصرها المادية في الوجود الا بما أجراه الله عليها من سنة التجديد في الخلق ليقوم الجديد مقام ما أتى عليه الفناء .

وهذا الانسان المثال المصغر من العالم الاكبر قال فيه العلماء : انه في كل سبع سنوات تفنى جميع أجزائه الماديـة وتخلفها أجزاء أخرى . فـذاته على رأس السنوات السبع اللاحقة غـير ذاته على رأس السنوات السبع السابقة ، وهكذا حتى يستكمل ما قدر له من البقاء في الدنيا .

وتاريخ البشرية من أقدم عصورها يدل على أنها لم تفارقها هذه السنة : سنة التجديد اثر الفناء .

وقد كان الانبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ، هـم أساس كل تجديد في تاريخ البشرية كل في الامة التى أرسـل اليهـا .

حتى اذا كان الفساد العام في شؤون الدنيا بطواغيت الملك ، وفي شؤون الدين بطواغيت الكهنوتية ، وفنيت معالم الحضارة

بمثـل الحروب الرومانية الفارسية واندثرت حقائـق الـدين وشوهت بالمجادلات المذهبية ، والرسوم والاوضاع البـدعية ـ حتى اذا كان هذا الفساد والفناء العامان أرسل الله تعالى محمد ابن عبد اللـه بن عبد المطلب رحمة للعالمين بالتجديد العـام . فيوم ولادته ـ صلى اللـه عليه وآله وسلم ـ هو يوم ولـد فيه العالم ولادة جديدة .

فلنجعل يوم ولادته من كل عام نعزم فيه على تجديدنا تجديدا روحيـا وعقليـا وأخلاقيا وعمليـا وتاريخيا،تجديدا اسلاميا محمديا في جميع ذلك . لنـولد في عامنا الجديد ولادة جديدة وهكذا نجدد ونتجدد في كل ذكرى مولد .

علينا أن نتفقـد عقائدنا وأخلاقنا وأعمالنا ونعـزم فيما اندثر منها على التجديد، ولنعين بعضها ولنجعله عـلى الخصوص محل العناية الكبرى بالتجديد منا حتى نحاسب أنفسنا عليه في الذكرى الآتية .

أما كاتب هذه السطور فقد عزم على تجديد ما فنى من قلوب المسلمين من عقيدة « انهم بالاسلام هم أفضل الامم » ليدعوهم بذلك الى التمسك بأخلاق الاسلام وآداب الاسلام وعدل الاسلام واحسان الاسلام . اذ في ذلك سعادتهم وسعـادة البشرية كلها معهم والله المستعان (1) .

---

(1) ش : ج 7 ، م 10 ـ غرة ربيع الاول 1353 هـ ـ 14 جوان 1934 م .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم
رجل القومية العربية

لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه . فعناية المرء بنفسه ـ عقلا وروحا وبدنا ـ لازمة له ليكون ذا أثر نافع فى الناس على منازلهم منه فى القرب والبعد ، ومثل هذا كل شعب من شعوب البشر لا يستطيع ان ينفع البشرية ما دام مهملا مشتتا لا يهديه علم ، ولا يمتنه خلق ، ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوماته ولا بروابطه . وانما ينفع المجتمع الانسانى ويؤثر فى سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر الى ماضيه وحاله ومستقبله ، فأخذ الاصول الثابتة من الماضى ، وأصلح شأنه فى الحال ، ومد يده لبناء المستقبل يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه معرضا عما لا حاجة له به أو ما لا يناسب شكل بنائه الذى وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته.

فمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو رسول الانسانية كانت أول عنايته موجهة الى قومه ، وكانت دعوته على ترتيب حكيم بديع لا يمكن ان يتم اصلاح انسانيا أو شعبيا الا بمراعاته فكان « أول دعوته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لعشيرته ، لقوله تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » فلما نزلت صعد الصفا ثم نادى « يا صباحاه » ـ وكان دعوة الجاهلية اذا دعاها

الرجل اجتمعت اليه عشيرته ـ فاجتمعت اليه قريش عن بكرة أبيها ، فعم وخص فقال : (أرأيتكم لـو أخبرتكم أن العـدو مصبحكم أكنتم مصدقي) . قالوا ما جربنا عليك كذبا . قال : (فاني نذير لكم بين يدى عذاب شديد . يا بني كعب بن لؤى ، يا بني مـرة بن لـؤى ، يا آل عبد شمس ، يا آل عبد مناف ، يا آل هاشم ، يا آل عبد المطلب ، يا صفية ، يا فاطمة ، سلوني من مالى ما شئتم ، وأعلموا ان أوليائى يوم القيامة المتقون ، فان تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذلك ، واياى ، لا يأتى الناس بالاعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على أعناقكم فأصد بوجهى عنكم فتقولون يا محمد فأقول هكذا ـ وصرف وجهه الى الشق الآخر ـ غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها ...) ثم وجـه دعوته الى بقية العرب لقوله تعالى : « **لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ** » وهم عامة العرب ، فكان يعرض نفسه عـلى قبائل العرب فى مواسم الحج وما يتصل بها من اسواقهم ، ثم عمم دعوته لقوله تعالى : « **لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** » ، فكاتب ملوك الامم وقد عمت دعوته العرب وتهيأ أمرهم لعموم دخولهم فى الاسلام ، وكان ذلك ايام هدنته مع قريش قبيل فتح مكة . ثم تجد أكثر السور المكية قد وجه فيها الخطـاب الى قريش والى العرب وعولجت فيها مفاسدهم الاجتماعية وضلالاتهم الشركية ، وما كان منهم من تحريف وتبديل لملة ابراهيم،فكان أول الاصلاح متوجها اليهم ومعنيا بهم حتى ينتشلوا من وهدة جهلهم وضلالهم وسوء حالهم وتستنير عقولهم وتتطهر نفوسهم وتستقيم اعمالهم فيصلحوا لتبليغ دين الله وهدى رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للامم بالقول والعمل . ثم لاجل ان يشعروا بأن القرآن هو كتاب هداية لهم كلهم ، وان الرسول لهم كلهم ، أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فعم جميع لهجاتهم ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ يخاطبهم بتلك اللهجات وينطـق بالكلمات

منها ليس من لهجة قريش . وكان فى هذا ما أشعرهم بوحدتهم بالتفافهم حول مركز واحد ينتهون كلهم اليه ويشتركون فيه . وقد نبه على هذا المعنى قوله تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ » فأخبره ان القرآن شرف له ولقومه ـ نزل بلغتهم ونهض بهم من كبوتهم واخرجهم من الظلمات الى النور وهيأهم لهداية الامم وانقاذها من الهلاك وقيادتها لعزها وسعادتها ـ وانهم يسألون عن هذه النعمة . يقول هذا ليعملوا بالقرآن ويعلموا ان شرفه انما هو للعالمين .

على ان العرب رشحوا لهداية الامم التى تدين بالاسلام وتقبل هدايته ستتكلم بلسان الاسلام وهو لسان العرب فينمو عدد الامة العربية بنمو عدد من يتكلمون لغتها ، ويهتدون مثلها بهدى الاسلام . علم هذا فبين ان من تكلم بلسان العرب فهو عربى وان لم ينحدر من سلالة العرب ، فكان هذا من عنايته بهم لتكثير عددهم لينهضوا بما رشحوا له . بيَّن هذا فى حديث رواه ابن عساكر فى تاريخ بغداد بسنده عن مالك الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : (جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فقال : هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل « يعنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم » فما بال هذا « يعنى الفارسى والرومى والحبشى ما يدعوهم الى نصره وهم ليسوا عربا مثل قومه » فقام اليه معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ فأخذ بتلابيبه (ما على نحره من الثياب) ثم أتى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأخبره بمقالته ، فقام النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مغضبا يجر رداءه (لما أعجله من الغضب) حتى أتى المسجد ثم نادى : « الصلاة جامعة » (ليجتمع الناس) ، وقال : ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « أيها الناس ، الرب واحد ،

والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » ، فقام معاذ فقال : فما تأمرنى بهذا المنافق يا رسول الله ؟ قال : « دعه الى النار » فكان قيس ممن ارتد فى الردة فقتل .

تكاد لا تخلص أمة من الامم لعرق واحد ، وتكاد لا تكون أمة من الامم لا تتكلم بلسان واحد. فليس الذى يكون الامة ويربط اجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها الى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة ، وانما الذى يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد : ولو وضعت اخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظر وتباين قصد وتباعد تفكير ، ثم وضعت شاميا وجزائريا ــ مثلا ــ ينطقان باللسان العربى ورأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب فى ذلك كله ، لو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة فى توحيد الامم .

فانظر بعد هذا الى ما قرره هذا النبى الكريم ، رسول الانسانية ، ورجل القومية العربية ، فى الحديث المتقدم ، فقضى بكلمته تلك على العصبية العنصرية الضيقة المفرقة ، فنبه على تساوى البشر فى انهم كلهم مخلوقون لله ، فربهم واحد ، وانهم كلهم من عنصر واحد فأبوهم آدم واحد ، وذكر بأخوة دين الاسلام دين الاخوة البشرية والتسامح الانسانى ، ثم قرر قاعدة عظمى من قواعد العمران والاجتماع فى تكوين الامم ، ووضع للامة العربية قانونا دينيا اجتماعيا طبيعيا لتتسع دائرتها لجميع الامم التى رشحت لدعوتها الى الاسلام بلغة الاسلام . وقد كان ذلك من أعظم ما سهل نشر الهداية الاسلامية وتقارب عناصر البشرية وامتزاجها بعضها ببعض حتى كان ثمرة اتحادها

وتعاونها ذلك التمدن الاسلامي العربي الذى انار العالم شرقا وغربا ، وكان السبب فى نهضة الغرب والاساس لمدنية اليوم . وبذلك أيضا كانت الامة العربية اليوم تجاوز السبعين مليونا عدا لا تخلو منهم قارة من قارات المعمورة .

كون رسول الانسانية ورجل القومية العربية أمتة هذا التكوين المحكم العظيم ووجهها لتقوم للاسلام والبشرية بذلك العمل الجليل . فلم يكونها لتستولى على الامم ، ولكن لتنقذهم من سلطة المسؤولين باسم الملك أو باسم الدين . ولم يكونها لتستخدم الامم فى مصالحها ، ولكن لتخدم الامم فى مصالحهم . ولم يكونها لتدوس كرامة الامم وشرفها ولكن لتنهض بهم من دركات الجهل والذل والفساد ، الى درجات العز والصلاح والكرامة . وبالجملة : لم يكونهم لانفسهم بل كونهم للبشرية جمعاء . فبحق قال فيهم الفيلسوف العظيم غوستاف لوبون : « لم يعرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب. » ، نعم لانهم فتحوا فتح هداية لا فتح استعمار ، وجاءوا دعاة سعادة لا طغاة استعباد.

هذا هو رسول الانسانية ورجل القومية العربية الذى كان له الفضل ـ باذن الله ـ عليهما ، ويشهد المنصفون من غير العرب وغير المسلمين له بهذا الفضل ، ويتغنى العرب غير المسلمين بذكره . وكم دبجت أقلام الكتاب والشعراء من اخواننا نصارى العرب بالشرق من حلل البيان فى الثناء عليه والاشادة بفضله .

هذا هو رسول الانسانية ورجل الامة العربية الذى نهتدى بهديه ، ونخدم القومية العربية خدمته ، ونوجهها توجيهه ، ونحيا ونموت عليها ، وان جهل الجاهلون ... وخدع المخادعون ... واضطرب المضطربون ...

والى اعتابه الكريمة نتقدم بهذه الكلمة فى مولده الشريف ، الذى هو عيد الاسلام والعروبة والانسانية كلها (1).عاد الله فيه باللطف والرحمة على الجميع (2) .

---

(1) كتب الاستاذ الامام هذا الموضوع المولدى على غرار موضوع « العرب فى القرآن » تفنيدا لمحاولات المسخ والتشويه والتغريب ·· التى كان يقوم بها الاستعماريون ــ خداعا وتضليلا ــ فهو رجل الاسلام والقرآن ، يكتب عن العرب من الناحية التى تخدم الاسلام والقرآن ··

(2) ش : ج 3 م 12 ، غرة ربيع الاول 1355 هـ جوان 1936 م ·

الى محمــد أيتهــا الانســانية

أيها المسلمون !

أيهــا العــرب !

أيهــا البشـــر !

أيها المسلمون ! فى مثل هذا اليوم انبثق النور الذى هداكم الله به الى الاسلام ، فأخرجكم من الظلمات الى النور وجعلكم خير أمة أخرجت للناس مادمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللــه ، فعودوا بالذكرى الى حياة هذا النبــى الكريم ، فاستمدوا منها نــور ايمانكم ، وجددوا بهــا صرح توحيدكم ، وحصنوا بهــا قلوبكم مــن جهالات الغفلة وظلمات الشرك ونزغات الشياطين ، وانظروا اليــه فى نشأته ، وقبل نبوته ، كيف كان بعيدا عن حياة الجاهلية وهو بين أهله ، كيف كان يتوجه الى اللــه ، والعرب غارقة فى وثنيتها ، وكيف كان يحمل مما يرى من الشرك والضلال أثقالا ينــوء بحملها ، حتى جاءه الحق الصريح ، والهدى البين ، والنبأ الصادق ، والرسالة العامة ، فقام بأعباء مثـا حمل ، مبلغا عن الخالق ، شاهدا عــلى الخلق ، مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى اللــه باذنه وسراجا منيرا ، فجاهد وجالد وصبر وصابر ، وقضاها ثلاثا وعشرين سنــة ،

مثالا أسمى للاحسان والكمال ونورا ساطعا للاجيال ، حتى تمم الله النعمة وأكمل الدين ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وتركها بيضاء نقية لن يهلك عليها الا هالك . فالى هذا الطريق أيها المسلمون ، ففيه نجاتكم وسعادتكم الى يوم الدين .

أيها العرب : فى مثل هذا اليوم ولد النبى العربى ، فتفتحت العروبة عن زهرة ماضيها ، وبذرة مستقبلها ، فوصل الله به مجدكم القديم بمجدكم الحديث ، وأشاع لغتكم فى الالسنة وتفكيركم فى العقول ، وعنصركم فى الامم ، فخلدتم فى التاريخ ، خلود التاريخ ، وبقيتم على الزمن ، بقاء الزمن ، فعودوا بالذكرى الى حياة هذا العربى العظيم ، كيف نشأ فى صميم العروبة ، وترعرع فى أحضانها ، ودرج على الكريم الصلب من أخلاقها ، فحدب عليها ، عمره كله ، يهديها ويحوطها ويجمع أشتاتها ويؤلف وحدتها ، يكونها ليكون الله الامم بها ، ويرشحها للسيادة ، لتسود بها البشرية جمعاء . فمافارق الدنيا حتى تركها أمة شعرت بعزتها ، وعرفت غايتها ، وأخذت للحياة عدتها ، وتقدمت للبشرية تحمل مشاعل العلم والحرية والاخاء العام ، فمن حياة هذا العربى الصميم ، استمدوا ــ أيها العرب ــ حياتكم ، وعلى ما شاده من ماضيكم ، ابنوا حاضركم ومستقبلكم ومن تاريخه الحافل ، استوحوا مناهج حياتكم ، ومن سيرته الجليلة ، اجمعوا عناصر نهضتكم ومواد بنائكم القومى ، فلسانه لسانكم ، وقوميته قوميتكم ، وتاريخه تاريخكم ، فاتخذوه مثلكم الاسمى فى الحياة ، تتخذكم الحياة مثلما كنتم ، مثلها الاسمى وقادتها الراشدين .

أيها البشر : فى مثل هذا اليوم ، ولد محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فولدت الانسانية ولادة جديدة وأشرق على الكون نور لم يلح من قبل ، أضاء لبنى آدم طريق العلم والعمل والحرية

والسلام فى حظيرة الاخاء العام ، فعودوا بالذكرى ، الى حياة هذا الرجل الانسانى ، كيف أرضعته بدوية عربية وحضنته أمة حبشية ، وتبنى مملوكا رقيقا ثم اتخذه أخا ومولى ، ثم عقد ألوية الامارة للموالى على العرب ، غير مرة ، وأدنى بلالا الحبشي وسلمان الفارسى وصهيبا الرومى ، لفضلهم وسابقتهم على كثير من كبراء العرب وساداتهم وذاق آلام الانسانية فى اليتم والفقر والفقد ، وباشر العمل فى الرعى وتاجر ، وبلا الحياة فى الشدة والرخاء والسلم والحرب ، فقضى حياته يرفع طبقات وضعها الظلم والجهل ، ويخفض طبقات رفعها الطغيان والجبروت حتى سوى بين بنى آدم ، فى الكرامة البشرية ، وأسقط اعتبار الاجناس والالوان فى الافضلية ، وأعلن أن لا فضل لاحد على أحد الا بتقوى الله ، فعودوا الى الاصول التى جاء بها هذا الرجل ، انها جربت ، فصحت تجربتها ، فقد بنيت عليها مدنية ، ما فى مدنية اليوم من خير هو من أثرها .

ولن تسعد الانسانية الا بالاحترام والتسامح والتعاون وبالوفاء فى التعاقد .

وتلك أمهات مما جاء به ، فاتبعوه تعيشوا فى رغد آمنين (1) .

(1) البصائر العدد 164، السنة الرابعة 13 ربيع الاول 1358 هـ الموافق لـ 5 مايو 1939 م .

تحيـــة المولـــد الكريـــم

ألقيت ليلة حفلة جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة

حييــت يــا جمـــعَ الادب ورقيــت ساميـــةَ الرتـــبْ

وَوُقِيـــتَ شـــرَّ الكائـديـ ـن ذوى الدسـائس والشغـبْ

ومُنِحْـت فى العليـــاء مـــا تسمـــو اليــه مـــن أربْ

* * *

أحييت مـولـد مـن بـــه حِبِـيَ الأنـــام عـلى الحِقَـبْ

أحييـــت مـولـــده بمـــا يُبـرى النفوسَ مـن الوصبْ

بالعلـــــــم والآداب والـــ ـأخـــلاق فى نـــشءٍ عجبْ

* * *

نـــشءٌ عـلى الاســـلام أُسْــ ـسِّ بنائـه السـامي انتصبْ

نـــشءٌ بحُـــبِّ محمـــدٍ غـــذَّاه أشيـــاخٌ نجـــبْ

فبِـــهِ اقتـــدَى فى ســـيره وإليـــه بالحـــق انتســـبْ

وعـــلى القلـــوب الخافقـــا تِ اليـــه رأيتـــه نصـــبْ

بالـــروحِ يَفـديهـــاَ ومـــا يُغــرى النّفـوسَ من النشبْ

وبخُلقـــه يَحـــمِي حمـــا هـــا أو ببـارقـــة القُضُـبْ

حــتى يعــــودَ لقومــــــه مـــن عِزّهـم ما قــد ذهــبْ
ويـــرى الجزائـرَ رجعــت حــقَّ الحيـــاةِ المستلَـــبْ

* * *

يــا نشءُ يــا ذخـرَ الجــزا ئـر فى الشــدائـد والكُرَبْ
صـدحـت بـلابِلُـك الفصـا حُ فمــمَّ مَجمعَنــاَ الطـربْ
وأذقْتَنــاَ طعْمـــا مـــن الـ فصـحى ألَـذَّ مـــن الضــرَبْ
وأريـــت للأبصــــار مــــا قــــد قرّرتْـه لـك الكتُـبْ :
« شعــبُ الجزائـــر مسلــمٌ والى العروبــة ينتســـبْ »
« مــن قال حال عــن أصلــه أو قــال مــات فقــد كـذبْ »
« أو رام إدمـاجـــا لــــه رام المحــال مــن الطلــبْ »
يــا نشءُ أنـــت (رجاؤنــا) وبك (الصباح) قد اقتــربْ
خـــذ للحيـــاة سـلاحهـــا وخض الخطـوب ولا تهــبْ
وارفـــع منـار العـدل والـ إحســان واصــدم مــن غصبْ
وأذق نفـــــوس الظالميـــــ ن الســـمَّ يُمــزَجُ بالـرهبْ
واقلـع جـــذورَ الخائنيـــ ن فمنهــمُ كــلُّ العطـــبْ
واهـــزز نفـــوس الجـامديـ ـن فربمــا حيِيَ الخشـــبْ

* * *

يــا قـــومُ هـــذا نشؤكـــم والى المعـــالي قـد وثـــبْ
كــونـوا لــه يكــنْ لكـــم والى الأمـــام ابنـــاً وأبْ

* * *

نحن الاولى عرف الزما نُ قديمَنا الجمَّ الحسبْ
ومَعينُ ذاك المجد في نسلِ العروبة ما نضَبْ
وقد انتبهنا للحيا ة آخذين لها الأهبْ
لنحلَّ مركزنا الذى بين الأنام لنا وجبْ
فنزيد فى هذا الورى عضواً شريفاً منتخَبْ
ندعو الى الحسنى ونو لي أهلَها منا الرغبْ
من كان يبغى وُدنا فعلى الكرامة والرحبْ
أو كان يبغى ذلنا فله المهانةُ والعربْ

* * *

هذا نظامُ حياتِنا بالنور خُطَّ وباللهبْ
هذا لكم عهدي به حتى أُوَسَّدَ فِى التُّرَبْ
فاذا هلكتُ فصيحتي تَحْيَاَ (اَلْجَزَائِرُ) و (العرب)

---

(1) ش : ج 4 ، م 13 ·
قسنطينة يوم الاثنين 13 ربيع الاول 1356 هـ - 11 جوان 1937 م ·

القوميـــة والانســانيــة

القيت ليلة احتفــال جمعية التربية والتعليــم الاســلاميــة بالمــولد الشــريف ـ بقسنطينــة

الحمــــد للـــه ثـــم المجـــد للعــــربِ
مَــن أنجبــوا لبَــنِى الانســان خـيرَ نــبيِ
ونشـــروا ملـــةً فى النـــاس عـــادلـــةً
لا ظلـــمَ فيهـــا عـــلى ديـــن ولا نسَـــبِ
وبـــذلـــوا العلـــم مجـانـــا لطـالبـــه
فنـــال رُغْبَـــاهُ ذو فقـــر وذو نشَـــبِ
وحـــرروا العقـــلَ مـــن جهـــل ومـــن وهَـــم
وحـــرروا الديـــنَ مـــن غِـــشٍّ ومـــن كـــذِبِ
وحـــرروا النـــاسَ مـــن رقِّ الملـــوك ومـــن
رق القَداســـة باســـم الديـــن والكتـــبِ
قَـــومـــي هـــم وبنُـــو الانســـان كلُّهـــم
عشـــيرتى ، وهـــدى الاســـلام مطَّلَـــبِى
أَدعـــو الى اللـــه لا أَدعـــو الى أحـــد
وفى رضى اللـــه مـــا نرجـــو مـــن الرَّغَبِ (1)

---

(1) ش : ج 3 ، م 14 ، غرة ربيع الاول 1357 هـ ـ فيفرى 1938 م .

السياسة في نظر العلماء
هي التفكير والعمل والتضحية

بهذه الابيات ختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس خطابه التاريخي في الجلسة الختامية للمؤتمر الثاني لجمعية العلماء في سنة 1937 م . (*)

أشعبَ الجزائرِ روحِي الفِـدى لمـاَ فيكَ من عِــزةٍ عربيـّةْ
بَنَيْتَ عـلى الديـنِ أركانَهـا فكانتْ سـلامـاً عـلى البشريّةْ
خَلَدتُـم بهـا وبكـم خلَدَتْ بهـذى الديـارِ عـلى الأبدِيَّةْ
فدُوموا عـلى العهدِ حتَّى الفَنَا وحتى تَنالُوا الحقوقَ السنيـّةْ
تَنالُـونَهـاَ بسواعِدِكُـم وإيمَانِكم والنفـوسِ الابيـّةْ
فضَحُّـوا وهـاَ أنـا بَينكُـمُ بِـذاتِي ورُوحِي عليكم ضَحيةْ

* * *

(*) ش : ج 6 م 13 ، غـرة جمادى الثانية 1356 هـ أوت 1937 م.أدرجناها لاهميتها ولان الاستاذ الامام لم نعرف عنه في مجال المنظوم غير ما أوردنا في هذا الكتاب .

اشهدي ياسما

إِشْهَدِي يَاسَمَا وَاكْتُبَنْ يَا وُجُودْ
أَنناَ لِلحِمَى سنكُونُ الجنُودْ
فَنزِيحُ البَلاَ ونَفُكُّ القُيُودْ
ونُنيلُ الرِّضَى مَنْ وَفَى بالعُهُودْ
ونُذِيقُ الرَّدَى كُلَّ عَاتٍ كَنُودْ
فَيَرَى جيلُنَا ذِكْرَيَاتِ الجُدودْ
ويَرى قومُنا خافِقاتِ البُنُودْ
وَيُرَى نَجمُنَا لِلعُلا في صُعُودْ
فتَضُمُّ اسمَنَا صفحاتُ الخلُودْ
هَكَذَا هَكَذَا هَكَذَا سَنَعُودْ
فَاشهَدِي يَاسَمَا واكتُبَنْ يَا وُجُودْ
أَنَّنَا لِلْعُلاَ أَنَّنَا للخُلُودْ (*)

(*) هذا النشيد ارتجله الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس في حفل اقامته مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة يوم 27 رمضان 1356 هـ بمناسبة احياء ليلة القدر ، وقد أدرجناه لاهميته .

نشر في جريدة البصائر عدد 92 بتاريخ 20 شوال 1356 هـ 24 ديسمبر 1937 م .

ملحقات

درس ختـم المـوطـأ

كما نقله في وقت الالقاء بعض التلامذة وقد اجتهد ان يؤدي اغلب المقصود .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم . وبه ثقتي وأستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأسعد الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يمده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله .

أما بعد ، فان خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد، وشر الامور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة .

بالسند المتصل الى الامام أبى عبد الله مالك بن أنس رضى الله عنه قال : (أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وبه قال مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لى خمسة أسماء . أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » .

* * *

السنـــد :

روى مالك هذا الحديث مرسلا ، ورواه عنـه كذلك يحيى ابن يحيى والاكثرون ، وجـاء مرويا عنه مسندا عـن محمد

ابن جبير بن مطعم عن أبيه . وكثيرا ما يروى مالك الحديث مسندا ومرسلا . ولا يرسل مالك ولا يأتى ببلاغ فى الغالب الا وهو على علم بمن يترك من السند ، انه محل الثقة والقبول والاعتماد . فاما اذا شك فانه يصرح بشكه . وتصريحه بالشك حين يشك يدلنا على ما عنده من العلم واليقين عندما يسكت دون ان يصرح بالراوى . ومن الدليل على أنه اذا كان على شك من الامر يصرح ما تقدم لنا قريبا فى باب التعفف عن المسالة فلما روى عن العلاء بن عبد الرحمن قوله : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله » قال لا أدرى أيرفع هذا الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم أم لا .

ثم ان هذا الحديث قد جاء مسندا فى الصحيحين وغيرهما .

* * *

المتن :

فى قوله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء مفهومان : مفهوم الحصر ومفهوم العدد ، فأما الاول فمن تقديم الجار والمجرور ، واما الثانى فمن لفظ خمسة ، لكن المفهومين ليسا سواء فان مفهوم العدد غير معتبر كما هو اصح الاقوال ، نعم يسئل عن وجه الاقتصار على هذا العدد اذ كان هناك غيره ، فان النبى (ص) له اسماء كثيرة قد أنهاها بعضهم الى الالف . فاقتصاره هنا على ذكر خمسة لابد ان يكون لوجه اقتضى الاقتصار عليها . ووجه ذلك أنها هى التى سمى بها فى الكتب المنزلة وهى الخمسة التى يختص بها وليس لغيره الفاظها ولا معانيها كما سيتبين ، واذا كان سمى بغيرها فى الكتب المتقدمة فهذه هى الاشهر والاكثر ، وكفى بهذا الذى ذكرنا وجها لتخصيصها بالذكر .

واما مفهوم الحصر في قوله لي خمسة اسماء أي ليست لغيري ، فهو مفهوم معتبر وهو حصر صحيح ثابت من جهة المعنى ومن جهة اللفظ .

فاما الاول فاننا نجد معانيها ليست الا له (ص) مختصا بها بين اخوانه من الانبياء والمرسلين (ص) وهم المشاركون له في الكمالات ، ولكن الله يفضل منهم من يشاء بما يشاء ، لا لنقص في المفضل عليه ولكن لخصائص زائدة في المفضل ، واما الثاني فكذلك أيضا على ما سنبين .

« أنـا محمّد » مشتق من الحمـد،والحمد هـو الثناء بذكر الكمالات والصفات الفاضلة المشتملة على مـا هو مـن صفات الذات أو من صفات الافعال وعلى ما هو من باب الكمالات أو من باب الانعام . وانما يعتبر من الثناء ما كان حقا وصـدقا بمطابقته للواقع وبمطابقته لما في القلب . ومحمد اسم مفعول مـن حمد المضاعف العين وهو يقتضي التكثير فالمحمّد هـو ذو الخصال الكثيرة الحميدة التي تقتضي حمده مـرة بعد أخرى . فالمحمود هو من وقع عليه الحمد ولو مرة ، واما المحمد فالذى يكثر حمده . وهو في الاصل صفة وقد نقل من الوصفية الى العلمية ، وجعل دالا على الذات المسماة بهذا الاسم .

والمسمى له بهذا الاسم هو جده عبد المطلب بالهام من الله . والالهام من الله هو ما يوفق الله اليه العبد ويهديه اليه دون علم سابق ولا دليل ظاهر وانما هي هداية ربانية تكون بارشاد القلب الى الشيء الملهم اليه . فهذا الاسم النبوي علم منقول من الصفة ، وهو وان كان موضوعا للذات ، فان الواضع يلاحظ عند الوضع معنى تلك الصفة التي نقل منها . ويدل لهذا مـا جاء ان عبد المطلب لما سئل عن تسمية ابنه بهذا الاسم ولم يكن

من اسماء آبائـــه وأجداده،ومن عاداتهم ان يحيوا ذكر آبائهم واجدادهم بتسمية أبنائهم بأسمائهم. أجاب اني لأرجو أن يحمده أهل الارض كلهم. فدل هذا على ان العربي الواضع للعلم الوصفي يلاحظ معناه لما كان صفة ، وبهذا يكون هذا الاسم وغيره ـ مع العلمية ـ منطويا ومشتملا عــلى الثناء عليـــه . ولهذا يعبــر القاضي عياض بقوله · « فمن خصائصه تعالى له (ص) ان ضمن اسماءه ثناءه ، فطـــوى اثناء ذكره ، عظيم شكره » ومـــا كانت الاسماء منطوية على الثناء الا مع ملاحظة ما كانت عليه قبل العلمية .

والثناء الذى يشتمل عليه هذا الاســم الشريف هو مـــا دل عليه من كثـــرة خصاله التي يحمـــد عليها ويكون حمده عليها متجددا . وهذا قد تحقق وهو واقع مشاهد فانه (ص) قد حمده الخلق ويحمدونه دنيا وأخرى ، ويزداد ذلك في المواطن التي يزداد علم الناس بما أعطاه الله من كمالات وما أظهر على يده من انعامات ، ويزداد علمهم بذلك بقدر ما يزداد تقدمهم في العلم والمعرفة ، حتى أننا نرى في عصرنا هذا من غير المسلمين ممن ينصفونه فيذكرون من كمالاته والخير الذى أصاب البشرية على يده فيشكرونه ويكررون الثناء عليه . فاما من أهل الايمان بـــه فهو شهـــير ، ثم ان الخلق كلهم يوم القيامة يحمدونه بما يشاهدون من النعم التى اعظمها وأجلها موقفه في الشفاعة العامة فيحمدونه الحمد المتجدد المتكرر عندما يشاهدون ما لم يكونوا من قبل يعرفون .

« وأنا أحمد » وهو مشتق أيضا من الحمد غير أن فعله حمد السالم المسند الى الفاعل وهـــو علـــم منقول من اســـم التفضيل والاحمد هو الاكثر حمدا من غيره، وقد علمنا أن النقل تصحبه تلك الملاحظة ، فقد سمى أحمد على اعتبار أنه أكثر الخلق حمدا

لله فالخلق كلهم يحمدون الله بلسان الحال أو بلسان المقال ، وهو أكثرهم حمدا لله على كل حال .

هذا وقد ذهب قوم الى أن أحمد من فعل حمد المبنى للنائب على معنى أنه أكثر محمودية من غيره . وتنتفى مرادفته للاول بجعل الاول راجعا للكمية أى لكثرة الصفات التى يحمد عليها ، وجعل هذا راجعا للكيفية أى أفضلية ما يحمد به . والذى يقرر هذا هو الامام ابن قيم الجوزية ويقول فى تقريره « لو كان أحمد من المبنى للفاعل لكان الاولى أن يسمى حمادا لانه هو الذى يفيد كثرة الحمد »، وهذا من هذا الامام على جلالته سهو وغفلة، فان أحمد عندما يكون منقولا من اسم التفضيل المسند للفاعل يفيد تفضيله على جميع الحامدين المقلين والمكثرين ، فهو الاكثر حمدا لله من كل من أقل أو أكثر . وأما حماد فانما يفيد كثرة حمده ومن كثر حمده قد يساويه أو يفوقه فيه غيره ، فاما أحمد فيفيد ـ خصوصا مع حذف المتعلق ـ أنه بلغ من كثرة الحمد الى مقام كان فيه أكثر حمدا لله من كل حامد .

على أن هنالك شيئا آخر لابد من ملاحظته وهو أن الاسمين يراد بهما الدلالة على تكميل الله له من ناحيتين : الناحية التى يكون فيها فى مقام التعظيم والتكريم بالثناء عليه وهو ما يقتضيه اسم محمد . والناحية التى يكون فيها فى مقام الخضوع والخشوع بحمده لله تبارك وتعالى وثنائه عليه ، وهو ما يقتضيه اسم أحمد المنقول من المسند للفاعل ، فمحمد دلنا على مقامه الاول الذى يكثر فيه له الحمد ، وأحمد دلنا على مقامه الثانى الذى يكثر فيه منه الحمد ، ودلنا على أنه فى هذا المقام قد فاق سواه وكان فيه لا نظير له ، وهذا المعنى لا يمكن أبدا أن يستفاد من حماد . على أن أحمد المأخوذ من المسند الى الفاعل هو الذى

يجرى القياس ، والمتبادر الى الاذهان عند سماع اسم التفضيل هو الاسناد الى الفاعل ولا يفهم الاسناد الى المفعول الا بقرينه .

وحمده لله الذى فاق فيه كل حامد لا يكون الا عن إيمانه ومعرفته لكمالات الله وانعاماته،فيقتضى انه فاق فيهما جميع الخلق والايمان والمعرفة يقتضيان الطاعات الظاهرة والباطنة فيكون قد فاق في الطاعة جميع الخلق وبهذا كان هذا الاسم متضمنا لاكمل الثناء عليه بانه أكمل عبد لله علما وعملا .

وهذان الاسمان الشريفان مرتبان في التسمية بهما للخلق ، والاسبق منهما عند قوم وهم الاكثرون هو أحمد وهو الذى سماه الله به في الانجيل كما في سورة الصف : « وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِيَ اسْمُهُ أَحْمَدُ » ثم محمد الذى سماه به جده توفيقا من الله ، وهو اسمه فى القرآن العظيم كما فى سورة الفتح : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » فالسابق اذا هو أحمد . والذين يذهبون الى هذا يقولون ان الترتيب بينهما فى التسمية على حسب الترتيب الذى بين المقامين المدلولين لهما ، فان المقام الاول هو مقام عبوديته وحمده الله ، والمقام الثاني هو مقام كماله باخلاقه وصفاته وأعماله . فهو قد حمد الله أكثر الحمد فى مقام عبوديته ، فجازاه على ذلك بان كان محمودا مكررا حمده فى مقام كمالاته ، والجزاء من جنس العمل ، فهو ما كان محمدا حتى كان أحمد ، وهذا ترتيب ظاهر وجيه . ويكون وجه تقديم اسم محمد فى هذا الحديث على هذا القول أنه أشهر أسمائه وانه اسمه فى القرآن العظيم .

وذهب قوم الى أسبقية اسمه محمد وأنه سمي به فى التوراة واستدلوا على هذا بأدلة ، ونقلوا من التوراة نقولا ، ووجه التقديم لاسم محمد على هذا القول انه نظر الى أنه يوجد على فطرة الكمال ويشب على الكمالات والاخلاق الفاضلة التي يتكرر

حمده عليها . وقد حمده أهله صبيا رضيعا ، وحمده قومه شابا سويا وسموه بالامين ، ثم لما أنعم الله عليه بالنبوة كان أحمد الخلق لله بما كان له حينئذ من العلم بكمالات الله وانعاماته . وهو وان كان مفطورا على الايمان والعلم والكمال وقد كان حامدا لله من يوم ادراكه ، لكن حمد النبي الرسول ليس كحمد من لم يكن بعد نبيا رسولا . فعلى هذا النظر من الترتيب يظهر وجه الاسبقية لاسم محمد على هذا القول .

« وأنا الماحي الذى يمحو الله بى الكفر » والمحو هو الازالة . وفسر لنا صلى الله عليه وآله وسلم هذا الاسم دون الاسمين السابقين لأن اشتقاقهما كاف في ظهور معناهما ، بخلاف الماحى فانه قد يخفى المراد منه باعتبار الشيء الممحو ، ولذلك بينه بقوله الذى يمحو الله بى الكفر .

وهذا المحو الذى كان به (ص) اما علمى واما عملى ، وقد حصل المحو به (ص) للكفر علميا وعمليا ، فاما الاول فقد جاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأدلة قاطعة وبراهين ساطعة على صدقه فى كل ما جاء به من الحق والهدى والنور،جاء من ذلك بما لم يأت به غيره ، وكل ذلك محو وازالة للكفر فى العالم العلمى . واما الثانى فانه (ص) جاء والارض فى ظلمة من الكفر بين ضلال أهل الكتاب ووثنية المشركين وأنواع أخرى من كفر الكافرين ، فدعا الى الله وصبر وجاهد ، فما مات (ص) حتى انتشر الاسلام فى جزيرة العرب كلها التى كانت سببا فى انقاذ البشرية ومصدرا لهدايتها ، فهذا محو عملى ، ومحو آخر وهو انه (ص) قد زويت وطويت له الارض حتى شاهد مشارقها ومغاربها ، وقيل له انه ستبلغ دعوته الى ما زوى له منها . وقد كان ذلك كذلك ، ففى الامد القصير ظهر الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ، وانمحى سلطان الكفر ، وانهدت عروش

الجبابرة : عرش القياصرة بالشام ، وعرش الاكاسرة بالعراق ، وتتابع المحو والازالة .

قال : يمحو الله لان الخلق انما هو لله . ويقول : بى لانه هو السبب . ويفيد المضارع ان المحو يتجدد ، وكذلك كان ، فما زال المحو العلمي يتجدد فما نجمت ضلالة الا وكان فيما جاء . به حجة دامغة لها ، وما زال المحو العملى كذلك يتجدد والاسلام يتتشر من نفسه انتشارا لا يلحقه فيه غيره ممن ينفقون فى نشر نحلهم الاموال الطائلة ، ويسخرون القوات المتنوعة الهائلة ، وليس انتشاره فى خصوص الامم المنحطة بل فى الامم الراقية والذين سبقوا اليه منها هم علماء مما يدل على أن أكبر آيـات الاسلام هى آياته العلمية الخالدة ، فالمحو يتجدد تجددا مشاهدا مستمرا بهذا النبى الكريم عليه وآله الصلاة والسلام .

« وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي » الحشر الجمع وتقدير الكلام على اثر قدمي وجمع الناس على اثر قدمه كناية عن اتباعهم له . والمعنى ان الله يجمع الناس كلهم على شريعته جمعا تشريعيا ، فلا يقبل من احد شيئا الا باتباعه فى شريعته والسير على اثر قدمه ، سواء أكان من أهل الملل الاخرى أو من أهل ملته ، فلا نجاة لكافر من ضلال الكفر الا باتباع شريعته . ولا نجاة لمسلم من ضلال البدعة الا باتباع سنته .

ويفيد المضارع فى قـوله يحشر أن هذا الجمع متجدد لان شريعته دائمة وسنته باقية ،فما من جيل الا وهو مكلف بالسير عـلى قدمه ، وذلك معنى تجدد جمع الناس جمعا تشريعيا عـلى اتباعه . واسند الحشر لنفسه في قـوله الحاشر لانـه الكاسب المباشر المبلغ عن الله شرعه لعباده ، وقال يحشر ، باسناد الحشر الى الله وحذف الفاعل للعلم به من المعنى وسياق الكلام . لانه

هو الخالق المشرع على وزان قوله تعـالى : « حَتَّىٰ إِذَا جَـاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ » وقوله : « ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا » .

« وأنا العاقب » هو الذى يخلف شيئا ويأتى بعده وهو صلى الله عليه وآله وسلم جاء بعد جميع الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وخلفهم . وقـد جاء فى رواية مسلم مفسرا فقال « وأنا العاقب الذى لا نبى بعده » وعند غير مسلم « الذى لا نبى بعدى » وأفاد بالتفسير انه لا يعقبه غيره فهو خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

تقدم لنا فى صدر الدرس أن قـوله (ص) لى خمسة اسمـاء يقتضى اختصاصه بها ، وهو اقتضاء صحيح ومطابق للواقع ، فهذه الاسماء ليست الا له اذ لم يسم الله نبيا ولا رسولا بواحد منها ، فهو مختص بالتسمية بها من اللـه بين سائر اخوانه من الأنبياء والمرسلين (ص) .

نعم قد سمى بعض العرب ابناءهم محمدا قبل البعثة بقليل وهم نفر قليل ولم يعرفوا بنبوة ومنهم من أسلم فكان من اتباع النبى (ص) فكان ذلك القليل النادر فى حكـم العدم ، عـلى أن المقصود بتخصيصه تخصيصه مـن بين سائر الانبياء ، والشىء انما يفضل بالنسبة لمن فى منزلته ، فمحمد (ص) لما تذكر فضائله وخصوصياته انما تذكر بالنسبة للانبياء والمرسلين فاذا قلنا ان محمدا (ص) خص بكذا بهذا الاسم مثلا فمعنى ذلك اننا لا نجده لمثلـه من الانبياء والمرسلين . فهذا الاختصاص اللفظى بهـذه التسمية .

وكذلك هو مختص بها من جهة معانيها ، فله من الكمالات التى يتحـلى بها والانعامات التى جعله اللـه سببا فيها والمواقف التى يقفها ما ليس لغيره ، فليس ينال غيره من الحمد مثل ما يكون له ،

من الله ومن الناس ، وهو يقابل تلك النعم الربانية عليه بالحمد فلا يكون الحمد من احد مثل الذى يكون منه لله . وكفى فى هذا حديث الشفاعة الثابت المشهور فانه لما يخر ساجدا للـه يفتح عليه بانواع من الحمد لم يكن يعرفها هو من قبل ، فقد بلغ فى حمده لله مقاما لم يبلغه احد . ولما يتقبل الله شفاعته العامة فى فصل القضاء يحمده أهل الموقف كلهم فى ذلك المقام المحمود ، فقد بلـغ من حمـد الناس لـه مقاما لـم يبلغه غـيره . فبـان اختصاصه (ص) بمعنى الاسمين الشريفين محمد وأحمد دون جميع الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

وكذلك الاسم الثالث فانـه مختص بمعنـاه ، واذا راجعنا تواريخ الانبياء والمرسلين (ص) فاننا لا نجد أحدا منهم محيى به من الكفر ما محيى بمحمد (ص) ، ولنقتصر على هذين النبيين الكريمين موسى وعيسى (ص) ؛ فانتم تعرفون مـن القرآن مـا قاسى موسى من بنى اسرائيل الذين ما جفت أقدامهم من مـاء البحر حتى قالوا «ٱجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ»، وما تقصه كتبهم بـدل انهم لم ترسخ لهم قـدم فى الايمان فاى محـو هنا . واما عيسى (ص) فقد رفعه اللـه اليه وما آمن به الا افراد ثم بقيت دعوته مغمورة . وما انتشرت النصرانية المنسوبة اليه باطلا الا بعد ثلاثمائة سنة على يد ملك بيزنطا قسطنطين . على انهما (ص) لم يرسلا رسالة عامة حتى يعم المحو بهما ، وانما ارسلا رسالة خاصة لبنى أسرائيل كما لم يأتيا من الآيات بمثل ما أتى بـه لمحو كـل كفر وباطل ، وكفى بآيـة القرآن الخالدة على الزمان المتجددة على الاجيال . فهذا يبين لكم ان المحو العلمى والعملى باكمله واشمله انما هو خصوصية له عليه الصلاة والسلام .

ولعلكم تقولون ان العرب قد ارتدت بعد موته (ص) فاين هو المحو ، فالجواب ان الردة لم تكن عامة ، فان الاكثر والاظهر

هم الذين ثبتوا على الاسلام والطاعة لخليفة رسول الله (ص) ولم يبدلوا شيئا ، وطائفة كثيرة بقيت على الاسلام وانما امتنعت مـــن أداء الزكاة ، وهذه هي التي توقف عمر وغيره في قتالها ، وشرح الله صدر أبي بكر لقتالها ، ورجع الصحابة (ض) اليه ، وطائفة أخرى ارتدت عن الاسلام جملة كأصحاب طليحة وسجاح ـ وقد راجعا الاسلام بعد ـ والاسود ومسيلمة وكان في غمار هؤلاء المرتدين افراد من المؤمنين يقاومون وتوقفت طائفة تنتظر لمن تكون الغلبة .

وكان السر الاكمل في هـــذه الردة عـــلى تفصيلها ان يتبـــين للناس ان الذين اتبعوه اتبعوه لانه نبي لا لانه عربي .

لقد ثبت المحو به مباشرة في الاكثر الاظهر ، وثبت المحـــو بواسطة خليفته ومن معه ممن انطبق عليهم قول الله : « **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** » والمحو على يد هؤلاء السادة محو به ، وهكذا كل محو يقع على يد اتباعه الى يوم الدين فهو محو به وله مثل حسنات مباشريه على قاعد السابق للخير والبادىء به والداعي اليه .

وكذلك الاسم الرابع فهو مختص بمعناه لان اللـــه لم يجمع الناس جمعا تشريعيا على نبي قبله فقد كان النبي يرسل الى قومه خاصة وأرسل هو (ص) الى الناس عامة .

وكذلك الاسم الخامس فهو المختص بختم الانبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليهم اجمعين .

* * *

هذه الاسماء الشريفة نأخذ منها حظ العلم وحظ العمل،فأما حظ العلم فقـــد تقدم ، واما حظ العمل فعلينا اذا علمنا معنى

اسمــه محمد أن نستكثر من الاخلاق الطيبة والاعمال النافعــة والمواقف الشريفة مما ننال به الحمد من الله والناس .

وعلينا اذ علمنا معنى اسمه أحمد أن نكثر من حمد الله على نعمــه نعــم الخلقة ونعــم الهــداية فنحمده اجمالا وتفصيلا ، ويتضمن هذا علمنا بهــذا النعــم وذلك يقتضي توسيع دائــرة معلوماتنا بخلقه وبشرعه . فنتناول كل ما نستطيع من العلوم والمعارف التي توصلنا الى ذلك وتدلنا عليه .

وعلينا اذ علمنا معنى اسمه الماحي أن نعمل على محو الكفر والضلال والشر والباطل وكل ما ينهى عنه الاسلام وما ابتدعه المبتدعون وحملوه ايــاه . نمحو ذلك كلــه من انفسنا وحيثما استطعنا ولا سبيل الى هذا المحو الا بالعلم والعمل واظهار الاسلام بسلوكنا في الحياة أمام الناس في مظهره الصادق الصحيح فاعظم ما محي به الكفر، سلفنا الصالح،هو هديهم وسلوكهم وتطبيقهم للاسلام تطبيقا صحيحا عــلى الحياة في انفسهم وفي غــيرهم في جميع الاحوال .

وعلينا اذ علمنا معنى اسمه الحاشر أن نتقيد بشريعته وسنته فلا نقول ولا نعمل ولا نعتقد الا ما لا يخرج عنهما ، فيكون قولنا دائما ما ذا قال محمد (ص) وماذا فعل وكيف كان في مثل هذا الموقف في مثل هذه الحال في كل ما نقفه من مواقف وما يعترضنا من أحوال ، وبهذا نكون قد حشرنا أنفسنا على اثره . وعلينا ان ندعو الناس الى اتباع شريعته وسنته بما نبين لهم من براهين الحق وأدلة الصدق وبما نذكر لهم من محاسنه ومحاسن ما جاء بــه ، وبذلك نكون قــد عملنا عــلى حشر ما استطعنا من الناس عــلى شريعته،وجمعنا ما امكننا من القلوب على تعظيمه ومحبته،وفي ذلك الخير والسعادة للناس اجمعين .

وعلينا اذ علمنا معنى اسمه العاقب وهو الخاتم ان نرد كل ما يحدثه المحدثون من زيادة في شريعته ، ونعد كل من يأتي ذلك ويتظاهر بالاسلام دجالا من الدجاجلة ، وقد اخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه يكون بعده دجاجلة وكذابون وأولهم مسيلمة والمتنبئون الكذبة فلا قول الا قوله ولا هدى الا هديه ولا اسلام الا ما جاء به .

* * *

ها ان مالكا ـ رحمه الله تعالى ورضى عنه وجازاه عنا أحسن الجزاء ـ قد ختم كتابه الجليل بهذا الحديث الشريف المشتمل على هذه الاسماء النبوية الكريمة فهل هناك من نكتة ؟

ان هذا الموطا هو أقدم كتاب لنا ألفه امام عظيم من اتباع التابعين ، وهو كتاب يعلمنا العلم والعمل ، ويعرفنا كيف نفهم وكيف نستنبط وكيف نبنى الفروع على الاصول ، يعطينا هذا كله وأكثر منه بصريح بيانه وبأسلوب ترتيبه للاحاديث والآثار والمسائل . وان شراح هذا الكتاب الجليل لم يوفوه حقه ـ فى نظرى القاصر ـ من هذه الناحية وهى من أعظم نواحيه .

ومما هو مشهور من ابتكار مالك فى كتابه هذا الكتاب الجامع الذى ختم به الموطا فانه نظر الى مسائل عديدة من أمهات الشريعة فى العقائد والاخلاق والآداب والاحكام وغيرها فنظمها فى سلك واحد وسماها بالكتاب الجامع وهذه الاصول التى نظمها فى هذا الباب بنى عليها من جاء بعده فروعا وعقد عليها أبوابا كالبخارى وغيره .

وان مالكا لم يذكر فى موطئه كتابا خاصا بالسيرة النبوية كما فصل ذلك غيره ممن جاء بعده ، ولكنه ذكر أسماءه الشريفة (ص) فكفاه ، وذكر اسمائه متضمن لسيرته (ص) فكفاه فى ذكر حياته (ص) أن يذكر أسماءه .

ولما كانت سيرته من بدايتها الى نهايتها هى المثال الصادق للشريعة كلها والسفر الجامع للدين الاسلامى كله . ختم كتابه بهذا الحديث المشتمل على هذه الاسماء المتضمنه لها . وهو كالتحصيل بعد التفصيل .

ونكتة أخرى وهو ان كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فاننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال فى حياتنا الفردية والاجتماعية ، والمثال الكامل لذلك كله هو حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى سيرته الطيبة ، فهذا الحديث بعدما تقدمه من الكتاب كله مثل الغاية من الوسيلة .

فسيرته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هى الجامعة لمحاسن الاسلام والغاية لكل كمال .

ومن أبدع المناسبة لختم الكتاب ان كان آخر هذه الاسماء الشريفة هو العاقب ، والعاقب هو الخاتم ، عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وجميع الآل والتابعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (1) .

(1) ش : ج 7 . م 15 ـ رجب 1358 هـ ـ أوت 1939 م .

الاحتفـال بختـم المـوطأ

بقلم الاستـاذ
الشيخ الجيلاني بن محمد

بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم

استهـــــلال :

وبعد . فان من دواعي الغبطة والسرور وبواعث البهجة والارتياح أن أزف الى المسلمين كافة والى ابناء الوطن العزيز خاصة هذه البشرى الجليلة والمفخرة الخالدة بختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس لموطأ امام الائمة ومستودع الشريعة مالك بن أنس ـ ض ـ بعد ما قضى فى خدمته وهداية الامة به درسا بضع عشرة سنة بعمل متواصل وجد جاد يحرر أسانيده ويعزز مسانده ويرفع مراسله ويستجلي اسراره ويكتسح به غيوم البدع وضلال العقائد ، فهذب العقول وطهر النفوس وحرك الهمم وقوى العزائم وأفعم الصدور بأنوار السنة المحمدية . فانزاحت دياجي الجهل وشبه الضلال وعوارض الغفلة وعوامل الجمود واستفاقت الأمة من سباتها العميق على ضوء السنة الوهاج فاندفعت تعمل لصالح الدارين ورائدها كتاب الله وسنة رسول الله وهدى السلف الصالح .

ويسرني جدا أن أزف هذه البشرى الثانية بختم الحديث الشريف الى القراء الكرام بعد أن يكون قد استقر في أيديهم العدد الخاص من « الشهاب » يحمل بين جوانحه البشرى الاولى بختم تفسير القرآن العظيم مدبجة أصوله ومحررة فروعه بيراع العالم العلامة أديبنا الاكبر وكاتبنا البليغ الاشهر الاستاذ البشير الابراهيمي فهي بشرى على بشرى وخير يقفوه خير وفتح بعد فتح ونهوض بكتاب الله وسنة رسول الله يستتبع — ان شاء الله — نهوض الامة وتقدمها ماديا وأدبيا اذ لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها . فما أعظمها من منة وما اسبغها من نعمة .

كان ختم الاستاذ الجليل — حفظه الله — للموطا لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني عام 1358 — الموافق لفاتح جوان 1939 وكان الاحتفال به رائعا وطيب حديثه في الحواضر والبوادي ذائعا ، وأريج عرفه في المجالس والنوادي متضوعا .

وسيرى القارىء وصف هذا الاحتفال العظيم فيما بعد ان شاء الله .

ان من أراد أن يصلح أمة قد عششت في اذهانها البدع ، وامتصت قوتها العقلية أدواء الجهل الفتاك،والتهمت حرياتها سلطات المستبد،واثقلت عاتقها فوادح الخطوب،يجب عليه — قبل كل شيء — ان يعتام لعلاجها انجع الادوية وأقوى المراهم رتقا لكلومها،ولا دواء أنفع لامة هذه علتها ، وهذا مرضها من معالجتها بكتاب الله،وتضميد جراحاتها بسنة رسول الله ، فهما ترياق كل علة وبلسم كل مرض .

وقد ظهرت على الامة الجزائرية — والحمد لله — علائم الشفاء وطلائع الابلال وبوادر الصحة بعدما قضى هذا الحكيم النطاسي

في معالجتها بكتاب الله وسنة رسوله ، ردحا من الدهر بذل فيه جهده وروحه، يتتبع هذه الادواء ويتقصاها في كل حاضرة وفي كل قرية،في كل سهل وفي كل جبل،يقتل البدعة ويحيي السنة، يطارد الجهل ويحارب الامية، يميت اليأس من النفوس ويبعث فيها الامـل،يغشى البلدة أو القرية وقلوب أهلهـا متفرقة وأهواؤها متشاكسة وآراؤها متضاربة فلا يبرحها الا والقلوب مجتمعـة، والاهواء متحدة، والآراء متعاضدة، شعارها الوحيد قوله جل شانـه « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ » .

ولعل ابلغ الظواهر دلالة يقظة الامة وتفشي روح النهوض في أفكـار أبنائها وسريان الهداية النبوية فيها . ذلك التطور الفكري الذي نـراه يزداد يـوما فيـوما بالرغم مـن العراقيل المنصوبة في سبيله والسدود المضروبة لايقافه . ولكنه تيـار إلهي قوي فاض على النفوس لا يمكن ايقافه ــ ان الله بالغ أمره ــ ولو كره الكافرون .

فختم كتاب الله وسنة رسول الله في هذه الديار التي حل فيها الطارىء محل الاصلي،والسالب محل الكاسب،والدخيل محل الاصيل،على ضرب من الاسلوب يشرح ــ بحـق ــ فصول الحياة المعقدة للامة ويوضح لها مناهج السلوك ويأخذ بيدها في طريق لاحب وصراط سوي . هو ختم مؤذن بختم عصر الجمود والركود واقبال عصر النهوض والتقدم .

الحديث الشريف هو المصدر الثاني ــ بعد كتـاب الله ــ للتشريع الاسلامي وهو البيان الشافي والتحليل الفلسفي لكتاب الله،قال تعالى : «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» وتبيينه يكون بأقواله ــ ص ــ وافعاله وتقريراته،فالصد عن الحديث صد عن الذكر الحكيم والانحراف عنه انحرف عـن شرعة القرآن الكريم .

ولقد نال الحديث الشريف من الحيف والاعراض ما نال القرآن العظيم فقد انصرف الناس عنه انصرافهم عن القرآن وضلوا متشبثين بكتب ملئت بالاقوال الجدلية والمماحكاة اللفظية والالغاز التركيبية التي لا تجدى نفعا :

وبعد فان الموطأ الذى نحن بصدد الحديث عنه هو من أصح كتب الحديث وأعمها نفعا لما اشتملت عليه من صحيح الاخبار وبالغ الاثار. قال الشافعي – ض – ما على ظهر الارض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك . وفى لفظ ما وضع على الارض كتاب هو أقرب الى القرآن من كتاب مالك – ولاحظ انها شهادة الشافعي – وقال القاضى أبو بكر بن العربي فى شرح الترمذى : (الموطأ هو الاصل واللباب ، وكتاب البخارى هو الاصل الثانى فى هذا الباب وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى) وقد شمله مالك – ض – بعناية عظيمة واحتفاء كبير فاجال فيه يد التهذيب والتنقيح حتى أخرجه على هذا الاسلوب العجيب والشكل الجميل من حسن الترتيب وسهولة التعبير واتقان الوضع واجادة الصنع وصحة الخبر وغزارة الاثر ذكر ابن الهباب أن مالكا رحمه الله روى مائة ألف حديث جمع منها فى الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة ويتخير بالآثار والاخبار حتى رجعت الى خمسمائة . وقال سليمان بن بلال لقد وضع مالك الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث أوأكثر ومات وهى ألف حديث ونيف يخلصها عاما فعاما بقدر ما يرى انه أصلح للمسلمين وأمثل فى الدين .

وقال سعدون الورجينى من قصيدة فى فضل الموطأ :

فبادر موطأ مالك قبل فوته
فما بعده – ان فات – للحق مطلب

ودع للموطـــأ كـــل علـــم تـــريـــده
فـــان الموطـــأ الشمس والعلـــم كـــوكـــب

هـــو الاصـــل طـــاب الفـــرع منـــه لطيبـــه
ولـــم لا يطيـــب الفـــرع والاصـــل طيـــب

هـــو العلـــم عنـــد اللـــه بعـــد كتابـــه
وفيـــه لســـان الصـــدق بالحـــق معـــرب

لقـــد اعربـــت آثـــاره ببيـــانهـــا
فليس لهـــا في العـــالمـــين مكـــذب

هذه شذرات من كلام الائمة نظما ونثرا فى فضل الموطأ تبين لنا انها اعظم كتاب فى السنة الشريفة وأجل تراث خلفه لنا مالك ــ ض ــ وجزاه عن الاسلام خيرا . فخدمة هذا الكتاب خدمة لكتاب الله ونشر لهداية رسول الله وتعميم لما انطوى عليه من خيرات وأسرار بين المسلمين.وقد قام بهذا العمل الجليل وفاز بهذا الاجر الجزيل استاذنا الجليل عبد الحميد بن باديس رعاه الله وجزاه باحسن ما يجازى به.عباده المخلصين .

أسلوب الاستاذ الحكيم فى التدريس :

الاساليب ثلاثة أسلوب علمى، وأسلوب خطابى،وأسلوب أدبى، وأبرع الناس فصاحة وأقواهم عارضة وأبلغهم تأثيرا فى النفوس وأشدهم أخذا بمجامع القلوب وأقدرهم استيلاء عـلى العقول الجامحة والاهواء المستعصية . من رزق المقدرة على هذه الانواع ووهب ملكة التمييز بينها والاقتدار عليها فكان أسلوبـه فى التدريس غير أسلوبه فى الخطابة واسلوبه فيهما غير اسلوبه فى الادب، ثم كان في كل واحد من الثلاثة أقدر على التعبير وامهر فى التصوير واحذق فى التقرير ، فلا تعجزه عبارة ولا يفوته مـــراد .

والاستاذ الحكيم رجل آتاه الله ما كان به موصوف تلك الصفات ومنعوتها ومبتدأها وخبرها . يصوغ المعانى الغزيرة فى الجمل القليلة النبيلة قد خرجته بلاغة القرآن وفصاحة الحديث والجيد من كلام العرب منظومه ومنثوره .

من ابرز صفاته فى التدريس – بل وفى الحديث المعتاد – العربية الفصحى فلا يجنح للعبارات العلمية ليستعين بها ولا الكلمات الدورية التى يعتادها بعض المدرسين فى كلامهم .

وأما أسلوبه فى التفسير والحديث فهو بأسلوب الاستاذ الامام محمد عبده أشبه واليه أقرب وأبرز ميزاته فيهما التطبيق والتحقيق وسوق العبر وصوغ العظات .

وصف الحفلة الرائعة بختم الموطا :

قبيل الاحتفال وجهت مراسيم الدعوة الخاصة للعلماء والادباء والاعيان من عمالة قسنطينة مصحوبة ببيان الزمان والمكان،وتألفت لجنة أدبية للنظر فى شؤون الحفلة وكانت متشكلة من:الاديب الناشط السيد أحمد بوشمال مدير مجلة (الشهاب) الغراء،وأساتذة مدرسة التربية والتعليم،وكاتب هذه السطور وفى قاعة مكتب المدرسة قررت اللجنة برنامجها الادبى مساء يوم الاثنين على الساعة الثامنة .

وما كادت الشمس تجنح للغروب أصيل يوم الاربعاء حادى عشر ربيع الثانى حتى تقاطرت وفود الدعوة على مدرسة التربية والتعليم المحروسة حيث وجدوا اخوانهم القسنطينيين ينتظرون قدومهم السعيد بمزيد التشوق،فتهللت الوجوه، وتفتحت الشفاه ببسمات المودة واللقاء،ونطقت الالسنة بالتحيات المباركة والترحيبات القلبية،وتعانقت الارواح قبل الاشباح، وتكاملت الوفود فى المدرسة.وبعد أداء صلاة المغرب انبرى أهالى

قسنطينة المضاييف الكرام يتنافسون في تكريم ضيوفهم ـ كما هى عادتهم ـ فذهبوا بتلك الوفود الكريمة النازلة على الرحب والسعة الى بيوتهم لتناول وجبة العشاء . وما كاد مؤذن العشاء يعتلى المنار حتى تكاملت تلك الوفود المكرمة فى الجامع الاخضر المعمور جيث يؤدون صلاة العشاء ويسمعون بعدها درس الختم من الاستاذ الحكيم . وبعد الفراغ من الصلاة وضـــع كرسى الدراسة في وسط الجامع وحلق حوله الوفـــود والمستمعون وانتظمت الصفوف الامامية من العلماء والادباء . ولما اتسقت قلائد الحلقات واكتمل نظام الصفوف وعلت السكينة وســـاد السكوت كأن على الرؤوس الطير، طلع الاستاذ مـــن مقصورته كالبدر ليلة تمامه في موكب من الجمال الالهى والجلال النبوى ، فاشرأبت الرؤوس لطلعته المباركة وتطلعت النفوس وخفقت الافئدة فى الصدور خفقة السرور فاعتلى كرسى الدراسة وانشأ ينشر على مستمعيه الكرام تلك الدرر الغالية والحكم البالغة بفصاحة نادرة وبلاغة ساحرة ونبرات موسيقية تمتزج بالارواح امتزاج الماء بالراح ، فهز النفوس بعظاته (الحسنية) وخلـــب العقول بتحقيقاته العلمية وابحاثه النفيسة .

استغرق في الدرس نحو ساعة ونصف مرت كلمح البصر من شدة فناء الارواح فى لذة الدرس واغرق النفوس فى الاصغاء ـ واللذائذ الروحية أوسع من الزمن ـ وختم الاستاذ درســه بدعوات مأثورة وتلى على الحاضرين آخر ما كتب بنسخة الموطأ اليدوية الاثرية فبين أنها مكتوبة بخط صاحبها فى القـــرن السابع الهجرى فيما أظن ـ .

ولما انتهى الدرس وصداه يتردد فى النفوس ومعانيه السامية تملأ فضاء القلوب،أمر الناس بالجلـــوس فى أماكنهم فقدمت اليهم صحون الزلابيا التى تبرع بها الكريم الخير المفضال السيد

الحاج حموش، فتناولوها شاكرين مسرورين هاتفين بحياة العلم والعلمـــاء .

ثم بالغ القسنطينيون الكرام فى الحفاوة والتكريم فتقدموا لسائر الحاضرين بمضخات ماء الزهور فضمخوا الجميع حـتى عبقت الروائح وامتزج مسك الختام بطيب الوئام . ثم خرجت تلك الجماعات المباركة ـ وعبارات الشكـــر والثناء ـ مـلء الافواه ـ تتهادى فى انهج المدينة الجميلة قاصدة مدرسة التربية والتعليم المرعية حيث تجدها مفتحة الابواب مهيأة الاقســام مفسوحة الردهات والجوانب مزينة بالاضواء تتوسط هالتهــا الجميلة ثريا كهربائية عظيمة قلبت ليلها نهارا وجدرانها نضارا

هنالك ـ وقد ذهب الهزيع الاول من الليل ـ اقيمت للوفود الكريمة حفلة أدبية شيقة هدرت فيها شقاشق الخطباء وصدحت بلابل الشعراء وسالت فيها أحاديث الانس الممتعة، وكان المشرف على الحفلة كاتب هذه الجمل بالحاج من زميله الاديب السيـد أحمد بوشمال فصعد منبر الخطابة وارتجل كلمة وجيزة باسم طلبة الجامع الاخضر المعمور رحب فيها بالزائرين، ونوه بأعمال الاستاذ الجليلة وأياديه البيضاء، ثم أخذ يقدم اخوانه الخطبــاء والشعراء واحدا فواحدا فتقدم الاديب السيد محمد الغسيرى الاستاذ بالمدرسة المذكورة فالقى خطبة بارعة هز بها النفوس هزات وأثار حماسها كرات، وتلاه الاديب السيد محمد الصالح رمضان الاستاذ بالمدرسة المذكورة أيضا فالقى قصيدة كلها عيون بعد ما مهد لها بكلمات كلها شذرات، ثم تلاه الشاب الظريف الاديب السيد محمد الطاهر الورتلانى فالقى خطبة نفيسة شنف بهــا الاسماع وامتع النفوس، ثم تلاه الاستاذ عمـــر بن البسكرى المدرس بمدرسة الفتح بسطيف فالقى قصيدة رنانة أعيد بعض أبياتها لمزيد حسنها ، ثم تلاه خفيف الروح الاستـــاذ الاديـب

عباس بن الشيخ الحسين فارتجل خطابا حماسيا أثار به كوامن الحماس في النفوس ثم تلا الجميع العالم العلامة المؤرخ الكبير الاستاذ مبارك الميلي مدير جريدة « البصائر » الغراء فارتجل خطابا بليغا قارن فيه بين مكانة العلماء من نفوس العامة اليوم ومكانتهم من نفوسها بالامس أعنى قبل الاصلاح وبعد الاصلاح، فجاء بتحقيقات جليلة وتعليلات صائبة وأبحاث دقيقة، شأنه في كل المواضيع فأجاد وأفاد وكان المنتظر أن يكون خاتمة الخطباء لكن قام بعده التلميذ النجيب السيد محمد المديني فارتجل كلمات حماسية حمل فيها على قانون 8 مارس المشؤوم وما شاكله من قوانين الظلم والغطرسة، وتلاه الاخ البصيري فارتجل كلمات نفيسة هي الى الفلسفة الروحية أقرب ، ثم ختمت الحفلة بكلمة شكر وتقدير من كاتب هذه السطور ثم وزعت المشروبات على الحاضرين .

هذه صورة مصغرة لهذه الحفلة الرائعة ولو صادفت قلما سيالا وفكرا فسيحا لأبرزها في أبهى حللها وأجمل مناظرها .

---

(1) ش : ج 7 ، م 15 ـ رجب 1358 هـ ـ أوت 1939 م (بتصرف) .

المصلحــون والسنــة

تقوم الدعوة الاصلاحية على أساس الكتاب والسنة فلا جرم كان رجالها من المعتنين بالسنة القائمين عليها رواية ودرايــة الناشرين لها بين الناس ومن عنايتهم تحريهم فيما يستدلون به ويستندون اليه منها فلا يجوز عليهم الا ما يصلح للاستــدلال والاستناد ولا يذكرون منها شيئا الا مع بيان مخرجه ورتبتــه حتى يكون الواقف عليه على بينة من أمره مما لو التزمه كــل عالم ـ كما هو الواجب ـ لما راجت الموضوعات والواهيات بين الناس فافسدت عليهم كثيرا من العقائد والاعمال . ونحن ننشر إثر هذا حوارا دار بين مصلحين يدل على ما ذكرناه فى المصلحين من الاعتناء والتحرير :

ميلة فى 10 رمضان 1354 هـ

* * *

المعلم النصوح والمتعلم البحاثة الاخ الشيخ الفضيل الورتلانى السلام عليكم ورحمة الله . منذ يومين وقع بصرى فى خاتمة الجزء الاول من الحاوى للفتاوى فتاوى السيوطى عــلى هــذا الحديــث :

روى الحاكم فى المستدرك وصححــه والبيهقى فى شعــب الايمان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تنزلوهن الغرف . ولا تعلموهن الكتابة . يعنى النســاء . وعلموهن الغزل وسورة النور) .

فذكرت انك كنت سألتني عنه فلم تجد عندى علما به. واليوم لما وقفت عليه ورأيت أن الحاكم صححه ظهر لى ان ابحث عنه . فان الحاكم على جلالته في علم الحديث لا يعول كثيرا على تصحيحه حتى ان النقاد قالوا لو لم يؤلف المستدرك لكان خيرا له .

طالعت فهرست كتاب « حسن الاسوة فيما ثبت من الله ورسوله فى النسوة » لصديق خان فلم أجد مبحثا يناسب هذا الحديث . وتتبعت خاتمته التى خصها لذكر الاحكام الخاصة بالمرأة . فلم أجد هذه المسألة . ورجعت الى التفاسير . فوجدت البغوى قد روى آخر سورة النور هذا الحديث بسنده الى محمد ابن ابراهيم الشامى قال حدثنا شعيب بن اسحق عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة . فذكره .

هنا رجعت الى ميزان الاعتدال للحافظ الذهبى لأتعرف هل فى هذا السند ضعفاء . فألفيته يذكر فى ترجمة محمد ابن ابراهيم الشامى عن الدارقطنى انه كذاب . وعن ابن عدى أن عامة احاديثه غير محفوظة وعن ابن حبان انه لا تحل الرواية عنه الا عند الاعتبار كان يضع الحديث . ثم خرج له أحاديث منها حديثه عن شعيب ابن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . فذكره كما أورده السيوطى الا قوله يعنى النساء .

والظاهر ان الحاكم رواه من طريق هذا الشامى لانه لو كان له متابع فى هذا الحديث لم يورده الذهبى فى ترجمته ولم يصح قول ابن عدى ان عامة احاديثه غير محفوظة . ولو كان عندنا المستدرك لاسترحنا من هذا الغرض . وبعد فلنكتف بما لدينا ولا نقف ما ليس لنا به علم . والسلام عليكم من اخيكم « مبارك بن محمد الميلى » .

ش : ج 1 ، م 12 غرة محرم 1355 هـ ابريل 1936 .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة شكر وتقدير

حضرة الشيخ عبد الرحمن شيبان

وزير الشؤون الدينية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اما بعد ؛

فقد تلقى الشعب الجزائرى كتاب « مجالس التذكير » بابتهاج واغتباط .

واني ـ باسمي الخاص ونيابة عن أسرتنا ـ أشكر لوزارتكم الموقرة هذه الجهود التى تبذلها من أجل احياء الثقافة الاسلامية ، ونعلن لكم ـ سيدى الوزير ـ عن امتناننا ، بما أصدرته وزارتكم وما تعتزم اصداره من آثار الاستاذ الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس ، نشرا للوعى الاسلامى الصحيح ، وخدمة للصالح العام ، داعين لكم بالتأييد ، ودوام التوفيق .

وتقبلوا ـ سيدى الوزير ـ فائق الشكر والتقدير .

حرر بتاريخ 22 جمادى الثانية 1403 هـ
الموافق لـ 06/أفريل 1983 م

المخلص : عبد الحق بن باديس

أخو الامام وتلميذه

الفهـــــرس

* * *

احـاديث في اغراض مختلفـة :

موضوعـات متصلـة بالسنـة :

موضوعات متصلة بصاحب السنة صلى الله عليه وسلم :

ملحقـــات :

ردمك: ISBN : 978-9947-24-204-9
الإيداع القانوني: 2007-2957

سحب الطباعة الشعبية للجيش
الجزائر - 2007






ISBN 978-9947-24-204-9
9 789947 242049